



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www.ghaemiyeh.com  
www.ghaemiyeh.org  
www.ghaemiyeh.net  
www.ghaemiyeh.ir

# زبدة الأفكار

(خلاصة لمؤلفات الدكتور التيجاني)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# زبدة الأفكار (خلاصة لمؤلفات الدكتور التيجاني)

كاتب:

محمد تيجاني سماوي

نشرت في الطباعة:

بنياد معارف اسلامي

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
13	زبدة الأفكار (خلاصة لمؤلفات الدكتور التيجاني).
13	هوية الكتاب
13	اشارة
17	مقدمة الناشر
19	المُقدِّمَةُ
19	اشارة
23	أما خلاصة كتب التيجاني فهي :
23	1- ثمّ اهتديت:
23	2- لأكون مع الصادقين :
23	3 - فاسألوا أهل الذكر :
24	4 - الشيعة هم أهل السنّة :
25	5 - اتقوا الله :
25	6- كلّ الحلول عند آل الرسول:
26	أما عملنا:
26	و كتابنا هذا يقع في مقدّمة وسبعة فصول وخاتمة هي :
29	تبيّهاً لأبدٍ منها
31	الفصل الأول: لمحة وجيزة عن حياتي
31	اشارة
33	لمحة وجيزة عن حياتي
34	الحج الى بيت الله الحرام
35	الرحلة الموفّقة
38	زيارة العراق لأوّل مرّة

41	الشكّ والتساؤل
42	السفر إلى النجف
44	لقاء مع السيد الخوئي
45	لقاء مع السيد محمد باقر الصدر
47	الشكّ والحيرة
47	السفر إلى كربلاء
49	السفر إلى الحجاز
52	العودة إلى الوطن
53	بداية التحول
55	أسباب الاستبصار
55	إشارة
55	1- النص على الخلافة
58	2- خلاف فاطمة مع أبي بكر
59	3- علي أولى بالاتباع
60	4- الأحاديث الواردة في علي توجب اتّباعه
65	الفصل الثاني: العقائد الاسلاميّة
65	إشارة
67	العقائد الاسلاميّة
67	فيما يتعلّق بالخاق جلّ جلاله
67	رؤية الله وتجسيمه
69	العدل الإلهي
71	القضاء والقدر
77	فيما يتعلّق بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم
77	النبوة
85	النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتخلّل

86	..... النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعاقب عقاباً شنيعاً ويمثل بالمسلمين
87	..... النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب الجماع
89	..... الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسمع الغناء ويتفرج على الرقص
89	..... النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشرب النبيذ
90	..... النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والابتدال
90	..... النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستحي
93	..... النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكشف عورته
93	..... النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسقط بعض آيات من القرآن
94	..... الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتهاون في صلاته من أجل عقد عائشة
96	..... الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كسائر البشر يخطيء ويصيب
99	..... القرآن الكريم
99	..... اشارة
100	..... تحريف القرآن
106	..... الإمامة والخلافة
106	..... اشارة
106	..... 1- الإمامة في القرآن الكريم
108	..... 2- الإمامة في السنة النبوية
112	..... شواهد على ولاية علي
115	..... الفصل الثالث: مصادر التشريع عند الفريقين
115	..... اشارة
117	..... مصادر التشريع عند الفريقين
117	..... السنة النبوية
118	..... الثقلين
123	..... أهل السنة لا يعرفون السنة النبوية
126	..... من الذي أطلق مصطلح أهل السنة والجماعة؟

127	«أهل السنة» ومحقق السنة .....
129	و نحن نقول لأهل السنة والجماعة : .....
132	مصادر التشريع عند الشيعة .....
134	مصادر التشريع عند أهل السنة والجماعة» .....
134	اشارة .....
135	أولاً: سنة الخلفاء الراشدين .....
136	ثانياً: سنة الصحابة عموماً .....
137	ثالثاً: سنة التابعين «علماء الاثر» .....
138	رابعاً: سنة الحكام .....
139	خامساً: بقية مصادر التشريع عند أهل السنة» .....
140	الأحاديث النبوية عند أهل السنة» متناقضة .....
140	اشارة .....
143	الرسالة الأولى: كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية .....
143	اشارة .....
144	ردّ معاوية على محمد بن أبي بكر .....
146	الرسالة الثانية : كتاب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية .....
146	اشارة .....
146	ردّ يزيد على كتاب ابن عمر .....
146	اشارة .....
147	مخالفة أهل السنة والجماعة للسنن النبوية .....
147	اشارة .....
147	1- نظام الحكم في الاسلام .....
148	2- القول بعدالة الصحابة يخالف صريح السنة .....
149	3- «أهل السنة والجماعة» ومودة أهل البيت عليهم السلام .....
151	الفصل الرابع: الصحابة عند الشيعة والسنة .....



151	.....	اشارة
153	.....	الصحابة عند الشيعة والسنة .
153	.....	اشارة .
153	.....	الصحابة عند الشيعة
155	.....	الصحابة عند «أهل السنة والجماعة»
157	.....	رأي القرآن في الصحابة
157	.....	اشارة .
157	.....	1- محمد رسول الله .
158	.....	2- آية الانقلاب .
158	.....	3- آية الجهاد .
158	.....	4- آية الخشوع .
159	.....	رأي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الصحابة
159	.....	1- حديث الحوض
159	.....	2- حديث اتباع اليهود والنصارى
160	.....	3 - حديث البطانتين ..
161	.....	4 - حديث التنافس على الدنيا .
162	.....	الصحابة يشهدون على أنفسهم
164	.....	أمثلة من تصرفات الصحابة
164	.....	1- الصحابة في صلح الحديبية .
165	.....	2- الصحابة وزيارة يوم الخميس .
165	.....	3- الصحابة في سرية أسامة
167	.....	أئمة «أهل السنة والجماعة» وأقطابهم .
167	.....	اشارة .
167	.....	1- أبو بكر «الصديق»
171	.....	2- عمر بن الخطاب «الفاروق» .

- 173 ..... 3- عثمان بن عفّان «ذي النورين» .....
- 175 ..... 4- طلحة بن عبيد الله .....
- 178 ..... 5- الزبير بن العوام .....
- 179 ..... 6- سعد بن أبي وقاص .....
- 181 ..... 7- عبد الرحمن بن عوف .....
- 185 ..... 8- عائشة بنت أبي بكر «أم المؤمنين» .....
- 185 ..... اشارة .....
- 185 ..... أ. عائشة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .....
- 185 ..... اشارة .....
- 190 ..... تحذير النبي من عائشة وفتنتها .....
- 191 ..... ب - عائشة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .....
- 191 ..... اشارة .....
- 192 ..... ومن مخالفتها للسنة النبوية : .....
- 193 ..... 9- خالد بن الوليد .....
- 193 ..... اشارة .....
- 194 ..... ومن مخالفت خالد للرسول وسنته الشريفة : .....
- 197 ..... 10- أبو هريرة الدوسي .....
- 200 ..... 11- عبد الله بن عمر .....
- 206 ..... من روايات البخاري ومسلم .....
- 206 ..... اشارة .....
- 206 ..... فضائل يبطلها العقل والواقع .....
- 207 ..... البخاري ومسلم يذكران أي شيء لتفضيل أبي بكر وعمر .....
- 209 ..... فضائل عمر في روايات البخاري .....
- 220 ..... الفصل الخامس: دفاع عن عقائد الشيعة .....
- 220 ..... اشارة .....

222	دفاع عن عقائد الشيعة
222	الشيعة في القرآن
223	الشيعة في السنة النبوية
225	الشيعة في نظر «أهل السنة»
227	تشنيع السنة على الشيعة
231	عيد الغدير
233	مودة أهل البيت
234	آية التطهير
239	الأئمة الاثني عشر
240	علم الأئمة
241	العصمة
244	الغلو
247	التقليد
250	البداء
255	التقية
260	المتعة أو الزواج المؤقت
265	الجمع بين الصلاتين
267	السجود على التربة
269	الرجعة
271	المهدي المنتظر عليه السلام
276	الفصل السادس: الوهاية والجذور التاريخية
276	اشارة
278	الوهاية والجذور التاريخية
278	الوهاية
278	الوهاية تكفر المسلمين

280	..... الجذور التاريخية للوهاية ..
283	..... النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يردون على الوهاية -
284	..... الصحابة يتبركون بأثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم -
287	..... النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرّ التبرك ويعلمه لأصحابه ..
289	..... الوهاية تحزم زيارة القبور ..
290	..... الشيعة وأهل السنة يردون على الوهاية ..
294	..... الفصل السابع: شبهات وردود ..
294	..... شبهات وردود ..
312	..... الخاتمة ..
312	..... رسالة مفتوحة إلى أبي الحسن الندوي ..
324	..... المحتويات ..
339	..... تعريف مركز ..

## زبدة الأفكار (خلاصة لمؤلفات الدكتور التيجاني)

### هوية الكتاب

بطاقة تعريف: سماوي، محمد التيجاني، 1936 - Samawi, Muhammad al -Tigani

عنوان واسم المؤلف: زبدة الأفكار (خلاصة لمؤلفات الدكتور التيجاني)/مراجعته واعداد محمود البدرى.

تفاصيل المنشور: قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، 1420ق.= 1378ش.

مواصفات المظهر: 320 ص.

الصقيع: مؤسسة المعارف الإسلامية؛ 110.

ISBN : 15000 ريال: 0-63-6289-964

ملاحظة: عربى.

ملاحظة: چاپ سوم: 1384ش.

ملاحظة: چاپ؟: 13.

ملاحظة: البيليوغرافيا مترجمة.

الموضوع: الشيعة - دفاعات ودفاعات.

المعرف المضاف: البدرى، محمود، 1956 - ، مصحح التجارب والمترجم

المعرف المضاف: بنياد معارف اسلامى.

ترتيب الكونجرس: BP212/5/س 85ز 1378

تصنيف ديوي: 297/417

رقم البيليوغرافيا الوطنية: م 78-9667

ص: 1

اشارة

زبدہ الافکار

(خلاصہ لمولفات الدكتور التيجاني)

مراجعہ و اعداد

محمود البدری

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3





الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله المنتجبين .

وبعد :

لا يخفى على رواد العلم بأن ظمأ العالم البشري لمعرفة الحقائق في العصر الحاضر لا مثيل له ، خصوصا البحوث المتعلقة بمذهب أهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا فقد كثرت في الآونة الأخيرة الكتابات التي تتحدث عن هذا المذهب ، وتفند الشبهات والافتراءات التي تثار عليه بين آونة وأخرى.

ولهذا فقد نالت تأليفات الدكتور محمد التيجاني اقبالا عظيمة من رواد الفضيلة والمتعطشين لمعرفة الحق ، وهذا توفيق من الله تعالى وكرامة أكرمها بها هذا العبد المؤمن المخلص.

وبما ان أهم المسائل التي عالجهها الدكتور في كتبه ربما تكون متكررة مع اختلاف في الحلول والنتائج حاول الفاضل المحقق محمود البدري أن يجمع زبدة أفكاره المتفرقة في مجموعة كتبه ويسبكها في صحيفة موحدة فيكون بذلك قد جمع بين أمرين ينفعان في الهدف الأسمى لتأليفه القيمة.

أحدهما : طرح المكررات و اختصار المطالب ، فيصل الطالب إلى هدفه باسرع وقت ممكن من أقرب طريق.

ص: 5

والآخر : جمع المطالب المبعثرة حول موضوع واحد فقد تكون نكتة مذكورة حول موضوع في أحد الكتب غير مذكورة في آخر ، وهذا الجمع أيضا يفيد بدوره في الحصول على النتيجة ودراسة الموقف بدقة أكثر.

ونحن إذ نشكر الأخ الأستاذ محمود البدرى على هذه المبادرة الموقفة نأمل أن تكون هذه المجموعة مؤثرة في هدفنا الأسمى وهو الدفاع عن حق أهل البيت عليهم السلام والدعوة إلى الالتفاف حول المذهب الحق ، ونرجو أن يتقبل الله تعالى منا و من الاخوة العاملين في هذا المضمار بفضلله وكرمه.

انه سميع مجيب .

مؤسسة المعارف الاسلامية - قم

ص: 6

الحمد لله ربّ العالمين، باعث الأنبياء والمرسلين لهداية الناس أجمعين، وأفضل الصلاة والسلام على خير الأنام، صاحب الشريعة، ومنقذ البشرية من الضلال إلى النور، محمد المصطفى، وعلى آله المعصومين الميامين، وأصحابه المنتجبين، ومن دعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أمّا بعد؛

قد يكون «الحر بن يزيد الرياحي» من أهم المستبصرين في التاريخ الاسلامي، والذي كان من كبار القادة العسكريين في معسكر عبيدالله بن زياد.

وهو إحدى العبر التي استعبر بها أولي الألباب، ومنهم الدكتور محمد التيجاني السماوي التونسي، والذي يعتبر من خيرة المستبصرين في زماننا هذا ...

يقول الدكتور التيجاني : ... في كربلاء، عشت محنة الحسين كما يعيشها شيعته، وعلمت وقتنذ بأن سيدنا الحسين لم يمت، حيث رأيت الناس يتزاحمون حول ضريحه كالفراشات ويبيكون بحرقة ولهفة لم أشهد لها مثيلاً، فكانّ الحسين استشهد الان، وقد تحدّث أحد الخطباء عن قصّة الحر بن يزيد الرياحي، وهو أحد القادة المكلفين بقتال الحسين، ولكنه في المعركة كان يرتعش كالسعفة،

ص: 7

ولما سئل: أخائف أنت من الموت؟

قال الحرّ: لا والله، ولكنني أخيرُ نفسي بين الجنّة والنار، ثمّ همز جواده وانطلق إلى الحسين قائلاً: هل من توبة يا بن رسول الله ...

لم أتمالك نفسي عندما سماع هذا، فقد سقطت على الأرض باكياً، وكأني أمثل دور الحرّ وأطلب من الحسين: هل من توبة يا بن رسول الله ، سامحني يا بن رسول الله ...

نعم ، أنّها اللحظة التاريخية التي يتلطف الله بها على عبده، فيشرح صدره «للاستبصار» والعودة إلى الحقّ.

والدكتور محمد التيجاني، داعية و مفكّر اسلامي، أنهى دراسته في جامعة الزيتونة العريقة، وعمل في سلك التدريس 17 عاماً، وحصل على شهادة الماجستير في المقارنة بين الأديان من جامعة باريس، وعلى شهادة الدكتوراه في نهج البلاغة ، وله عدة مؤلفات ، وعشرات بل مئات المحاضرات .

وعندما هداه الله تعالى وشرح صدره لمذهب أهل البيت عليهم السلام، قام بنصرة المذهب الحقّ، كما فعل الحر مع الحسين، ولكن الفارق أنّ الحر نصر الحسين بسيفه، بينما نصر الدكتور التيجاني الحسين وآله بقلمه وفكره ...

نعم ...

فقد شمّر الدكتور التيجاني عن ساعديه، وأعلن حالة الاستنفار القصوى، مجنّداً كل طاقاته وخبرته وعلمه، للذود عن الحقيقة التي اهتدى إليها بالعلم والدراية، فأخذ يغوص في محيط العقيدة، شاهراً قلمه الجريء، وهو يسبح وسط محيط هادر، لا تخيفه المخاطر، غير آبه بالعواصف، ولا مكترث

ص: 8

للمخاوف.

و هو يخطّ ما يجول بخاطره من أفكار دافقة ، دون مواربة أو مهادنة ، يضع النقاط على الحروف في جميع الأحوال والظروف ، يدافع مستميتاً عن الحقّ بكلّ أمانة وصدق.

فقد تحدّث في كتابه الأوّل «ثمّ اهتديت» بكلّ جرأة وراحة ضمير ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا تهون منه العزائم، رغم علمه الأكيد بوعورة المسالك واحتمال الوقوع في المهالك.

ولقد حاول الدكتور التيجاني في كتبه الأخرى «لأكون مع الصادقين» و «فاسألوا أهل الذكر» و «الشيعة هم أهل السنّة» و «كلّ الحلول مع آل الرسول»، بل في جميع محاضراته و حواراته، أن يسعى لتبيان حقيقة العقيدة الاسلامية الناصعة، و صقلها من غبار عبث العابثين بأصول الدين ، جاهداً في التحليل والتوضيح ، يفرز الخطأ عن الصحيح ، من أجل جمع كلمة المسلمين الذين فرقتهم سياسات الحكام المنحرفين، و وعاظ السلاطين ، الذين جنّدوا انفسهم لذلك.

ولذا نراه يقول في مقدّمته لكتابه «كلّ الحلول عن آل الرسول» : لقد عملنا بكلّ جهودنا في الكتب السابقة على إقناع المسلمين بضرورة الرجوع إلى الثقلين «القرآن الكريم والعترة الطاهرة» والتمسك بهما معاً لضمان الهداية والنجاة من الضلالة.

ويحاول «التيجاني» في كتبه دائماً، استخدام الوسيلة الحضارية والطريقة الديمقراطية ، لحوار عقائدي وفكري بّناء، من أجل إعادة تشييد البناء على أسس سليمة، وأفكار حكيمة.

ص: 9

فتراه يهدي كتابه الأول «ثم اهتديت» إلى كلِّ عقل سليم، يمحص الحق فيعرفه من بين ركام الباطل ، ويزن الأقوال بميزان العدل فيرجح كفة المعقول، ويقارن الكلام والأحاديث فيتبين المنطقي من المعسول ، والقوي من المهزول .

ونراه يقول في كتابه الثاني لأكون مع الصادقين» بأن: الباحث المنصف يستطيع أن يصل إلى الحقيقة من أقرب طرقها ، كما وصلت إليها من خلال البحث والمقارنة ... ليكون «مع الصادقين» - وإذا رفض -... فسيجد نفسه بعيداً عن الصراط المستقيم، فيكون من المغضوب عليهم أو من الضالين.

ونراه يؤكد في كتابه الثالث «فاسألوا أهل الذكر» على أن الحل الوحيد للخلاص المسلمين ونجاتهم هو الالتزام بالحديث الصحيح عند جميع الفرق الاسلامية وهو قول صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم: «تركتم فيكم الثقيلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»(1)

وتراه في كتابه الرابع «الشيعة هم أهل السنة» يشير إلى العلاقة بين الحق والباطل فيقول: فقد يلبس الباطل لباس الحق للتمويه والتضليل ، وقد ينجح في أغلب الأحيان لبساطة عقول الناس أو لحسن ظنهم به ، وقد ينتصر الباطل أحياناً لوجود أنصار مؤيدين له ، فما على الحق إلا الصبر وانتظار وعد الله بأن يزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

وأخيراً فهو في جميع كتبه يلتزم بالنهج الذي نصح به الإمام علي عليه السلام شيعته، فلم يكن من السبائين ولكنه - كما يقول : - وصفت أعمالهم ، وذكرت أحوالهم حتى يعرف الحق من جهله ..... ولكن ما حيلتي إن كان الحق

ص: 10

لا يظهر إلا بذلك.

## أما خلاصة كتب التيجاني فهي :

### 1- ثمّ اهتديت:

يقول التيجاني في مقدمة الكتاب: هو قصّة رحلة، قصّة اكتشاف جديد، ليس اكتشافاً في عالم الاختراعات التقينيّة أو الطبيعية، ولكن في دنيا المعتقدات في خضم المدارس المذهبية والفلسفات الدينيّة.

فهذا الكتاب حوى قصة الرحلة الموقّعة التي قام بها الدكتور التيجاني لينتهي إلى برّ الأمان ، وهو يحوي كذلك على زبدة الأفكار التي كانت تدور في ذهن التيجاني اثناء رحلته الموقّعة هذه، خصوصاً فيما يتعلّق بالصحابة، ورأي القرآن والرسول فيهم، بل حتى رأي بعضهم بالنسبة إلى البعض الآخر، وفي نهايته وعندما يصل إلى برّ الأمان يتحدّث عن «أسباب الاستبصار» التي دعسته الركوب سفينة النجاة ، سفينه محمّد وآله الطاهرين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

### 2- لأكون مع الصادقين :

وقد ألفه التيجاني بنفس الاسلوب الذي ألف به كتابه السابق ، ولكن هذه المرّة بشمولية أكثر ، طرح فيه الجانب المهم في حياة المسلمين و هو الجانب العقائدي، فشرح مفردات العقيدة الاسلامية في أصول الدين والقرآن الكريم والعقائد المختلفة الأخرى عند الفريقين ، فراه يتحدّث عن الله ، والنبوة ، والإمامة ، والعصمة ، والأئمّة ، والمهدي المنتظر ... الخ.

### 3 - فاسألوا أهل الذكر :

يبدأ كتابه هذا برسالة مفتوحة إلى العالم الهندي الذي يرجع إليه أهل السنّة

والجماعة في تلك الفارة وهو «أبو الحسن الندوي»، والسبب في بعث هذه الرسالة - كما يقول الدكتور التيجاني - هو ما شاهده ولمسه اثناء زيارته للهند التي يسكنها أكثر من مائتي مليون مسلم ربعمهم شيعة وثلاثة أرباعهم من السنّة، الذين يعيشون في حالة من الصراع والنزاع، دعتهم - أي الدكتور التيجاني - إلى الدهشة والحيرة والخوف، و من ثمّ التأسّف والبكاء على مصير هذه الأمة، بل أنّ اليأس «كان يدبّ إلى قلبي لولا الرجاء والأمل والايمان».

اضافة إلى ذلك فقد حوى الكتاب على بحوث عقائدية وفكرية كثيرة بعضها يتعلّق بأصول الدين وبعضها بفروعه، و آخر يتعلّق بالتاريخ والسيرة، تاريخ الصحابة وسيرتهم، و تاريخ الخلفاء الثلاثة «أبو بكر وعمر وعثمان»، و تاريخ أمّ المؤمنين عائشة» و سيرتها، وكذلك مناقشة أهمّ الشبهات التي أثيرت في صحيح البخاري ومسلم حول شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

#### 4 - الشيعة هم أهل السنّة :

وكتابه هذا بالرغم من انه لا يختلف عن كتبه الثلاثة السابقة في اسلوبه وطرحه للمفاهيم، لكن نجد أنّ موضوعاته ركّزت على أهمّ فرقتين اسلاميتين وهما: «أهل السنة والجماعة» و «الشيعة الإمامية»، حيث يعرف بهاتين الفرقتين، و يناقش أهمّ المسائل الخلافية فيما بينهما، ودور حكام الجور في اثاره الخلاف بين المسلمين من خلال دعم أئمّة أهل السنّة، والتشجيع على الشيعة وقتل قادتهم.

و كذلك يتطرّق الدكتور التيجاني في كتابه هذا إلى بعض عقائد الفريقين خصوصاً فيما يتعلّق بالسنّة النبويّة، مثبتاً بالدليل والبرهان بأنّ «الشيعة هم أهل السنّة».



وهو محاوره فكرية جرت بين الدكتور التيجاني مع بعض علماء السنّة في تونس ، حيث تناول هذا الحوار مسائل مهمّة تتعلق بالإمامة والخلافة عند المسلمين ، وما يرتبط بيوم الغدير والبيعة التي تمّت في حياة الرسول لأمر المؤمنين عليه السلام.

## 6- كلّ الحلول عند آل الرسول:

هذا الكتاب حاول فيه الدكتور التيجاني - كما يقول : - تجنّب القضايا الحسّاسة التي تثير حفيظة البعض وتستفزهم ، وبالتالي تحجبهم عن الحقّ فلا يصلون إليه ، فينتفي الغرض من هدايتهم.

و هذا لا يعني بأنّه أخطأ في الأسلوب «الاستفزازي» الذي التزم به في كتاباته السابقة ، لأنّه يعتقد بأنّ الأسلوب الاستفزازي هو الذي يحرك النفوس الأبيّة ، وقد أتى بنتائج مثمرة ومذهلة من خلال اتباعه في كتبه السابقة.

ولكن نزولاً عند رغبة البعض الذين يحاولون تضيق دائرة الخلاف وتوحيد الصفوف ، يقول الدكتور التيجاني : إلّا أنّه لا مانع من توحّي الأسلوب اللين المسالم الذي قد يقنع الكثير من الناس فستكون ثماره ألدّ وأشهى . وأكون بذلك قد اتّبعنا الأسلوبين معاً اقتداءً بالقرآن الكريم الذي أستمعنا أسلوب الترغيب والترهيب ليُدخل الطامعين إلى الجنّة ، ويُنقذ الخائفين من النار.

أمّا مواضيع كتابه هذا ، فكانت فاكهة متنوعة لما تحوي كتبه السابقة إلّا القليل منها ، بل نراه في هذا الكتاب يناقش مسائل مهمّة تتعلق بالشريعة كمسألة

إقامة صلاة الجمعة، والشهادة الثالثة وواقعة عاشوراء وغيرها .

ويتحدّث كذلك بأسهاب عن الوهابية وجذورها التاريخية، وموقفها من المسلمين، وموقف المسلمين منها بجميع طوائفهم .

### **أمّا عملنا:**

بعد مراجعة هذه الكتب مراجعة دقيقة، قمنا بترتيب موضوعاتها و حذف المكرّرات منها واختصار المطالب الطويلة، وتنظيم الموضوعات التي تشترك في وحدة الموضوع تحت عناوين شاملة، وكذلك مراجعة الروايات في مصادرها التاريخية وذكر تخريجات مفيدة أخرى لبعض الأحاديث والروايات التي لم تخرّج في الكتب الأصل، وبالتالي الخروج بكتاب موحد يحتوي أهم أفكار التيجاني، أسميناه «زبدة الأفكار»، وذلك لأجل أن يتيسّر لقارئنا الكريم الاطلاع على أهم أفكار الدكتور التيجاني بكتاب واحد، عسى الله أن ينفعه به ويشرح صدره للإسلام، كما شرح صدر المئات من العلماء وطلاب الحقيقة على مر الدهور.

### **و كتابنا هذا يقع في مقدّمة وسبعة فصول و خاتمة هي :**

1- لمحة وجيزة عن حياة الدكتور التيجاني كما خطها بقلمه في كتابه «ثمّ اهتديت.

2- العقائد الاسلامية.

3- مصادر التشريع عند الفريقين (السنة والشيعة).

4- الصحابة عند الشيعة و السنة.

5- دفاع عن الشيعة.

6- الوهابية والجدور التاريخية.

ص: 14

7- شبهات وردود.

8- الخاتمة (وهي رسالة الدكتور التيجاني إلى الشيخ أبي الحسن الندوي).

وأخيراً، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد المتواضع مقبولاً عنده ، وبضاعة مزجاة لنا نرجو قبولها (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمود البدري

15/ جمادى الأولى / 1420

17/ آب / 1999

ص: 15



إذا تكلمنا في الفصول القادمة عن «أهل السنّة والجماعة» فإننا لا نقصد بهم المسلمين المعاصرين ، فقد لاحظنا في عديد الفقرات بأنّ هؤلاء ابرياء وليس لهم في ما اقترفه السلف من ذنب ولا إثم وقلنا بأنّهم ضحايا الدسّ والتعتيم التاريخي الذي صاغه الأمويون والعباسيون وأذئابهم لمحقّ السنّة النبويّة وإرجاع الأمر إلى الجاهلية.

ولقائل أن يقول : إنّ تناول الصحابة بهذا النقد والتجريح يخدش شعور الأغلبية من المسلمين الذين يعتقدون بعدالتهم جميعاً ويعتبرونهم أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فنقول : بأنّ المسلمين مُطالبون بالاعتقاد في الله وفي رسوله والعمل بما افترضاه والوقوف عند الحدود التي رسماها ، ويتوقف نجات المسلمين بما فيهم الصحابة على ذلك، فمن خرج عن ذلك مصيره إلى النار ولو كان عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو ولده.

و أريد أن أتبه اخواني من الشيعة الذين يتبعون مدرسة أهل البيت عليهم السلام للأمر التالية:

1\_ يجب عليهم أن يجادلوا إخوانهم من أهل السنّة والجماعة بالتي هي أحسن ، ويلتزموا بقول أمير المؤمنين على عليه السلام : «لا تكونوا سبّابين ولا لعّانين ولكن قولوا: كان من فعلهم كذا وكذا حتى تكون الحجة أبلغ»<sup>(1)</sup>

ص: 17

2\_ أن يتجنّبوا في عباداتهم ومعاملاتهم كلّ المحدثات التي ما كانت في زمن الأئمة ولا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمثال التطبير في عاشوراء وإسالة الدماء التي تنفّر الناس من اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

«كونوا لنا دعاة بأعمالكم لا بأقوالكم، كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا».(1)

3\_ أن يهتموا في محاضراتهم و مناقشاتهم بالأموال العلميّة التي فيها البرهان والدليل في صحاح السنّة، ويتحاشوا الأحاديث الضعيفة التي فيها اثاره وتصطدم مع العقل.

4\_ أن يعملوا بكل جهودهم على الاستقامة والتقوى كما كان أئمّتهم من أهل البيت عليهم السلام ولا يتكلوا على القول بأنّ علي بن أبي طالب يشفع لمحبيّه وأتباعه، فعليّ هو القائل: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي وإنما الإيمان ما وقر في القلوب وصدّفته الأقوال والأفعال»(2)

5\_ أن يتعلّموا المواعظ والعبر من خلال حياة الأئمة الأطهار الذين تركوا تراثاً لا مثيل له، ففي نهج البلاغة وحده الدواء الناجع لكلّ الأمراض فقد حان الوقت لنفض غبار الجهل والتخلّف والنهوض بالأمة إلى أسمى معاني الحضارة والتقدّم، فإذا كان إمام الشيعة هو باب مدينة العلم فلا بدّ أن يكون أتباعه هم السابقين لكلّ العلوم.

لو عمل الشيعة بهذه الوصايا لساد الأمن والسلام، ولو غيرنا ما بأنفسنا من عقائد فاسدة و جهل و انحراف لغير الله ما بنا من فقر و ذلّة إلى غناء وعزّة ولأظهر لنا إمام زماننا المهدي عليه السلام ليملاها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.(3)

ص: 18

1- بحار الأنوار 85: 139 ح 15.

2- بحار الأنوار 99: 72.

3- الشيعة هم أهل السنة : 108.

## الفصل الأول: لمحة وجيزة عن حياتي

إشارة

ص: 19





كان عمري عشر سنوات عندما أخذني والدي إلى المسجد ليقدمني إلى المصلين الذين لم يخفوا اعجابهم بي ، وفي هذه السن المبكرة كنت قد حفظت نصف القرآن ، واجتزت بنجاح ما تعلمته في المسجد ... و من هناك انطلقت شهرتي من حارتنا إلى المدينة.

لقد قضيت طفولتي وشبابي في استقامة نسبية لا تخلو من لهو وعبث ، يسودهما في معظم الأحيان البراءة و حبّ الاطلاع والتقليد ، ولقد كان لوالدي رحمها الله الأثر الكبير في حياتي ، حيث اعتنت بي عناية فائقة من خلال تعليمي قصار السور القرآنية والصلاة والطهارة .. وكان لاسم «التيجاني» الذي سمّنتي به والدي ميزة خاصة لدى عائلة السماوي التي اعتنقت الطريقة التيجانية<sup>(1)</sup> وتبنتها منذ أن زار أحد أبناء سيدي أحمد التيجاني قفصة قادماً من الجزائر حيث انتشرت هذه الطريقة بكثرة في المغرب والجزائر وتونس وليبيا والسودان ومصر، ومن أجل اسمي أصبحت محبوباً في دار السماوي.

ص: 21

---

1- يعتقد معتققي هذه الطريقة بان جميع الأولياء قد أخذوا عن بعضهم بالتسلسل ما عدا الشيخ أحمد التيجاني فقد أخذ علمه مباشرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورغم تأخره عن زمن النبوة بثلاثة عشر قرناً. و يروون بأن الشيخ أحمد التيجاني كان يحدث بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و جاءه يقظة لا مناماً.

كان عمري ثمانية عشر عاماً عندما وافقت الجمعية القومية للكشافة التونسية على انتدابي للمشاركة - مع خمسة آخرين في المؤتمر الأول للكشافة العربية والاسلامية الذي أقيم في مكة المكرمة.

كان شعوري وأنا أدخل بيت الله الحرام لأول مرة لا يُتصوّر... وعندما رأيت بيت الله العتيق فاضت دموعي حتى ظننت أنها لن تتوقف، وخيّل إليّ أنّ الملائكة سوف تحملني فوق الحجيج لأصل إلى سطح الكعبة المشرفة وأبني نداء الله من هناك «لبيك اللهم لبيك هذا عبدك جاء إليك».

كانت إقامتنا في السعودية خمسة وعشرين يوماً، كنّا نلتقي فيها بعلماء ونستمع إليهم في محاضراتهم، وقد تأثرت ببعض المعتقدات الوهابية التي أعجبت بها وتميّت أن يكون المسلمون عليها، وظننت أنّ الله اصطفاهم من بين العباد الحراسة بيته الحرام.

وعندما عدت إلى وطني استقبلني اهل مدينتي مهلّلين ومكبرين و تسابق الناس لتقبيلي والتسليم عليّ، وكان في مقدّمة هؤلاء المستقبليين شيخ الطريقة «اليساوية» وشيخ «التيجانية» وشيخ «القادرية»، ومنذ ذلك الوقت لقبوني با «الحاج»، فإذا أطلق هذا الاسم لا ينصرف إلاّ إليّ.

وازداد نشاطي في تلك الفترة، وأصبحت أكثر معروفاً في الأوساط الدينية كجماعة الاخوان المسلمين، وأخذت اطوف في المساجد وأنهى الناس عن تقبيل الأضرحة والتمسّح بالأخشاب، وكنت كذلك ألقى الدروس الدينية في المساجد يوم الجمعة قبل خطبة الإمام.

وفي تلك الفترة تزوجت بناء على رغبة والدتي ، التي فارقت الحياة بعد ميلاد ابني الثاني ، وكان والدي رحمه الله قد سبقها بعامين .

وأخذ السنوات تمرّ بسرعة ونشاطي وشهرتي تزداد أكثر ، فقد تعدّت حدود مدينتي إلى مدن أخرى مجاورة ، إلى أن جاءتني دعوة من الشيخ اسماعيل الهادي صاحب احدى الطرق الصوفية المشهورة في تونس و خارجها ، وقد فرحت لهذه الدعوة ، واعتبرت أن هذا من العناية الربانية التي ما زالت ترفعني من مقام سام إلى ما هو أسمى ومن حسن إلى ما هو أحسن .

و حضرت أخيراً بعض جلسات الصوفية ، وقد كنت محاكياً لهم في غير قناعة منّي ، لأنني وجدت نفسي متناقضاً مع العقيدة التي تبنيها ، وهي عدم الإشراف ، أي عدم التوسّل بغير الله ، ولهذا أصبحت متحيّراً مشتتاً بين تيارين متناقضين :

أ- تيار الصوفية ، وهي أجواء روحية يعيشها الانسان فتملاً أعماقه بشعور الرهبة والزهد والتقرب إلى الله .

ب - تيار الوهابية الذي علّمني أن ذلك كلّ شرك بالله ، والشرك لا يغفره الله .

## الرحلة الموفّقة

كانت الرسائل متواصلة مع بعض الأصدقاء خلال السنوات المنصرمة ، ومن خلالها توطّدت علاقتي مع البعض الذين ألحوا عليّ بزيارتهم ، فأعددت العدة ورتّبت الامور للقيام برحلة طويلة تمرّ بليبيا عن طريق البر ، ثم إلى مصر ومنها إلى لبنان عبر البحر فسوريا والأردن والسعودية ، وهي المقصودة لأداء

العمرة و تجديد العهد مع الوهابية التي روجت لها كثيراً في أوساط الطلبة وفي المساجد .

لم تطل اقامتي في ليبيا، حيث رحلت منها إلى مصر، و أمضيت عشرين يوماً في القاهرة، التقيت خلالها بالشيخ عبد الباسط عبد الصمد المجوّد الشهير، حيث بقيت معه ثلاثة أيام تحدّثنا فيها عن كلّ شيء الفن، والزهد، والتصوّف، والغرب، والحجّ والسياسة... الخ، وكان بعض شيوخ الأزهر يحضرون تلك الجلسات ويعجبون لما أحفظ من أحاديث و آيات وما أملكه من حجج دامغة.

أنّ أهم حادث أثر في نفسي وجعلني افكر ملياً عدّة ليال هو زيارتي لخزانة مسجد سيدنا الحسين بالقاهرة، حيث رأيت فيها قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعض المخلفات الأخرى، فبعد هذه الزيارة تيقّنت من تفاهة اعتقاد الوهابيين الذين يرون أن الرسول مات وانتهى أمره كغيره من الأموات .

سافرت في اليوم المقرّر إلى بيروت، وفي الباخرة نمت قليلاً، بعد أن وجدت نفسي باتي مرهقاً جسدياً وفكرياً، ولكنني استيقظت على صوت مجاوري وهو يقول: «يبدو أنّ الأخ متعب»..

قلت: نعم، أتعبني السفر من القاهرة إلى الاسكندرية، ولم أنم البارحة إلا قليلاً .

كان محدّثي استاذ عراقي في جامعة بغداد اسمه «منعم»، وقد جاء إلى القاهرة لتقديم اطروحة الدكتوراه في الأزهر، وقد تحدّثنا كثيراً عن مصر والعالم العربي وهزيمة العرب أمام اليهود والاستعمار والتشّتت في عالمنا العربي، وحال المسلمين اليوم الذين ما زالوا يفرّقون بين المالكية والأحناف، واستشهدت لصاحبي بقصة حدثت لي عندما كنت أصلي في مسجد أبي حنيفة في القاهرة

و ذلك عندما صلّيت صلاة العصر جماعة ، فما راعني بعد الصلاة إلا والرجل الذي كان قائماً بجانبني يقول لي في غضب: «لماذا لا تكتف يدك في الصلاة؟ فأجبت بأدب واحترام ان المالكية يقولون بالسدل وأنا مالكي ، فقال لي : «إذهب إلى مسجد مالك وصلّ هناك!» فخرجت ناقماً على هذا التصرف.

و إذا بالاستاذ العراقي يبتسم ويقول لي إنه هو الآخر شيعي .

فاضطربت لهذا النبأ ، وقلت غير مبال : لو أعلم أنّك شيعي لما تكلمت معك ، قال : ولماذا؟ قلت: لأنكم غير مسلمين ، فأنتم تعبدون علي بن أبي طالب عليه السلام والمعتدون منكم يعبدون الله ولكنهم لا يؤمنون برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويشتمون جبرائيل ويقولون بأنّه خان الأمانة ، فبدلاً من أداء الرسالة إلى عليّ أداها إلى محمد!! حاورني صاحبي بهدوء ، وقال لي أخيراً : إذا كنت فعلاً تريد معرفة حقيقة الشيعة فأنا أدعوك لزيارة العراق والاتصال بعلماء الشيعة وعوامهم وستعرف عند ذلك أكاذيب المغرضين والحاquدين.

فرحت كثيراً بهذا العرض لأنّي سأحقق حلم كان يراودني منذ صغري ألا وهو زيارة العراق ، بلاد الحضارة الاسلامية ، وبلاد القطب الربّاني والشيخ عبد القادر الجيلاني الذي ملأ صيته الأقطار كلّها .

وفي هذه الأثناء رأيت صاحبي الشيعي يدعوني للصلاة ، فانتهزتها فرصة حيث قدّمته للصلاة أمامي لكي اختبر صلّاته على أن أعيد صلّاتي فيما بعد، و ما أن أقام الصلاة لأداء فريضة المغرب واسترسل في القراءة والدعاء حتى غيّرت رأبي، و تخيلت بأنّي مأموم بأحد الصحابة الكرام الذين أقرأ عنهم وعن ورعهم وتقواهم ، وبعد فراغه من الصلاة ، أطال الدعاء ولم أسمع قبلاً هذه الأدعية في

بلادنا ولا في البلاد التي عرفتها ، وقد لاحظت في عينيه أثر البكاء كما سمعته يدعو الله أن يفتح بصيرتي ويهديني .

## زيارة العراق لأول مرة

سافرنا من دمشق إلى بغداد ، واتجهنا فوراً إلى منزل صديقي الذي لمست خلال أيام سفري معه نبل أخلاقه وعزّة نفسه وتواضعه وورعه ، وقد استقبلتني والدته خير استقبال ، فشعرت حينها بأنّي لست غريباً بل وكأنّي في بيتي .

وفي الليل سألتني صاحبي : ماذا يقول التونسيون عن عبد القادر الجيلاني ؟ فبدأت أحكي له عن الكرامات التي تروى عندنا ، وعن المقامات التي تشيّد في ربوعنا باسمه ، وكما أن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيّد الأنبياء فعبد القادر هو سيّد الأولياء ، كيف لا وهو القائل : «كلّ الناس يطوف بالبيت سبعاً وأنا البيت طائفاً بخيامي» !

قال صديقي وهو يضحك : نم الليلة واسترح من التعب الذي لقيته في السفر وغداً إن شاء الله سنزور الشيخ عبد القادر ، فرحت لهذا الخبر واستغرقت في نوم عميق.

في الصباح ذهبنا إلى زيارة مقام الشيخ ، حيث رأيت الناس تتراكم على مقامه كتراكم الحجاج على بيت الله الحرام ، فصلّيت ودعوت بما تيسّر لي ورجوت صديقي أن يمهلني حتى أكتب إلى اصدقائي في تونس بعض البطاقات البريدية لأوكّد لهم عن علوّ همّتي التي أوصلتني لذلك المقام الذي لم يصلوا إليه .

وبعد أن خرجنا، تناولنا الطعام وأخذني صديقي في سيارة اجرة إلى الكاظمية»، حيث فهمت بأنّه من مساجد الشيعة ، شعرت بحرج في الدخول إليه.

غير أنني - مراعاة لعواطف صديقي - اتبعتته من غير اختيار ، وعندما رأيت بعض الناس يطوف حول الضريح ، والبعض الآخر يصلّي بجانبه تذكّرت قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أوليائهم مساجد».

وعندما قرأت اللوحة المكتوبة للزيارة وهي معلقة على الضريح لم أفهم الكثير منها بما حوته من أسماء غريبة عنّي أجهلها ، ابتعدت في زاوية وقرأت الفاتحة ترحماً على صاحب الضريح قائلاً: «اللهم إن كان هذا الميِّت من المسلمين فأرحمه فأنت أعلم به منّي» . .

شيوخ طاعنين في السن ، وعلى رؤوسهم عمام بيض وسود، وفي جباههم آثار السجود ، ما أن يدخل الواحد منهم حتى يجهش بالبكاء ، وتساءلت في داخلي أيمن أن تكون هذه الدموع كاذبة؟! أيمن أن يكون هؤلاء الطاعنون في السن مخطئين؟ خرجت متحيراً مندهشاً ممّا شاهدته ، وسألت صاحبي : من هو صاحب هذا المقام؟ قال : الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

قلت : ومن هو الإمام موسى الكاظم عليه السلام؟ قال : سبحان الله ! أنتم إخواننا أهل السنّة والجماعة تركتم اللبّ وتمسّكتم بالقشور ، فقلت غاضباً منقبضاً : كيف تمسّكنا بالقشور و تركنا اللبّ؟ فهدّني وقال : يا أخي ، منذ دخلت العراق لا تفتأ تذكر عبد القادر الجيلاني ، فمن هو عبد القادر الجيلاني الذي استوجب كلّ اهتمامك؟! أجبت على الفور وبكل فخر: هو من ذرية الرسول ، ولو كان نبي بعد محمد

لكان عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه؟ وبعد حوار مع صاحبي حول التاريخ الاسلامي فهمت بانّ عبد القادر من مواليد القرن السادس الهجري، بينما موسى بن جعفر من مواليد القرن الثاني، ونسبه واضح فهو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي اثناء هذا الحوار تذكّرت كيف انّ اساتذتنا ومعلّمينا كانوا يمنعوننا من قراءة التاريخ الاسلامي بحجّة انه تاريخ اسود مظلم لا فائدة من قراءته، وتذكرت كيف اتّي سألت مدرس مادة البلاغة بعد أن كان يدرّسنا الخطبة الشقشقية من كتاب نهج البلاغة فقلت له: إنّ الإمام علي عليه السلام يتّهم أبا بكر وعمر بأنّهما اغتصبا حقّه في الخلافة، فثارت ثائرة الاستاذ وهدّدني بالطرد إن عدّدت لمثل هذا السؤال، مضيفاً بانّ الدرس هو بلاغة وليس تاريخ!! أخذني بعدها صديقي إلى أحد اصدقائه وهو دكتور في جامعة بغداد حصل على الدكتوراه في اطروحته التي كتبها عن عبد القادر الجيلاني، تركني صاحبي معه، تحدّث خلالها الدكتور عن رحلته الطويلة التي دامت سبع سنوات سافر خلالها إلى باكستان وتركيا ومصر وبريطانيا وكلّ الأماكن التي بها مخطوطات تنسب إلى عبد القادر الجيلاني وأطلع عليها فلم يجد أي اثبات فيها بانّ عبد القادر الجيلاني هو من سلالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وغاية ما هنالك بيت من الشعر ينسب إلى أحد أحفاده يقول فيه: «وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، وزادني بانّ التاريخ الصحيح يثبت أنّ عبد القادر أصله فارسي وليس عربياً وقد ولد في بلدة بايران تسمّى «جيلان» وإليها ينسب عبد القادر، وقد نرح إلى بغداد حيث تعلّم هنالك، وأخيراً أهداني الدكتور كتابه عن عبد القادر الجيلاني، وودّعته بعد أن جاء صديقي حيث رجعنا



إلى البيت ليلاً، فشعرت بالتعب والارهاق واستسلمت للنوم.

## الشك والتساؤل

أحقاً ما يقال عن الشيعة أنهم يعبدون علياً، وأنهم يسجدون للحجر دون الله، وأنهم ينزلون انمّتهم منزلة الالهة، و...، ولكن كيف لي أن أصدق هذا الكلام وأنا أرى بعيني خلافه، فقد استهوتني عباداتهم وصلاتهم ودعاؤهم واحترامهم العلماء، كيف يكره هؤلاء القوم الرسول، وكلما ذكرته - وكثيراً ما اذكره الاختبارهم - فيصيحون بكل جوارحهم «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد»، في البداية ظننت أنهم ينافقون، ولكن هذا الظن زال بعدما تصفّحت كتبهم التي قرأت شيئاً منها فوجدت فيها احتراماً وتقديساً وتنزيهاً لشخص الرسول لم أعهده عندنا اهل السنة والجماعة.

قلت لصاحبي الشيعي يوماً:

- أنتم تُنزلون علياً رضي الله عنه وكرّم الله وجهه منزلة الانبياء لأني ما سمعت أحداً منكم يذكره إلا بقوله «عليه السلام»: - . فعلاً نحن عندما نذكر أمير المؤمنين أو أحد الأئمة من بنيه نقول «عليه السلام»، فهذا لا يعني أنهم أنبياء، ولكنهم ذرية الرسول وعترته الذين أمرنا الله بالصلاة عليهم في محكم تنزيله وعلى هذا يجوز أن نقول: عليهم الصلاة والسلام أيضاً.

... ثم قال لي صديقي: هل قرأت تفسير الآية الكريمة: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (1) فقد أجمع

ص: 29

المفسّرون سنّة وشيعة على أنّ الصحابة سألوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن كيفية هذه الصلاة فقال: قولوا: «اللهم صل على محمد وآل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ولا تصلّوا على الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: أن تقولوا اللهم صل على محمد و تصمتوا، وأنّ الله كامل لا يقبل إلاّ الكامل»..

وفي هذا يقول الإمام الشافعي :

يا آل بيت رسول الله حبّكم\*\*\*فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الشأن أنكم\*\*\*من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

ثمّ قال لي : فما رأيك في البخاري ؟ أهو من الشيعة ؟ قلت : إمام جليل من أئمّة أهل السنّة والجماعة وكتابه أصحّ الكتب بعد كتاب الله ، عند ذلك قام وأخرج من مكتبته صحيح البخاري وفتحه وبحث عن الصفحة التي يريدّها وأعطاني لأقرأ فيه : «حدّثنا فلان عن فلان عن علي - عليه السلام.(1)-، وفي مكان آخر : «حدّثنا علي بن الحسين عليهما السلام»(2)

وبالرغم أنّي لم اصدق ذلك ، بل أحاول أن لا اصدق ، لكنني قلت في قرارة نفسي : إلهي ألهمني رشدي ، وأعني على تقبّل الحقيقة ولو كانت مرّة .

## السفر الى النجف

كان شيوخنا يقولون أنّه لا وجود لقبر معروف لسيدنا علي ، ولهذا عندما أعلمني صديقي ذات ليلة بأنّنا سنسافر غداً إلى النجف التي فيها مرقد الإمام علي عليه السلام

ص: 30

1- صحيح البخاري 2: 52 ب «5» من ابواب التقصير .

2- صحيح البخاري 7: 11 ب «19»، كتاب النكاح.

تعجبت وقلت في نفسي : كيف يكون للإمام علي عليه السلام قبر معروف !

وفي النجف أدخلني صديقي إلى مسجد في جانب الحرم، ورأيت في إحدى زوايا المسجد مجموعة من الصبيان يتدارسون وفي يد كل واحد منهم كتاب ، جلست معهم وأنا أفكر في أمرهم وفي الأثناء استحضر في ذهني حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم «يولد المرء على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» وقلت في نفسي : أو يشيعانه .

سألني أحدهم : من أي البلاد أنت ؟ قلت : من تونس .

وقال آخر : ما هو المذهب المتبع في تونس ؟ قلت : المذهب المالكي .

قال : ألا تعرفون المذهب الجعفري ؟ فقلت : خير إن شاء الله، ما هذا الاسم الجديد، لا، نحن لا نعرف غير المذاهب الأربعة، وما عداها ليس من الاسلام في شيء .

ابتسم قائلاً : عفوا ، إن المذهب الجعفري هو محض الاسلام، ألم تعرف بأن الإمام أبا حنيفة تتلمذ على يد جعفر الصادق ؟ وفي ذلك يقول أبو حنيفة : «لولا السنن لهلك النعمان» .

حمدت الله أنه -أي إمامهم جعفر الصادق - لم يكن أستاذاً للإمام مالك وقلت : نحن مالكية ولسنا أحنافاً .

فقال : إن المذاهب الأربعة أخذ بعضهم عن بعض فأحمد بن حنبل أخذ عن الشافعي ، والشافعي أخذ عن مالك ، وأخذ مالك عن أبي حنيفة ، وأبو حنيفة أخذ عن جعفر الصادق، وعلى هذا فكلهم تلاميذ لجعفر بن محمد، وهو أول من فتح

جامعة اسلامية في مسجد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تتلمذ على يديه أكثر من أربعة آلاف محدّث وفقهه .

عجبت لذكاء هذا الصبي وكأنّه استاذ يعلم تلميذه ، وشعرت بالضعف أمامه، وسألني من أقلد من الأئمّة؟ قلت : الإمام مالك ! قال : كيف تقلد ميتاً بينك وبينه أربعة عشر قرناً ، فإذا أردت أن تسأله الآن عن مسألة مستحدثة فهل يجيبك ؟ فكّرت قليلاً وقلت : وأنت جعفر مات أيضاً منذ أربعة عشر قرناً فمن تقلد ؟ أجاب بسرعة هو والباقون من الصبية : نحن تقلد السيد الخوئي فهو إمامنا .

حاولت تغيير الموضوع فسألتهم عن النجف ، وعن المسافة بينها وبين بغداد، وأخذت اطرح عليهم اسئلة أخرى لاشغالهم ، وأنا أفكر في نفسي بأنّ المجد والعلم الذي ركبني في مصر تبخّر هنا وذاب .

### لقاء مع السيّد الخوئي

دخل السيد الخوئي ومعه كوكبة من العلماء عليهم هيبة ووقار وأجلسني صديقي بجانبه ، وبعد التحية قال لي صديقي : احكّ للسيد ماذا تسمعون عن الشيعة في تونس، فتحدّثت للسيد الخوئي عن عقيدتنا في الشيعة ، حيث قلت له :

الشيعة عندنا هم أشدّ على الاسلام من اليهود والنصارى هؤلاء يعبدون الله ويؤمنون برسالة موسى عليه السلام، بينما نسمع عن الشيعة يعبدون علياً ويقدّسونه ، و منهم فرقة يعبدون الله ولكنهم ينزلون علياً منزلة رسول الله ، ورويت قصة جبريل

كيف أنّه خان الأمانة حسب ما يقولون ، وبدلاً من أداء الرسالة إلى عليّ أداها إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال السيد الخوئي : نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وما عليّ إلا عبد من عبيد الله .

وأما خيانة جبريل ، فهذه أقبح من الأولى ، لأنّ محمداً كان عمره أربعين سنة عندما أرسل الله سبحانه إليه جبريل عليه السلام، ولم يكن عليّ إلا صبياً صغيراً عمره ستّ أو سبع سنوات ، فكيف يا ترى يخطيء جبريل ولا يفرّق بين محمد الرجل وعلي الصبي؟! وأضاف السيد الخوئي قائلاً : وأزيدك علماً بأنّ الشيعة هي الفرقة الوحيدة من بين كلّ الفرق الإسلامية الأخرى التي تقول بعصمة الأنبياء والأئمة ، فإذا كان أئمتنا سلام الله عليهم معصومين عن الخطأ وهم بشر مثلنا ، فكيف بجبريل وهو ملك مقرب سمّاه ربّ العزّة بـ «الروح الأمين» ؟

### لقاء مع السيد محمد باقر الصدر

عندما زرت السيد الصدر وأجلسني بجانبه أنست بحديثه، وعلى الرغم من الهيبة والوقار الذي يعلوه ، لم أجد نفسي محرّجاً في الحديث معه ، وكأنّي أعرفه من قبل.

وبعد أن صلّى بنا السيد محمد باقر الصدر صلاة الظهر والعصر ، أحسست بأنّي أعيش في وسط الصحابة الكرام ، فقد تخلّل الصلاتين دعاء مهيب من أحد المصلّين ، انتهى بصوت الحاضرين «اللهم صلّ على محمد وآل محمد» .

وبعد الانتهاء من الصلاة جلس السيد في المحراب ليحجّب عن أسئلة

شيعة من السعودية والبحرين وقطر والامارات ولبنان وسوريا وايران و افغانستان وكذلك من افريقيا السوداء ، كلهم جاؤوا للقاء السيد الصدر ، وكان السيد يتكلم معهم ويقضي حوائجهم ولا يخرجون من عنده إلا وهم فرحون مستبشرون .

وخلال الأيام التي التقيت فيها بالسيد الصدر كنت أسأله عن كل صغيرة وكبيرة ، فسألته مرة عن الإمام علي ، ولماذا يشهدون له في الآذان بأنه وليّ الله ؟ أجاب قائلاً : إنّ أمير المؤمنين عليّاً سلام الله عليه و هو عبد من عبيد الله الذين اصطفاهم الله وشرفهم ليواصلوا حمل الرسالة بعد أنبيائه وهؤلاء هم أوصياء الأنبياء ، فلكلّ نبيّ وصي ، وعليّ بن أبي طالب هو وصيّ محمد ، ونحن نفضّله على سائر الصحابة بما فصّله الله ورسوله ، ولنا في ذلك أدلّة عقلية ونقلية من القرآن والسنة ، أمّا الشهادة له في الآذان فهي مستحبة لا بنية أنّها جزء من الآذان أو الإقامة ، فإذا نوى المؤذن أو المقيم أنّها جزء بطل أذانه وإقامته .

وقد ورد على سبيل المثال - والكلام لا زال للسيد الصدر - أنّه يذكر استحباباً بعد شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بأن يقول المسلم :

وأشهد أنّ الجنّة حقّ ، والنار حقّ ، وأنّ الله يبعث من في القبور .

وسألته أسئلة أخرى عديدة ، عن التربة الحسينية التي يسجدون عليها ، وعن الشعائر الحسينية والبكاء على الحسين عليه السلام ، وعن زخرفة الشيعة القبور أوليائهم بالذهب والفضة ، وسألته أخيراً عن الطرق الصوفية ، فأجابني بإيجاز : بأنّ فيها ما هو ايجابي وفيها ما هو سلبي ؛ فالإيجابي منها تربية النفس وحملها على شطف العيش والزهد في ملذّات الدنيا الفانية ، أمّا السلبي منها، فهو

الإنزواء والهروب من واقع الحياة وحصر ذكر الله في الأعداد اللفظية وغير ذلك، والإسلام - كما هو معلوم - يقرّ الإيجابيات ويطرح السلبيات ويحقّق لنا أن نقول بأنّ مبادئ الإسلام وتعاليمه كلّها إيجابية.

## الشكّ والحيرة

منذ أن قدمت إلى العراق لم أسمع أحداً ينطق بأسماء الصحابة وعلى رأسهم سيّدنا أبو بكر الصديق وسيّدنا عمر الفاروق ، ولكنّي سمعت أسماء غريبة عتيّ، وأنمّة بعدد إثني عشر إماماً ، وإدّعاء بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد نصّ على الإمام علي عليه السلام بالخلافة قبل وفاته ...

فهل من المعقول أن يتأمر الصحابة ضدّ الإمام علي عليه السلام- وهم الذين عرفوا قدره ومنزلته من الرسول -، وبالرغم من أنّي اقتنعت بأمور كثيرة من الشيعة ، لكنني بقيت بين الشكّ والحيرة ، الشكّ الذي أدخله علماء الشيعة في عقلي لأنّ كلامهم معقول ومنطقي ، والحيرة التي غمرتني فلم أصدق أنّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم ينزلون إلى هذا المستوى الأخلاقي فيصبحون بشراً عاديين مثلنا .

نعم ، إنّ هذا الشكّ والحيرة هما بداية الوهن ، وبداية الاعتراف بأنّ هناك أموراً مستورة لا بدّ من كشفها للوصول إلى الحقيقة .

## السفر إلى كربلاء

سافرت مع صديقي منعم إلى كربلاء ، وهناك عشت محنة سيّدنا الحسين كما يعيشها شيعته ، وعلمت وقتئذٍ بأنّ سيّدنا الحسين لم يمّت ، حيث رأيت الناس يتزاحمون حول ضريحه كالفراشات ويكون بحرقه ولهفة لم أشهد لها مثيلاً ،

فكأنّ الحسين استشهد الان ، وسمعت الخطباء هناك يثيرون الناس بسردهم الحادثة كربلاء في نواح ونحيب ...

لقد بكيت وبكيت وأطلقت لنفسي عنانها وكأنها كانت مكبوتة .

أحد الخطباء تحدّث عن قصّة الحر بن يزيد الرياحي ، وهو أحد القادة المكلفين بقتال الحسين ، ولكنه في المعركة كان يرتعش كالسعفة ، ولمّا سئل :

أخائف أنت من الموت ؟

قال الحرّ: لا والله ، ولكنني أخير نفسي بين الجنّة والنار ، ثمّ همز جواده وانطلق إلى الحسين قائلاً : هل من توبة يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...

لم أتمالك نفسي عندما سماع هذا ، فقد سقطت على الأرض باكياً ، وكأني أمثل دور الحرّ وأطلب من الحسين : هل من توبة يا بن رسول الله ، سامحني يا بن رسول الله ، وعندما سمع صديقي صباحي انكبّ عليّ -معانقاً باكياً وضمّني إلى صدره وهو يردّد يا حسين، يا حسين ...

بقيت ذلك اليوم منقبضاً، وطلبت من صديقي أن يعيد عليّ قصة مقتل سيدنا الحسين ، لأنني لم أعرف من شيوخنا بأنّ المنافقين أعداء الاسلام الذين قتلوا سيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي هم الذين قتلوا سيدنا الحسين ، بل إنّنا تحتفل بيوم عاشوراء على أنّه من الأعياد الاسلامية.

زرنا بعد ذلك ضريح العباس ، ولم أكن أعرف من هو وقد روى لي صديقي قصة بطولته وشجاعته ، كما التقينا بالعديد من العلماء الأفاضل كبحر العلوم وكاشف الغطاء وآل ياسين وغيرهم ممّن تشرّف بمقابلتهم.

وازداد الشكّ والحيرة عندي بعد لقائي بالشيعة ، فمن يدري لعلهم يقولون



حقاً وينطقون صدقاً؛ ولماذا لا أبحث وانقب؟ وقد كلفني الاسلام بذلك، فقد قال سبحانه و تعالى : «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ» (1)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ابحث عن دينك حتى يقال عنك مجنون»، فالبحث والمقارنة واجب شرعي على كل مكلف.

وبهذا القرار وهذه العزيمة الصادقة اعدت نفسي وأصدقائي من الشيعة في العراق وأنا أودعهم معانقاً ومتأسفاً لفراقهم فقد أحببتهم وأحبوني ، وغادرت العراق بعد قضاء عشرين يوماً في ربوع الأئمة وشيعتهم، مرت كأنها حلم لذيذ يتمنى النائم أن لا يستيقظ حتى يستوفيه.

## السفر إلى الحجاز

غادرت العراق وتوجهت إلى الحجاز قاصداً بيت الله الحرام ، وعندما وصلت إلى جدة التقيت بصديقي البشير الذي فرح بقدمي وأنزلي في بيته ، حيث قضيت معه أوقات سعيدة وذهبتنا خلالها إلى العمرة وعشنا أياماً كلها عبادة وتقوى ، وتحدثت لصديقي عن زيارتي للعراق و اكتشافي الجديد ، فقال لي : نعم أنا أسمع أن فيهم علماء كبار ، ولكن عندهم فرق منحرفة يخلقون لنا مشاكل كثيرة ، وعندما سألته عن هذه المشاكل قال : إنهم يصلون حول القبور ، ويحملون في جيوبهم قطعاً من الحجارة يسجدون عليها ، وإذا ذهبوا إلى قبر سيدنا حمزة في أحد فهناك يقيمون الجنازة بلطم وعويل وكأنّ الحمزة مات ذلك الحين ، وكذلك يقفون على قبري أبي بكر وعمر ويسبونها ، ويلقون على قبورهما القذارات والنجاسات.

ص: 37

قلت في نفسي: أفي هذا دليل على تكفير من يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله؟ وقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟

بعدها أخذت في الطواف ووقفت على مقام إبراهيم عليه السلام، وكنت كلما طفت بالبيت العتيق خلال العمرة وفي كل زيارة لمكة المكرمة، ولم يكن يطوف بها إلا نفر قليل من المعتمرين، صليت وسألت الله سبحانه من كل جوارحي أن يفتح بصيرتي ويهديني إلى الحقيقة.

سافرت بعدها إلى المدينة، وزرت قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد حاولت عبثاً أن أمس الأبواب للتبرك بها، فانتهرني الحرس وطلب مني الانصراف.

رجعت بعدها إلى الروضة المطهرة حيث جلست اقرأ ما تيسر من القرآن، وكنت أخيل بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يسمعني، وقلت في نفسي أيمن أن يكون الرسول ميتاً كسائر الأموات، فلماذا تقول في صلاتنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بصفة المخاطب؟

ثم ذهبت بعدها إلى البقيع، وكان بالقرب مني شيخ طاعن في السن يبكي وعرفت من بكائه أنه شيعي، واستقبل القبلة وبدأ يصلي وإذا بالجندي يأتي إليه بسرعة وكانت يراقب تحركاته وركله بحذائه فقلبه على ظهره، وانهال عليه ضرباً وسباً وشتماً، فقلت للجندي: حرام عليك لماذا تضربه وهو يصلي؟

فانتهرني قائلاً: اسكت أنت ولا تتدخل حتى لا أصنع بك مثله، وقال بعض الزائرين: إنه يستحق ذلك لأنه يصلي حول القبور وهو محرّم، فلم أتمالك نفسي وقلت: من قال لك إن الصلاة حول القبور حرام؟ وإذا كان حرام فلماذا

يخالف نهي الرسول الملايين من الحجّاج والزوّار ويرتكبون حراماً لأنّهم يصلون حول قبر النبيّ وقبري أبي بكر وعمر؟! وعلى افتراض أنّ الصلاة حول القبور حرام ، أفبهذه الغلظة والشدّة نعالجها ؟ أم باللين واللطف .

رجعت إلى بيت صديقي الجديد ، وقد جاءني بالعشاء وجلس مقابلي ، وقبل أن نبدأ في الأكل سألني أين ذهبت ، فرويت له قصّتي من أولها إلى آخرها ، وقلت له: يا أخي أنا بصراحة بدأت أتفر من الوهابية وأميل إلى الشيعة ، فتغيّر وجهه وقال لي : إيّاك أن تتكلّم مثل هذا الكلام مرّة أخرى ، وغادرتني ولم يأكل معي ، وفي الصباح خشيت أن يكون من المخابرات ، فنهضت مسرعاً وغادرت البيت بدون رجعة ...

قضيت بعدها يوم كامل في الحرم النبوي الشريف أزور وأصليّ ، وبعد صلاة العصر استمعت إلى خطبة قاضي المدينة وهو يفسّر بعض الآيات القرآنية ، عندما أنهى خطبته وهمّ بالخروج سألته قائلاً : سيّدي هل لك أن تعطيني مدلول الآية من قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ، فمن هم أهل البيت بهذه الآية ؟

أجابني على الفور: هم نساء النبي ، وقد بدأت الآية بذكرهنّ.

قلت: إنّ علماء الشيعة يقولون بأنّها خاصّة بعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وقد اعترضت عليهم طبعاً وقلت لهم مثل قولك ولكنّهم قالوا إنّ الآية تحدّثت في البداية بنون النسوة ، ولكن المقطع الأخير منها الخاص بأهل البيت تغيّرت فيه الصيغة فقال سبحانه : «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ» ، نظر لي رافعاً نظارته وقال: إيّاك وهذه الأفكار المسمومة، إنّ الشيعة يؤولون كلام الله على حسب أهوائهم ...

بعد أن قضيت في المدينة اسبوعاً كاملاً ارتحلت إلى الأردن ومنه إلى سوريا في بيروت فليبيا ، ورجعت أخيراً إلى أرض الوطن وكلّي شوق وحنين إلى أهلي وأصدقائي . وقد فوجئت عندما دخلت البيت بكثرة الكتب التي وصلت قبلي و عرفت مصدرها ، ففرحت كثيرة ونظمت الكتب ، واسترحت أياماً وبدأت في البحث.

بدأت بكتاب عقائد الامامية ، وأصل الشيعة وأصولها، ثم كتاب المراجعات حيث وجدت في الكتاب الأخير بغيتي ، لأنه ليس كالكتب التي يكتب فيها المؤلف ما يشاء بدون معارض ولا مناقش، فالمراجعات هو حوار بين عالمين من مذهبين مختلفين يحاسب كل منهما صاحبه على كل شاردة وواردة ، إلى أن وقفت مبهوراً عند رزية يوم الخميس ، إذ لم أكن أتصور أنّ سيدنا عمر بن الخطاب يعترض على أمر رسول الله ويرميه بالهجر ، وظننت باديء الأمر أنّ الرواية هي من كتب الشيعة ، وازدادت دهشتي وحيرتي عندما رأيت العالم الشيعي ينقلها من صحيح البخاري وصحيح مسلم.

وقررت أخيراً أن أعاهد نفسي وأنا أدخل في هذا البحث الطويل العسير أن اعتمد الأحاديث الصحيحة التي اتفق عليها السنة والشيعة، وأن أطرح الأحاديث التي انفرد بها فريق دون الآخر، وبهذه الطريقة المعتدلة أكون قد ابتعدت على المؤثرات العاطفية والتعصبات المذهبية ، وفي الوقت نفسه أقطع طريق الشك الأصل إلى جبل اليقين وهو صراط الله المستقيم. (1)

ص: 40

بقيت متحيراً ثلاثة أشهر مضطرباً حتى في نومي تتجاذبني الأفكار وتموج بي الظنون والأوهام ، خائفاً على نفسي من بعض الصحابة الذين أحقق في تاريخهم فأقف على بعض المفارقات المذهلة في سلوكهم ، لأنّ التربية التي تلقيتها طيلة حياتي تدعوني إلى احترام أولياء الله والصالحين من عباده وتقديسهم ، الذين يؤذون) من يقول فيهم سوءاً أو يسيء إليهم الأدب حتى في غيبتهم وإن كانوا موتى.

ولقد قرأت في ما سبق في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري: أنّ رجلاً كان يشتد عمر بن الخطاب وكان أصحابه في القافلة ينهونه ، فلمّا ذهب يتبوّل الدغّه أسود سالخ فمات لحينه ، وحفروا له لدفنه فوجدوا في القبر أسود سالخاً ، ثمّ حفروا قبور أخرى وفي كلّ مرّة يجدون أسود سالخاً ، فقال لهم أحد العارفين ادفنوه أنّي شئتّم فلو حفرتم الأرض كلّها لوجدتم أسود سالخاً ذلك ليعذبه الله في الدنيا قبل الآخرة على شتمه سيدنا عمر .

ولذلك وجدته وأنا أقحم نفسي في هذا البحث العسير خائفاً محتاراً وخصوصاً لأنني تعلّمت من الفرع الزيتوني بأنّ أفضل الخلفاء على التحقيق سيدنا أبو بكر الصديق ثمّ يأتي بعده سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق الذي يفرّق الله به بين الحقّ والباطل ، ثمّ بعده سيدنا عثمان بن عفان ذو النورين الذي استتحت منه ملائكة الرحمن ، ثمّ بعده سيدنا علي باب مدينة العلم ، ثمّ يأتي بعد هؤلاء الأربعة الستّة الباقون من العشرة المبشرين بالجنة وهم ، طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد

الرحمن وأبو عبيدة ، ثم يأتي بعد هؤلاء الصحابة جميعاً ، وكثيراً ما كانوا يعلموننا الاستدلال بالآية الكريمة «لا تُفَرِّق بينَ احد من رُسُلِهِ» على وجوب النظر إلى بقية الصحابة بالمنظار نفسه دون خدش أي واحد منهم.

وعلى هذا خشيت على نفسي واستغفرت ربي مرّات عديدة أردت فيها الانقطاع عن البحث في مثل هذه الأمور التي تشككني في صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالتالي تشككني في ديني ولكنني وجدت من خلال الحديث مع بعض العلماء طيلة تلك المدة تناقضات لا يقبلها العقل وبدأوا يحذرونني من أنني إن واصلت البحث في أحوال الصحابة فسوف يسلب الله نعمته عني ويهلكني ، ومن كثرة معاناتهم وتكذيبهم كل ما أقول دفعني فضولي العلمي وحرصني على بلوغ الحقيقة إلى أن أقحم نفسي من جديد في البحث ووجدت قوة داخلية تدفعني دفعاً. (1)

ص: 42

---

1- ثم اهتديت: 133.

أمّا الأسباب التي دعّتي إلى الاستبصار فكثيرة جداً ولا يمكن لي في هذه العجالة إلا ذكر بعض الأمثلة منها :

#### 1- النص على الخلافة

لقد آليت على نفسي عند الدخول في هذا البحث أن لا أعتد إلا على ما هو موثوق عند الفريقين ، وأن أطرح ما انفردت به فرقة دون الأخرى ، وعلى ذلك أبحث في فكرة التفضيل بين أبي بكر و علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنّ الخلافة إنّما كانت بالنصّ على علي كما يدّعي الشيعة أو بالانتخاب و الشورى كما يدّعي أهل السنّة والجماعة.

والباحث في هذا الموضوع إذا تجرّد للحقيقة فإنّه سيجد النصّ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام واضحاً جلياً كقوله صلى الله عليه وآله و سلم: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»، قال ذلك بعدما انصرف من حجة الوداع ، فعقد لعلي موكباً للتهنئة حتى أنّ أبا بكر نفسه و عمر كانا من جماعة المهتئين للإمام يقولان : «بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمّسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة»<sup>(1)</sup>

و هذا النصّ مجمع عليه من الشيعة والسنّة ، ولم أخرج أنا في البحث - هذا - إلا مصادر أهل السنة والجماعة.

ص: 43

---

1- مسند أحمد : 281 ، سر العالمين للغزالي : 12 ، تذكرة الخواص لابن الجوزي : 29 ، الرياض النضرة للطبري 2: 199 ، كنز العمال 6: 397 ، تاريخ ابن عساکر 2: 50.

أما الإجماع المدعى على انتخاب أبي بكر يوم السقيفة ثم مبايعته بعد ذلك في المسجد ، فإنه دعوى بلا دليل ، إذ كيف يكون الإجماع وقد تخلف عن البيعة :

1- علي بن أبي طالب.

2- العباس بن عبد المطلب ، وسائر بني هاشم .

3- أسامة بن زيد .

4- الزبير بن العوم.

5- سلمان الفارسي .

6- أبو ذر الغفاري .

7- المقداد بن الأسود .

8- عمّار بن ياسر .

9- حذيفة بن اليمان .

10- خزيمة بن ثابت .

11- أبو بريدة الأسلمي .

12- البراء بن عازب .

13- أبي بن كعب.

14- سهل بن حنيف .

15- سعد بن عبادة .

16- قيس بن سعد .

17- أبو أيوب الأنصاري .

18- جابر بن عبد الله .



فأين الإجماع المزعوم يا عباد الله!؟

لقد كانت بيعة أبي بكر عن غير مشورة، بل وقعت على حين غفلة من الناس وخصوصاً أولى الحلّ والعقد منهم، كما يسمّيهم علماء المسلمين، إذ كانوا مشغولين بتجهيز الرسول ودفنه، وقد فوجيء سكان المدينة المنكوبة بموت نبيهم، وحُمل الناس على البيعة بعد ذلك قهراً. (2)

وقد شهد عمر بن الخطاب نفسه بأنّ تلك البيعة كانت فلتة وقي الله المسلمين شرّها. (3)

ويقول الإمام علي عليه السلام في حقّها:

«أما والله لقد تَمَّصَّها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أنّ محلي منها محلّ القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير» (4)

فإذا كانت هذه البيعة فلتة وقي الله المسلمين شرّها على حد تعبير عمر .

وإذا كانت هذه الخلافة تَمَّصّاً - من قبل أبي بكر - كما وصفها الإمام علي .

وإذا كانت هذه البيعة غير شرعية لتخلّف أكابر الصحابة والعباس عمّ النبي عنها.

فما هي الحجّة في صحة خلافة أبي بكر؟ والجواب لا حجّة هناك عند أهل السنّة والجماعة.

ص: 45

---

1- انظر: تاريخ الطبري، تاريخ ابن الأثير، وكل من ذكر بيعة أبي بكر.

2- تاريخ الخلفاء لابن قتيبة 1: 18.

3- صحيح البخاري 4: 127.

4- شرح نهج البلاغة لمحمد عبدة 1: 36 (الخطبة الشقشقية).

## 2- خلاف فاطمة مع أبي بكر

وهذا الموضوع مجمع على صحته من الفريقين فلا يسع المنصف العاقل إلا أن يحكم بخطأ أبي بكر إن لم يعترف بظلمه وحيفه على سيدة النساء.

لأن من يتتبع هذه المأساة ويطلع على جوانبها يعلم علم اليقين أن أبابكر تعمّد إيذاء الزهراء وتكذيبها لئلا تحتج عليه بنصوص الغدير وغيرها على خلافة زوجها وابن عمّها علي ، ونجد قرائن عديدة على ذلك:

منها ما أخرجه المؤرخون من أنّها - سلام الله عليها - خرجت تطوف على مجالس الأنصار وتطلب منهم النصرة والبيعة لابن عمّها ، فكانوا يقولون : يا ابنة رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ، فيقول علي كرم الله وجهه : «أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه ، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟».

فقال فاطمة : «ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم».(1)

وقد اشتد غضبها على أبي بكر حتى أنّها لم تأذن له بحضور جنازتها حسب وصيتها لزوجها الذي دفنها في الليل سرّاً.(2)

وكأن الزهراء أرادت بهذا أن يتساءل المسلمون عبر الأجيال عن السبب الذي دعاها أن تطلب من زوجها أن يدفنها في الليل سرّاً ولا يحضر جنازتها منهم أحداً!

ص: 46

1- تاريخ الخلفاء لابن قتيبة 1: 19.

2- صحيح البخاري 3: 36، صحيح مسلم 2: 72.

و من الأسباب التي دعنتي للاستبصار وترك سنّة الآباء والأجداد، الموازنة العقلية والنقلية بين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي بكر.

فقد فُتشت في كتب الفريقين فلم أجد إجماعاً إلا على علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد أجمع على إمامته الشيعة والسنة في ما ورد من نصوص ثبتتها مصادر الفريقين، بينما لا يقول بإمامة أبي بكر إلا فريق من المسلمين وقد كُنّا ذكرنا ما قاله عمر عن بيعة أبي بكر، كما أنّ الكثير من الفضائل والمناقب التي يذكرها الشيعة في علي بن أبي طالب لها سند ووجود حقيقي ثابت في كتب أهل السنة المعتمدة عندهم، ومن عدّة طرق لا يتطرق إليها الشكّ، فقد روى الحديث في فضائل الإمام علي عليه السلام جمع غفير من الصحابة، حتى قال أحمد بن حنبل:

«ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل كما جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام»<sup>(1)</sup>

وقال القاضي إسماعيل والنسائي وأبو علي النيشابوري:

لم يرد في حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما جاء في علي»<sup>(2)</sup>.

هذا مع ملاحظة أنّ الأمويين حملوا الناس في مشارق الأرض ومغاربها على سبّه ولعنه وعدم ذكر فضيلة له حتى منعوا أن يتسمّى أحد باسمه، ومع كلّ ذلك خرجت فضائله ومناقبه سلام الله عليه رغم الجحود، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي: «عجبت لرجل كنتم أعداؤه فضائله حسداً، وكنتمها محبّوه خوفاً».

ص: 47

1- المستدرک علی الصحیحین للحاکم 3: 107، الصواعق المحرقة لابن حجر: 72.

2- الرياض النضرة للطبري 2: 282، الصواعق المحرقة: 72 و 118.

وخرج ما بين ذين ما طبق الخافقين» .

أمّا بشأن أبي بكر فقد فتّشت أيضاً في كتب الفريقين فلم أجد له في كتب أهل السنّة والجماعة القائلين بتفضيله ما يوازي أو يعادل فضائل الإمام علي عليه السلام، على أنّ فضائل أبي بكر المذكورة في الكتب التاريخية مروية إمّا عن ابنته عائشة (وستعرف موقفها من الإمام علي عليه السلام)، فهي تحاول بكل جهدها دعم أبيها ولو بأحاديث موضوعية، أو عن عبد الله بن عمر، وهو أيضاً من البعيدين عن الإمام علي، وقد رفض مبايعته بعدما أجمع الناس على ذلك، وكان يحدث أنّ أفضل الناس بعد النبي أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ لا تفاضل، والناس بعد ذلك سواسية. (1)

يعني هذا الحديث أنّ عبد الله بن عمر جعل الإمام علي عليه السلام من سوقة الناس كأبي شخص عادي ليس له فضل ولا فضيلة.

فأين عبد الله بن عمر من الحقائق التي ذكرها أعلام الأُمّة وأئمّتها بأنّه لم يرد في أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما جاء في علي بن أبي طالب عليه السلام، هل أنّ عبد الله بن عمر لم يسمع بفضيلة واحدة لعلي؟

بلى والله، لقد سمع ووعي، ولكنّ السياسة وما أدراك ما السياسة فهي تقلب الحقائق و تصنع الأعاجيب

#### 4-الأحاديث الواردة في علي توجب اتّباعه

من الأحاديث التي أخذت بها ودفعتنني للاقتداء بالإمام علي عليه السلام، تلك التي أخرجتها صحاح أهل السنّة والجماعة وأكّدت صحّتها والشيعه عندهم أضعافها

ص: 48

ولكن - كالعادة - سوف لا استدلل ولا أعتد إلا الأحاديث المتفق عليها من الفريقين ، ومن هذه الأحاديث :

أ- حديث : «أنا مدينة العلم وعلي بابها»(1)

فهذا الحديث وحده كاف لتشخيص القدوة الذي ينبغي اتباعه بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن العالم أولى بالاتباع، أي أولى أن يقتدى به من الجاهل.

وقد سجّل لنا التاريخ أنّ الإمام عليّاً عليه السلام هو أعلم الصحابة على الإطلاق ، فقد قال أبو بكر : لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن.

وهذا عمر يقول : لولا علي لهلك عمر.(2)

ب - حديث : «يا علي أنت مّتي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي»(3)

وهذا الحديث كما لا يخفى على أهل العقول فيه ما فيه من اختصاص أمير المؤمنين علي عليه السلام بالوزارة والوصاية والخلافة.

ص: 49

---

1- مستدرک الحاکم 3: 127 ، مجمع الزوائد 9: 116 ، المعجم الكبير للطبرانی 15 : 11 - 16 ، تاريخ ابن كثير 7: 308 ، تاريخ بغداد 4: 368 ، كنز العمال 11: 114 ح 32979 ، ذخائر العقبى : 77 ، وقد أفردت لهذا الحديث كتب مستقلة ، مثل كتاب فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي للمغربي .

2- ذخائر العقبى للطبري : ص 82 ، كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل : ج 2 ص 147 ح 1100 الرياض النضرة 2: 196 . وانظر كذلك ما جاء في الاستيعاب 3: 38 - 65 ، لترى أقوال بقية الصحابة في حق الإمام علي عليه السلام .

3- صحيح البخاري 5: 24 ، صحيح مسلم 4: 1870 ح 30 ، سنن الترمذي 5: 596 ح 3724 و ص 598 ح 3730 ، مسند أحمد بن حنبل 1 : 179 و ج 3 ص 32 ، المستدرک للحاکم 3: 109 ، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق لابن عساکر 1: 125 ح 150 وغيرها الكثير .

ج- حديث : «من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار».(1)

و هذا الحديث وحده كاف لردّ مزاعم تقديم أبي بكر وعمر وعثمان على من نصّب به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولياً للمؤمنين من بعده ، ولا عبرة بمن أول الحديث إلى معنى المحبّ والنصير لصرّفه عن معناه الأصلي الذي قصده الرسول وذلك حفاظاً على كرامة الصحابة ، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قام خطيباً في ذلك الحرّ الشديد قال : «ألستم تشهدون بأنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟

قالوا: بلى ، يا رسول الله ، فقال عندئذ : «فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ...»

وهذا نصّ صريح في استخلافه على أمته ، ولا يمكن للعاقل المنصف العادل إلّا قبول هذا المعنى ورفض تأويل البعض المتكلّف والحفاظ على كرامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل الحفاظ على كرامة الصحابة ، لأنّ في تأويلهم هذا استخفافاً واستهزاءً بحكمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي جمع حشود الناس في الحرّ والهجير الذي لا يطاق ليقول لهم بأنّ علي هو محبّ المؤمنين وناصرهم.

د- حديث : «علي منّي وأنا من علي ، ولا يؤدّي عتيّ إلّا أنا أو علي»(2)

وهذا الحديث هو الآخر صريح في أنّ الإمام علي عليه السلام هو الشخص الوحيد

ص: 50

- 
- 1- مسند أحمد بن حنبل 1: 219، وج 4 ص 281 وج 5 ص 370 ، مجمع الزوائد 9 : 107 ، كنز العمال 13 : 104 ح 36342 وص 138 ح 346 37 وص 170 ح 36515، البداية والنهاية 5 : 211 وص 212 وج 7 ص 335، وغيرها الكثير.
  - 2- سنن ابن ماجة 1: 44. خصائص النسائي : 20 ، صحيح الترمذي 5: 300، جامع الأصول لابن كثير 47109، الجامع الصغير للسيوطي 2: 56، الرياض النضرة 2: 229.

الذي أهله صاحب الرسالة ليؤدّي عنه ، وقد قاله عندما بعثه بسورة براءة يوم الحج الأكبر عوضاً عن أبي بكر ، ورجع أبو بكر يبكي ويقول : يا رسول الله أنزل فيّ شيء؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله أمرني أن لا يؤدّي عنّي إلا أنا أو علي».

وهذا ظهير ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي في مناسبة أخرى عندما قال له :

«أنت يا علي تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي».(1)

ه - حديث الدار يوم الانذار : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مشيراً إلى علي : «إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا»(2)

وهذا الحديث هو أيضاً من الأحاديث الصحيحة التي نقلها المؤرخون البداية البعثة النبوية وعدّوها من معجزات النبي ، ولكنّ السياسة هي التي أبدلت وزيّقت الحقائق والوقائع.(3)

ص: 51

---

1- كنوز الحقائق للمناوي : 203، كنز العمال 5 : 33.

2- تاريخ الطبري 2: 319 ، تاريخ ابن الأثير 2: 62، السيرة الحلبية 1: 311، كنز العمال 15: 15.

3- ثمّ اهتديت : 135 وما بعدها.









يعتقد أهل السنّة والجماعة برؤية الله تعالى في الآخرة، وأنّ هذه الرؤية ستكون حقيقة لا مجازاً (1)، فإنّ الله سبحانه سينجّل لخلقه ويرونه كما يرون القمر ليلة البدر (2)، وأنّ الله يضحك ويمشي وينزل إلى سماء الدنيا في كلّ ليل (3). ويكشف عن ساقه التي بها علامة يُعرف بها، ويضع رجله في جهنم فتمتلىء وتقول: قط قط! (4) إلى غير ذلك من الروايات التي تجعل من الله جسم متحرك ومتحولاً، له يداّن ورجلان وله أصابع خمسة، يضع على الأول منها السماوات، وعلى الأصبع الثاني الأرضين، والشجر على الإصبع الثالث، وعلى الرابع يضع الماء والثرى،

ص: 55

1- صحيح البخاري 1: 203 ح 529 كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، وج 4: 1836 ح 4570 كتاب التفسير.

2- صحيح البخاري 8: 147.

3- صحيح البخاري 2: 66.

4- انظر: صحيح البخاري 6: 2705 ح 7000 و ص 2723 ح 7059 و ص 2706 ح 7001 و ص 2711 ح 7011 كتاب التوحيد، صحيح مسلم 1: 97 باب آخر أهل النار خروجاً.

و يوضع بقية الخلائق على الاصبع الخامس (1)، وله دار يسكن فيها ومحمد يستأذن للدخول عليه في داره ثلاث مرّات (2)!! واستدلوا على كل ذلك بآيات منها :

«وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» (3)

وقال أيضاً: «وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا» (4)

وقال: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ» (5)

بل أنّهم يعتقدون أنّهم سوف يرون الله كما يرون القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب ، ويستدلّون بالآية: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أَلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» (6)

أمّا الشيعة الامامية فإنّهم بأولون هذه الآيات ويحملوها على المجاز وينفون التشبيه والتجسيم والرؤية ، فهم يؤمنون أنّ الله «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (7) وإنّه «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» (8)

يقول الإمام عليّ عليه السلام:

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يُحصي نعماءه العادّون، ولا

ص: 56

1- صحيح البخاري 6: 157 - 158، وج 9: 181.

2- صحيح البخاري 7: 161.

3- المائدة: 14.

4- هود: 37.

5- الرحمن 26-27.

6- صحيح البخاري 6: 2703 ح 6997 كتاب التوحيد.

7- الشورى: 11.

8- الأنعام: 103.

يؤدّي حقّه المجتهدون ، لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس الصفته حدّ محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت محدود ، ولا أجل ممدود...

فمن وصف الله سبحانه فقد قرّنه ، ومن قرّنه فقد ثنّاه ، ومن ثنّاه فقد جزّاه ، ومن جزّاه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن قال فيمّ فقد ضمّنه ، ومن قال علام فقد أخلّى منه كائن لا عن حدّثٍ ، موجودٌ لا عن عدم ، مع كلّ شيء لا بمُقارنته وغير كلّ شيء لا بمزايله ، فاعلٌ لا بمعنى الحركات والآلة ، بصيرٌ إذ لا منظور إليه من خلقه...»(1)

فهناك اذن فرق واضح بين العقيدتين :

عقيدة أهل السنّة والجماعة التي تقول بالتجسيم ، وتجعل من الله سبحانه وتعالى جسماً وشكلاً يُرى ، وتصوّره وكأنّه إنسان ، فهو يمشي وينزل ويحوي جسمه دار ، إلى غير ذلك من الأشياء المنكرة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وعقيدة الشيعة الذين ينزهون الله عن المشاكلة والمجانسة والتجسيم ويقولون باستحالة رؤيته في الدنيا وفي الآخرة.(2)

## العدل الإلهي

يرى أهل السنّة والجماعة بأنّ الله سبحانه قدّر على عباده أفعالهم قبل أن يخلقهم ، فقد روى البخاري في صحيحه قال : احتجّ آدم وموسى فقال له موسى :

يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنّة ، قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك بيده أتلومني على أمرٍ قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة

ص: 57

1- نهج البلاغة شرح محمد عبده! : الحطبة رقم 1.

2- فاسألوا أهل الذكر : 25، لأكون مع الصادقين : 20.

وروى مسلم في صحيحه قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها. (2)

كل هذه الأحاديث وأمثالها تعارض كتاب الله وتعارض العقل، ويكفيها دليلاً واحداً للرد على هذا الادعاء الباطل هو بعثة الأنبياء والمرسلين من قبل الله إلى خلقه على طول التاريخ البشري ليصلحوا مفاصد العباد ويوضحوا لهم الصراط المستقيم ويعلموهم الكتاب والحكمة ويبشروهم بالجنة إن كانوا صالحين وينذروهم من عذاب الله في النار إن كانوا مفسدين.

و من عدالة الله سبحانه في خلقه ورحمته بهم أنه لا يُعذّب إلا من بعث إليه رسولاً وأقام عليه الحجة، قال تعالى: «مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا» (3)

فإذا كانت هذه الروايات التي أخرجه البخاري ومسلم والتي تقول بأن الله كتب على عباده أعمالهم قبل أن يخلقهم، وحكم على البعض منهم بالجنة وعلى

ص: 58

1- صحيح البخاري 7: 214، كتاب القدر، صحيح مسلم 8: 49.

2- صحيح مسلم 8: 44، صحيح البخاري 7: 210.

3- الاسراء: 10.

البعض بالنار ، كما قدّمنا سابقاً وكما يؤمن بذلك أهل السنّة والجماعة .

أقول : إن كان هذا صحيح ، فإن إرسال الرسل وإنزال الكتب يصبح ضرباً من العبث - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وما قدروا الله حقّ قدره ، فما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم .

والغريب أنّ أهل السنّة والجماعة ينزّهون الله عن العبث والظلم ولكنهم في نفس الوقت لا يستطيعون رفض هذه الأحاديث المخرجة في البخاري ومسلم ، ولهذا تراهم يؤولون هذه الأحاديث ، فيرون أنّ للخالق أن يفعل في مخلوقاته ما يشاء ، فهو لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون ! وعندما تسأله : كيف يحكم الله على عبد بالنار قبل خلقه لأنّه كتب عليه الشقاء ، ويحكم على آخر بالجنة قبل خلقه لأنّه كتب عليه السعادة ؟ أليس في ذلك ظلم للاثنين ؟ لأنّ الذي يدخل الجنة لا يدخلها بعمله وإتّما باختيار الله له ، وكذلك الذي يدخل النار لا يدخلها بما اقترفه من ذنوبه وإتّما بما قدره الله عليه ، أليس في ذلك ظلم ، وهو يناقض القرآن ؟ فسيجيبك «بأنّ الله فعّال لما يريد» فلا نفهم من موقفه المتناقض شيئاً ، وهذا بديهى إذ أنّه يُنزل البخاري ومسلم بمنزلة القرآن ويقول أصحّ الكتب بعد كتاب الله البخاري ومسلم. (1)

## القضاء والقدر

### القضاء والقدر (2)

يرى أهل السنّة أنّ الانسان مسير في حياته و مجبور على أعماله ، وإنّ الله سبحانه يبعث إلى الجنين في بطن أمّه ملكين من الملائكة فيكتبان أجله ورزقه وعمله ، إن كان شقيّاً أو سعيداً (3)

ص: 59

1- فاسألوا أهل الذكر : 28 .

2- لأكون مع الصادقين.

3- صحيح مسلم 2 : 452، كتاب القدر.

هذه العقيدة جعلت أهل السنة يعيشون في تناقض واضح، فهم لا يجدون جواباً مقنعاً عندما يرون أنّ عقيدتهم هذه في القضاء والقدر تتناقض مع آيات الله، فهل من عدالة الله أن يخلق الخلق، ثمّ يجبرهم على أفعال ثمّ يحاسبهم عليها ويعذبهم من أجل جرم كتبه هو عليهم وأجبرهم عليه؟ أليس هو القائل جلّ شأنه :

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ»(1)، «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»(2) «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»(3)؟

و الواقع أنّ هذا الاعتقاد نشأ عندما تسلّط الأمويون على الخلافة الاسلامية، حيث كانوا يروّجون بأنّ الله سبحانه هو الذي أعطاهم الملك وأمرهم على رقاب الناس، فيجب على الناس إطاعتهم وعدم التمرد عليهم، لأنّ مطيعهم مطيع الله، والخارج عليهم هو متمرّد على الله يجب قتله، ولنا في ذلك شواهد عديدة من التاريخ الاسلامي منها :

1- عندما طلب الناس من عثمان أن يعتزل الخلافة رفض وأجابهم : لا أخلع قميصا تصنيه الله(4)

فعلى رأيه أنّ الخلافة هي لباس له وقد ألبسه الله إيّاه، فلا ينبغي لأحد من الناس أن ينزعه عنه إلا الله سبحانه، يعني بالوفاء.

2- قال معاوية : إنّني لم أقاتلكم لتصوموا ولتركوا، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون.(5)

ص: 60

1- النساء : 40.

2- فصلت : 46.

3- يونس : 44.

4- تاريخ الطبري 4: 371 حوادث سنة 35هـ، الكامل في التاريخ 2: 288.

5- مقاتل الطالبين : 77، البداية والنهاية لابن كثير 8: 131.



و هذا يذهب شوطاً أبعد من عثمان ، لأنه يتّهم ربّ العزّة والجلالة بأنّه أعانه على قتل المسلمين ليتأمر عليهم.

3- بعد واقعة كربلاء واستشهاد الامام الحسين ، ادخل السبايا من أهل البيت ومن ضمنهم زينب بنت أمير المؤمنين على الفاسق ابن زياد ، فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ قالت : كُتِبَ عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده .

ولمّا نظر ابن زياد إلى علي بن الحسين قال : ما اسمك ؟ قال : علي بن الحسين .

قال : أولم يقتل الله علي بن الحسين ؟ فقال : كان لي أخ يقال له أيضا على فقتله الناس .

فقال : إنّ الله قتله .

فقال : الله يتوفّى الأنفس حين موتها. (1)

وهكذا نفّسَ في هذا الاعتقاد من بني أميّة وأعوانهم، و سري في الأمة الاسلامية عدا شيعة أهل البيت ، فعقيدتهم في القضاء والقدر واضحة ، سئل عنها الإمام علي عليه السلام فقال :

ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدرًا حاتماً ، ولو كان ذلك كذلك البطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد، إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُعص مغلوباً ، ولم يُطع مُكرهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً .

ص: 61

---

1- تاريخ الطبري 5: 457 حوادث سنة 61هـ، الكامل في التاريخ 2: 574 حوادث سنة : 61.

ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» (1)... (2)

وهذا يعني أنّ الله سبحانه أمرنا ولكنّه ترك لنا حرية الاختيار، وهو قول الإمام: «إنّ الله أمر عباده تَخِييراً»، كما أنّه سبحانه نهانا وحذّرنا عقاب مخالفته، فدلّ كلامه على أنّ للإنسان حرية التصرف وبإمكانه أن يخالف أوامر الله، وفي هذه الحالة يستوجب العقاب، وهو قول الإمام: «ونهاهم تحذيراً».

وإذا محّصنا قول الشيعة في القضاء والقدر وجدناه قولاً سديداً، فبينما فرّطت طائفة فقالت بالجبر، أفرطت أخرى فقالت بالتفويض، جاء أئمّة أهل البيت عليهم السلام ليصحّحوا المفاهيم والمعتقدات ويرجعوا بهؤلاء وأولئك، فقالوا: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين» (3)، أي قسم من عندنا وباختيارنا ونحن نفعله بمحض إرادتنا، وقسم ثان هو خارج عن إرادتنا ونحن خاضعون له ولا تقدر على دفعه، فنحاسب على الأوّل ولا نحاسب على الثاني.

والإنسان في هذه الحالة وفي تلك مخيّر ومسيّر في نفس الوقت :

ألف : مخيّر في أفعاله التي تصدر منه بعد تفكير وروية، إذ يمرّ بمرحلة التخيير والصراع بين الإقدام والإحجام، وينتهي به الأمر إمّا بالفعل أو الترك، وهذا ما أشار إليه سبحانه بقوله: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» (4)

ب - مسيّر في كلّ ما يحيط به من نواميس الكون وحركته الخاضعة كلّها

ص: 62

1- ص: 27.

2- شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبدة 4 : 674.

3- التوحيد للصدوق : 362.

4- الشمس : 7- 10.

المشيئة الله سبحانه بكلّ أجزائها ومركباتها وأجرامها وذراتها ، فالإنسان ليس له أن يختار جنسه من ذكورة وأنوثة ولا يختار لونه ، فضلاً عن اختيار أبويه ليكون في أحضان أبوين موسورين بدلاً من أن يكونا فقراء ، ولا أن يختار حتى طول قامته وشكل جسده ، فهو خاضع لعدّة عوامل قاهرة - كالعوامل الوراثية مثلاً - ولعدّة نوااميس طبيعية تعمل لفائدته بدون أن يتكلّف ، فهو ينام عندما يتعب ، ويستيقظ عندما يرتاح ، ويأكل عندما يجوع ، ويشرب عندما يعطش .... الخ.

يقول الله عزّو جلّ في هذا المعنى: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الرِّجَالَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ» (1)

والطريف في هذا الموضوع أنّ أهل السنّة والجماعة - رغم اعتقادهم بالقضاء والقدر الحتمي ، وأنّ الله سبحانه هو الذي يسيّر عباده في أعمالهم وليس لهم الخيرة في شيء - ولكنّهم يقولون في أمر الخلافة بأنّ رسول الله مات وترك الأمر شورى بين الناس ليختاروا لأنفسهم.

والشيعة على العكس تماماً ، فرغم اعتقادهم بأنّ الإنسان مخير في أعماله وأنّ عباد الله يفعلون ما شاءوا - ضمن مقولة «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين» - إلا أنّهم في أمر الخلافة يقولون بأنّه لا حقّ لهم في الاختيار.

ويبدو هذا وكأنّه تناقض من الطرفين - السنّة والشيعة - لأوّل وهلة ، ولكنّ الحقيقة ليست كذلك .

فالسنة عندما يقولون بأنّ الله سبحانه هو الذي يسيّر عباده في أعمالهم يتناقضون مع الواقع ، إذ أنّ الله سبحانه - عندهم - هو المخير الفعلي ولكنّه يترك

ص: 63

لهم الخيار الوهمي ، إذ أن الذي اختار أبا بكر يوم السقيفة هو عمر ثم بعض الصحابة ، ولكن في الحقيقة هم منقادون لأمر الله الذي جعلهم واسطة ليس إلا ، على حسب هذا الزعم.

وأما الشيعة عندما يقولون بأن الله سبحانه خيّر عباده في أفعالهم ، فلا يتناقضون مع قولهم بأن الخلافة هي باختيار الله وحده لأن الخلافة كالنبوة ليست هي من أعمال العباد ولا- موكولة إليهم ، فكما أن الله يصطفي رسوله من بين الناس ويبعثه فيهم فكذلك بالنسبة لخليفة الرسول ، والناس قد يطيعون أمر الله وقد يعصونه ، كما وقع بالفعل في حياة الأنبياء وعلى مرّ العصور، فيكون العباد أحراراً في قبول اختيار الله ، فالمؤمن الصالح يقبل ما اختاره الله ، والكافر بنعمة ربه يرفض ما اختاره الله له ويتمرد عليه.

ونجد كذلك على ضوء نظرية أهل السنة والجماعة في هذه المسألة بالذات ، فسوف لن تلقى باللوم على أحد، لأن كل ما وقع ويقع بسبب الخلافة وكلّ الدماء التي أريقّت والمحارم التي هُتكت كلّ ذلك من الله ، حيث عقب بعض من يدعي العلم منهم بقوله تعالى : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ »

أما نظرية الشيعة فهي تحمل المسؤولية كلّ من تسبّب في الانحراف وكلّ من عصى أمر الله ، وكلّ على قدر وزره ووزر من تبع بدعته إلى القيامة «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته»(1) قال تعالى : «وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ»

ص: 64

## النبوة

يعتقد أهل السنّة والجماعة بأنّ الأنبياء معصومون فيما يبلغونه من كلام الله فقط ، أمّا فيما عدا ذلك فهم كسائر البشر يخطئون ويصيبون . وقد رووا في ذلك عدّة روايات ، بل ذكروا أنّ بعض الصحابة كان يصوّب رأي الرسول ويصلحه عندما يخطيء ، كما في قضية أسرى بدر التي أخطأ فيها الرسول وأصاب عمر (1) . ومنها مسألة تأبير النخيل (2) ، وإنّه سُجِرَ وبقي مسحوراً لا يدري ما يفعل (3) أو يخيل إليه أنّه صنع شيئاً ولم يصنعه ، (4) وغير ذلك الكثير ممّا ستطّلع عليه .

لقد قال الله سبحانه وتعالى في حقّ نبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : «وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» (5)

وقال أيضاً : «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (6)

وقال جلّ شأنه : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » (7)

ص: 65

1- صحيح مسلم 2: 85 كتاب الجهاد .

2- صحيح مسلم 2: 340 كتاب الفضائل .

3- صحيح البخاري 5: 2175 ح 5432 كتاب الطب .

4- صحيح البخاري 3: 1159 ح 3004 كتاب الجزية .

5- المائدة : 67 .

6- النجم : 3 - 4 .

7- الحشر : 7 .

وتدلّ هذه الآيات دلالة واضحة على عصمته المطلقة في كلّ شيء، ولكن أهل السنّة والجماعة يقولون بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوم فقط في تبليغ القرآن، وما عدا ذلك فهو كسائر البشر يُخطئ ويصيب ويستدلّون على خطئه في عدة مناسبات بأحداثٍ يروونها في صحاحهم - كما ذكرنا -.

وبالرغم من أنّ أهل السنّة يدعون التمسك بالسنّة النبويّة إلا أنّ كتبهم مشحونة بالعديد من الروايات التي تخدش في عصمة الرسول وتجعل منه شخصاً أقلّ مستوى من الرجل الذكي أو القائد العسكري، بل في بعض الأحيان أقلّ من الرجل العادي، وذلك كلّ بسبب التأثير الأموي في عقول المسلمين، وذلك لأنّ الأمويين وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان لم يعتقدوا يوماً من الأيام بأنّ محمداً ابن عبد الله هو مبعوث برسالة من عند الله أو هو نبي الله حقّاً، وأغلب الظنّ أنّهم كانوا يعتقدون بأنّه كان ساحراً وقد تغلّب على الناس وشيّد ملكه على حساب المستضعفين من الناس.

فمعاوية، هو الطليق بن الطليق الذي قضى شبابه في رحاب أبيه وفي تعبئة الجيوش لمحاربة رسول الله والقضاء على دعوته، وبعد فشل جميع جهوده استسلم للأمر الواقع وادّعى الاسلام، وبعد موت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حاول أبوه إثارة الفتنة عندما حرّض الإمام عليّ سلام الله عليه ضد أبي بكر وعمر، ولكن الإمام عليّ عليه السلام عرف قصده وطرده، وعندما آلت الخلافة إلى ابن عمّه عثمان أظهر أبو سفيان الكفر عندما قال: تلقّفوها تلقّف الكرة يا بني أميّة، فولذي يحلف به أبو سفيان ليس هناك جنة ولا نار. (1)

وأخرج ابن عساکر في تاريخه (6: 407) عن أنس: أنّ أبا سفيان دخل

ص: 66

---

1- تاريخ الطبري 11: 357، مروج الذهب 1: 440.

على عثمان بعدما عمي فقال : هل هنا أحد ؟

فقالوا: لا.

فقال : اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية ، والملك ملك غاصبية ، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية .

و أمّا ابنه معاوية ، فحدّث ولا حرج ، فقد هتك القرآن والسنة طيلة ولايته على الشام وتسّلطه على الخلافة ، فعقيدته لا تختلف عن عقيدة أبيه شيخ المناقين وعقيدة أمّه آكلة الأكباد والمشهورة بالعهر والفجور.(1)

روى الزبير بن بكار ، عن مطوف بن المغيرة بن شعبة الثقفي قال: دخلت مع أبي على معاوية ، فكان أبي يأتيه يتحدّث عنده ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ويعجب ممّا يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء فرأيتّه مغتمّاً فانتظرتّه ساعة وظننت أنّه لشيء حدث فينا أو في عملنا فقلت له : مالي أراك مغتمّاً منذ الليلة.

قال : يا بني إنّني جئت من عند أخيب الناس.

قلت له : وما ذلك.

قال : قلت لمعاوية وقد خلوت به : إنّك قد بلغت مُنك يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً ، فإنّك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت ارحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، وإنّ ذلك ممّا يبقى لك ذكره وثوابه .

فقال لي : هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل و فعل

ص: 67

---

1- ربيع الأبرار للزمخشري ج 3 باب القرابات والانساب ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1: 111.

ما فعل ، فما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل : أبو بكر ، ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل : عمر ، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه ، فعمل ما عمل وعمل به ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به ، وإن أخاهشم يصرخ به في كل يوم خمس مرّات : اشهد أن محمداً رسول الله ، فأبي عمل وأي ذكر يبقى مع هذا لا أم لك ؟ والله إلا دفناً دفناً. (1)

أما يزيد فلا تختلف عقيدته عن أبيه وجدّه ، فقد حدث المؤرخون(2) أنه بعد وقعة الحرّة المشؤومة وقتل عشرة آلاف من خيرة المسلمين سوى النساء والصبيان ، وافتصّ فيها نحو ألف بكر ، وحبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج ، ثم بايع من بقي من الناس على أنّهم عبيد ليزيد و من امتنع قتل ، ولما بلغ يزيد خبر تلك الجرائم والمآسي التي يندى لها الجبين ولم يشهد لها التاريخ مثيلاً حتى عند المغول والتتار وحتى عند الاسرائيليين ، فرح بذلك وأظهر الشماتة بنبي الاسلام و تمثّل بقول ابن الزبعرى الذي أنشده بعد موقعة أحد قائلاً :

اليت أشياخي بيدر شهدوا\*\*\*جزع الخزرج من وقع الأسل

الأهلوا واستهلّوا فرحاً\*\*\* ثم قالوا : يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم \*\*\* وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لست من خندف إن لم أنتقم \*\*\* من بني أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا\*\*\*خير جاء ولا وحي نزل (3)

ص: 68

- 
- 1- كتاب الموقفيات : 576 ، مروج الذهب 2: 341 ، شرح نهج البلاغة 5: 130 .
  - 2- أنساب الأشراف للبلاذري 5: 42 ، لسان الميزان 6: 294 ، الإصابة 3: 473 .
  - 3- مقتل الخوارزمي : 67 .



فإذا كان الجدّ أبو سفيان العدوّ الأول لله ورسوله يقول صراحة : تلقّفوها يا بني أميّة تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ليس هناك جنّة ولا نار! وإذا كان الأب معاوية العدوّ الثاني لله ورسوله يقول صراحة : يسمع المؤذن يشهد أن محمداً رسول الله أي عمل وأي ذكر يبقى مع هذا لا أم لك؟ والله إلا دفناً دفناً؛ وإذا كان الابن يزيد العدوّ الثالث لله ورسوله يقول صراحة :

لعبت هاشم بالملك فلا\*\*\*خبر جاء ولا وحي نزل!

نستطيع أن ندرك تأثير هؤلاء المنافقين الكبير على المسلمين ، حيث أثروا على عقيدتهم وسلوكهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وحتى عباداتهم.

والدليل على هذا التأثير هو قبول الأمة بولاية معاوية الطليق ابن الطليق ، هذه الأمة التي قالت لعمر بن الخطاب : لو رأينا بك إعوجاجاً لقومناك بسيفنا ، نراها تسكت أمام قول معاوية عندما اعتلى منصة الخلافة وقال في أول خطبة يقولها في جميع الصحابة : «إني ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولكن لأتأمّر عليكم وها أنا ذا أمير عليكم».

ثمّ نراهم بعد ذلك يقبلون منه أن يولّي عليهم ابنه الفاسق يزيد ، وكذلك صعود الوزغ بن الوزغ مروان بن الحكم و الوليد بن عقبة وغيرهم.

بل وصل الأمر ببعض أمراء المؤمنين أن يمزّقوا كتاب الله ويقولون له :

إذا لقيت ربك يوم حشر\*\*\*فقل ياربّ مزّقني الوليد

فإذا كان أمر الأمة الاسلامية قد وصل إلى هذا الحدّ من الانحطاط في الأخلاق والذلّ والاستكانة فلا بدّ أنّ هناك عوامل أثرت في عقيدتها وهذا ما

يهتمنا في هذا البحث لأنه يتعلّق بموضوع العصمة وشخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وأول ما يلفت انتباهنا هنا هو أنّ الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان منعوا كتابة حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل وحتى التحدّث به .

فهذا أبو بكر يجمع الناس في خلافته ويقول لهم : إنكم تحدّثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدّ اختلافاً فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سالكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرموا حرامه. (1)

وهذا عمر بن الخطاب يأمر أصحابه باقلال الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (2)

كما نراه - أي عمر - يأمر الصحابة أن يحضروا ما في أيديهم من كتب الحديث فظنّوا أنّه يريد أن يُقوّمها على أمر لا يكون فيه اختلاف فأتوه بكتبهم فأحرقها كلّها في النار. (3)

وواصل بعدهما عثمان المشوار وأعلن للناس كافة أنّه «لا يحل لأحد أن يروي حديثاً لم يسمع به على عهد أبي بكر ولا عهد عمر» (4)

وجاء بعده دور معاوية حيث قال في أول خطبة يخطبها : «أيّها الناس إيّاكم والحديث عن رسول الله إلا حديثاً يذكر على عهد عمر» (5)

وهكذا استمر بقية الخلفاء على منع كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى زمن

ص: 70

1- تذكرة الحفاظ للذهبي 1: 2 و 3.

2- سنن ابن ماجة 1 : 12، سنن الدارمي 1 : 85.

3- الطبقات الكبرى لابن سعد 5 : 140.

4- منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد 4 : 64.

5- الخطيب البغدادي شرف أصحاب الحديث: 91.

وعندما نرجع بالتاريخ قليلاً إلى الوراء نجد أن عمر منع الرسول من كتابة أحاديثه في حياته وذلك في يوم الرزية ، عندما أراد الرسول أن يكتب كتاباً للأمم حتى لا-تضلل من بعده فاعترض عمر واتهم الرسول بالهجر - أي الهذيان - والعياذ بالله ، وقال : «حسبنا كتاب الله يكفيننا» ، وقد أخرج هذه الحادثة البخاري ومسلم وابن ماجه والنسائي وابو داود والإمام أحمد وغيرهم من المؤرخين كثير .

أقول : فإذا كان عمر يمنع رسول الله من كتابة أحاديثه وبمحضر كثير من الصحابة وأهل البيت ويتهمه بالهجر بتلك الجرأة التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً ، فليس غريباً ولا عجباً أن يشمر عن ساعديه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليمنع الناس من نقل أحاديث الرسول بكل جهوده وهو الخليفة القوي الذي يملك الحول .

والطول ، ولا شك أن له في الصحابة انصاراً كثيرين من سرة قريش الذي لهم نفوذ في القبائل والعشائر والذين كانوا يصحبون النبي صلى الله عليه وآله وسلم إما طمعاً أو خوفاً أو نفاقاً .

وبهذه الطريقة حاول البعض الانتقاص من شخصية الرسول الأكرم وتصويره للناس الذين لم يعرفوه بأنه شخص عادي أو أقل من ذلك ، فقد تأخذه العاطفة ويميل مع هواه ويزيغ عن الحق ، كل ذلك ليموهوا على الناس بأنه ليس معصوماً ، والدليل أن عمر عارضه عدّة مرات ، والقرآن ينزل بتأييد ابن الخطاب حتى وصل الأمر بأن يهدده الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : فيبكي ويقول : لو أصابنا الله بمصيبة لم ينج منها إلا ابن الخطاب (1) في قضية أسرى بدر ، أو أن عمر كان يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحجب نساءه ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك حتى نزل القرآن بتأييد

عمر ، وأمر نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يحجب نساءه (1)، أو أن الشيطان لا يخاف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه يخاف ويهرب من عمر (2)

إلى غير ذلك من الروايات المخزية التي تحطّ من قيمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وترفع من قيمة الصحابة ، ولكن عمر ضرب الرقم القياسي في هذا الصدد حتى رووا (أخزاهم الله) بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يشكّ في نبوّته وذلك لحديث يروونه بأنّه قال صلى الله عليه وآله وسلم : «ما أبطأ عتيّ جبرئيل إلا ظننت أنّه ينزل على عمر بن الخطاب»

وأنا أعتقد بأنّ هذه الأحاديث وأمثالها وضعت في زمن معاوية بن أبي سفيان لمّا أعيته الحيلة في طمس حقائق علي بن أبي طالب ، فلجأ إلى إطراء أبي بكر وعمر وعثمان واختلاق الفضائل لهم كي يرفعهم في نظر الناس على مقام علي ويرمي من ذلك إلى هدفين:

الهدف الأوّل : تصغير شأن ابن أبي طالب (أبو تراب) كما يسمّيه هو للتمويه على الناس واعتبار الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه أفضل منه.

الهدف الثاني : وضعه الأحاديث هو لكي يتقبّل الناس تجاوز أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصاياه في أمر الخلافة في أهل بيته خصوصاً الحسنين عليهما السلام اللذين كانا يعاصران معاوية - فإذا كان من الممكن أن يتجاوز الثلاثة أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ عليه السلام لم لا يمكن أن يتجاوز معاوية (الرابع) أوامره صلى الله عليه وآله وسلم في أولاد علي عليه السلام .

وقد نجح ابن هند في مخطّطه نجاحاً كبيراً والدليل أنّنا اليوم عندما نتحدّث عن علم علي وشجاعته وقربته وأفضاله على الاسلام والمسلمين يقف في جوهنا من يقول : «قال رسول الله لو وزن إيمان أمّتي بإيمان أبي بكر لرجح

ص: 72

1- صحيح البخاري 1: 46، باب خروج النساء إلى البراز .

2- صحيح البخاري 4: 96 وج 8: 161.

إيمان أبي بكر» ويقف في جوهنا من يقول : «عمر الفاروق هو الذي يُفرك بين الحقّ والباطل»، ويقف في جوهنا من يقول : «عثمان ذو النورين الذي استحت منه ملائكة الرحمن»!

و هناك العديد من هذه (الأحاديث المخزية) التي وضعت للنيل من شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والحط من قيمته ، وبالرغم ما قام به المحققون والعلماء من أهل السنّة و الجماعة لتتقية الأحاديث و غربلتها فما زال هناك للأسف الشديد داخل الكتب الصحيحة والمعتمدة الشيء الكثير ، وكذلك لم تسلم كتب الشيعة من هذا الدسّ والوضع ، ولكن هؤلاء يعترفون بأنّ ليس عندهم كتاباً صحيحاً إلا كتاب الله وما سواه فيه الغثّ والسمين ، أمّا أهل السنة فإنّهم متفقون بأنّ الصحيحين البخاري و مسلم أصحّ الكتب بعد كتاب الله ، بل يقولون بأنّ كلّ ما جاء فيهما هو صحيح ، ومن أجل ذلك سأضع بين يدي القارئ بعض النماذج من الأحاديث التي أخرجها البخاري و مسلم، والتي فيها ما فيها من الحطّ من قداسة الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم أو من أهل بيته عليهم السلام، وهي أحاديث وضعت لتبرير أعمال الحكام الأمويين والعباسيين ، وهم في الحقيقة يريدون النيل من خلالها بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التبرير جرائمهم وقتلهم الأبرياء.

### **النبي صلى الله عليه وآله وسلم يَخْتَلُ**

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان وفي كتاب الديّات باب من أطلع في بيت قوم فقؤا عينه فلا دية له.

وكذلك مسلم في صحيحه في كتاب الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره ، عن أنس بن مالك ، أنّ رجلاً أطلع من بعض حُجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام إليه

النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمشقصٍ أو بمشاقصٍ ، فكأنِّي أنظر إليه يختل الرجل ليطعنه. (1)

إنّ الخلق العظيم يأبى هذا التصرف من نبي الرحمة ، فالمفروض أن يعلمه النبي الآداب الاسلامية ويفهمه بأنّ ما فعله حرام لا أن يأخذ مشقصاً ويختله ليطعنه ويفقأ عينه ، على أنّ الرجل قد يكون على حسن نية لأنّ الحجرة لم تكن حجرة أزواجه والدليل أنّ أنس بن مالك كان موجوداً فيها.

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعاقب عقاباً شنيعاً ويمثل بالمسلمين

أخرج البخاري في صحيحه قال : حدّثنا ثابت بن أنس أنّ ناساً كان بهم سقمٌ قالوا: يا رسول الله آوينا وأطعمنا فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يلحقوا براعيه - يعنى الابل - فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فلحقوا براعيه فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صلحت أبدانهم فقتلوا الراعي وساقوا الابل ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبعث في طلبهم فجيء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ، فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت. (2)

هل يصدق مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ينهي عن المثلة يقوم هو بنفسه فيمثل بهؤلاء القوم فيقطع أيديهم وأرجلهم ويسمر أعينهم لأنهم قتلوا راعيه ، ألم يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى له : «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» (3) علماً بأنّ هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم استشهاد عمّه حمزة سيد الشهداء حيث بقروا بطنه ، وأكلوا كبده ، وقطعوا مذاكيره ، واغتاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما رأى عمّه على تلك الحال وقال : «لئن مكّنتي

ص: 74

1- صحيح البخاري 8: 66 وج 9: 13 ، صحيح مسلم 3: 1699 ح 2157.

2- صحيح البخاري 7: 159 و 160 ، باب الدواء بألبان الأبل ، وباب الدواء بأبوال الابل .

3- النحل : 126.

الله منهم لأمثلتن بسبعين» ، فنزلت عليه الآية فقال : «صبرت يا رب» ، وعفى عن وحشى قاتل عمه ، وهند التي مثلت بجسده الطاهر وأكلت كبده ، أفلم يكن في وسع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يعفو ويصفح عن قتلة راعيه ؟

فهذه الرواية وأمثالها التي وضعت لارضاء الحكام الذين لا يتورعون عن قتل الأبرياء على الظن والتهمة ويمثلون بهم أشنع التمثيل ، والدليل على ذلك ما جاء في ذيل الرواية نفسها التي أخرجها البخاري يقول:

قال سلام : فبلغني أنّ الحجاج قال لأنس : حدثني بأشدّ عقوبة عاقبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فحدثه بهذا ، فبلغ الحسن فقال : وددت أنّه لم يحدثه بهذا»(1)

وكذلك فقد تفنّن معاوية في التنكيل والتمثيل بالمسلمين الذي كانوا شيعة العلي ، فكم أحرق بالنار ، وكم دفن أحياء ، وكم صلب على جذوع النخل ، ومن الفنون التي ابتكرها وزيره عمرو بن العاص أنّه مثل بمحمد بن أبي بكر وألبسه جلد حمار وقذف به في النار.(2)

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب الجماع

ولتبرير مجونهم وكثرة شغفهم بالجوارى والنساء ، أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الغسل باب إذا جامع ثمّ عاد ، ومن دار على نسائه في غُسلٍ واحد ، قال: حدّثنا معاذ بن هشام قال : حدّثني أبي عن قتادة قال :

حدّثنا أنس ابن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدور على نسائه في الساعة

ص: 75

1- صحيح البخاري 7: 160.

2- تاريخ الطبري 5 : 104

الواحدة من الليل والنهار و هنّ إحدى عشرة ، قال : قلت لأنس : أو كان يُطيقه؟

قال : كُنّا نتحدّث أنّه أعطي قوّة ثلاثين... (1)

ولا نعلم من أين لأنس بن مالك أن يعرف بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة ، فهل لنا أن نسأل أنس بن مالك روي هذه القصة من أخيره بها؟ من أعلمه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُجامع نساءه في ساعة واحدة و هنّ إحدى عشرة؟

هل النبي هو الذي حدّثه بذلك؟ فهل يليق بأحدنا أن يحدّث الناس على مجامعته لزوجته؟

أم أنّ زوجات النبي هنّ اللاتي حدّثنه بذلك؟ فهل يليق بالمرأة المسلمة أن تحكي للرجال عن جماع زوجها لها؟

أم أنّ أنس هو الذي تجسّس على النبي و تتبّع خلواته مع زوجاته وتفرّج عليه من ثقوب الأبواب؟ استغفر الله من همزات الشياطين ولعن الله الكذّابين .

ومن أين عرف أنس أنّه -أي الرسول - أعطي قوّة ثلاثين؟

و ماذا يقول لو عارضته أمّ المؤمنين عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي كانت تقول بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم كغيره من الرجال في شأن الجماع. (2)

ص: 76

1- صحيح البخاري 1: 75-76.

2- صحيح مسلم 1: 272 ح 350، كتاب الطهارة ، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين .



## الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسمع الغناء ويتفرج على الرقص

ولتبرير الغناء والرقص الذي اشتهر في عهد الأمويين إليك هذه الروايات:

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب ضرب الدّف في النكاح والوليمة قال : ... قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء : جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل حين بُي على فجلس على فراشي كمجلسك مني ، فجعلت جُوير ياتُّ لنا يضربن بالدّف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر ، إذ قالت إحداهنّ : وفينا نبيّ يعلم ما في غير ، فقال: دَعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين!<sup>(1)</sup>

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندي جاريتان تُغنيان بغناء بُعاث ، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ، فدخل أبو بكر فانتهرني ، وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله ! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : دعهما ، فلمّا غفل غمزتهما فخرجتا.<sup>(2)</sup>

كما روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت : جاء حبش يزفنون في يوم عيد (أي يرقصون) في المسجد، فدعاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضعت رأسي على منكبيه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم!<sup>(3)</sup>

## النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشرب النبيذ

ولتبرير معاورة الخمر والمسكرات إليك هذه الرواية :

ص: 77

1- صحيح البخاري 7: 25.

2- صحيح البخاري 4: 47، كتاب الجهاد ، باب الدرق ، صحيح مسلم 2: 609 ح 892، كتاب صلاة العيدين ، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه .

3- صحيح مسلم 2: 609 ح 892، كتاب صلاة العيدين ، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه .

روى البخاري في صحيحه عن أبو حازم بن سهل قال : لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فما صنع لهم طعاماً ولا -قربه إليهم إلا - امرأته أم أسيد بلّت تمراتٍ في تورٍ من حجارة من الليل ، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطعام أمانته له فسقته إياه تُحَفُّهُ بذلك. (1)

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والابتدال

ولتبرير الإباحية التي كان عليها الأمويون والعباسيون إليك هذه الرواية :

روى البخاري في صحيحه عن عائشة قالت : حججنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأفضنا يوم النحر ، فحاضت صفية ، فاراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، منها ما يريد الرجل من أهله ، فقلت: يا رسول الله إنها حائض. (2)

عجباً لهذا النبي الذي يحبّ مجامعة زوجته على مشهد وعلم من زوجته الأخرى ، فتعلمه بأنّها حائض بينما لا تعلم المعنية بالأمر من ذلك شيئاً!

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستحي

روى مسلم في صحيحه عن عائشة وعثمان حدّثاه أنّ أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مضطجع على فراشه لايس مِرطٌ عائشة ، فأذن لأبي بكر وهو على تلك الحال ، فقضى إليه حاجته ، ثمّ انصرف ، قال عثمان : ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال ، فقضى إليه حاجته ، ثمّ انصرف ، قال عثمان :

ص: 78

- 
- 1- صحيح البخاري 7: 33، كتاب النكاح ، باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس ، وكذلك باب النقيع والشراب الذي لا يسكر في العرس ، وانظر : صحيح مسلم 3: 1589 ح 2004 و 2005.
  - 2- صحيح البخاري 2: 214، كتاب الحج ، باب الزيارة يوم النحر .

ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة : أجمعي عليك ثيابك ، فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت.

فقال عائشة : يا رسول الله ، مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ عثمان رجلٌ حَيٌّ ، وإني خشيت إن أذنتُ له على تلك الحال أن لا- يبلغ إليَّ في حاجته»(1)

وفي رواية أخرى : فقال رسول الله : «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة»(2)

أي نبي هذا الذي يستقبل أصحابه وهو مضطجع في مرط زوجته على فراشه ، وبجانبه زوجته في لباس مبتذل ، حتى إذا جاء عثمان جلس وأمر زوجته بأن تجمع عليها ثيابها.

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما.(3) قالوا: قالت عائشة : أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى رسول الله فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطٍ فاذن لها ، فقالت : يا رسول الله إنَّ أزواجك أرسلني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، وأنا ساكتة ، قالت : فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ :

«أي بُنيَّة ألت تحبين ما أحبّ ؟ فقالت : بلى ، قال : فأحبي هذه» ...

ثم تمضي الرواية فتقول إلى أن يبعث أزواج النبي مرّة ثانية بزينة بنت جحش زوج النبي ينشدنّه العدل في بنت أبي قحافة فتدخل هي الأخرى على

ص: 79

1- صحيح مسلم 4: 1866 ح 2402 ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عثمان بن عفان.

2- مسند أحمد 6: 62.

3- صحيح البخاري 3: 132 ، صحيح مسلم 7: 136.

رسول الله وهو مضطجع مع عائشة ولا بس مرطها على الحالة التي دخلت عليه فاطمة فتنشد الرسول العدل في بنت أبي قحافة على لسان أزواج النبي ثم تقع في عائشة وتسبها فتنتصر عائشة لنفسها وتقع هي الأخرى في زينب حتى تسكنها فيبتسم عند ذلك رسول الله ويقول: «إنها ابنة أبي بكر»!

فما عساني أن أقول في هذه الرواية المنكرة التي تجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يميل مع هواه ولا يعدل بين زوجته ، وهو الذي جاء القرآن على لسانه : «وإن خفتنم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم»

ثم كيف يأذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة لتدخل عليه وهو على تلك الحالة مضطجع مع زوجته ولا بس مرطها ، فلا يجلس ولا يقوم ويبقى مضطجعاً حتى يقول : أي بُيِّة : ألسنت تحبين ما أحب؟ وكذلك عندما تدخل عليه زوجته زينب وتطالبه بالعدل يبتسم ويقول : إنها ابنة أبي بكر؟

انظر - أيها القاريء - إلى هذه المخازي التي يلصقونها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رمز العدالة والمساواة في حين أنهم يقولون : «مات العدل مع عمر بن الخطاب» ويصوّرون رسول الله شخصاً مستهتراً بالقيم الأخلاقية فلا يعرف الحياء ولا المروءة.

وأخرج مسلم في صحيحه في باب وجوب الغسل بالتقاء الختانين عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالت: إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل وعائشة جالسة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إني الأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل»..

وأترك لك أيها القاريء أن تُعلّق بنفسك على هذه الرواية ، فقد بلغ من تدليل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لزوجته عائشة أن يحدث بجماعها الخاص والعام من الناس

وكم لعائشة بنت أبي بكر من أمثال هذه الروايات التي فيها مسّ من كرامة الرسول والحطّ من قيمته ، فمرة تروي بأنّه يضع خدّه على خدّها لتتفرج على رقص السودان ، ومرة يحملها على كتفه ، ومرة يتسابق معها فتغلبه ويتنظر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى تسمن فيسابقها ويقول هذه بتيك ، ومرة يستلقي على ظهره والنساء يضربن بالدفوف ومزمارة الشيطان في بيته فينتهرها أبو بكر!

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكشف عورته

أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينقلُ معهم الحجارة للكعبة ، وعليه إزاره ، فقال له العباس عمّه : يا ابن أخي ، لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة ، قال : فحلّه فجعله على منكبيه ، فسقط مغشياً عليه ، فما رُئي بعد ذلك عرياناً صلى الله عليه وآله وسلم. (1)

انظر - أيها القاريء - إلى الاتّهامات المزوّرة على رسول الله الذي جعل الحياء من دعائم الايمان ، حيث لم يكتفوا برواية الابتذال وكشف فخذيّه أما أصحابه حتى اتهموه بكشف عورته بهذه الرواية الموضوعيّة ، فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندهم أبله إلى هذه الدرجة فيسمع كلام عمه ويكشف عن سواته أمام الناس؟!

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُسقط بعض آيات من القرآن

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة قالت: سمع رسول صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يقرأ في سورة بالليل ، فقال : يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت

ص: 81

---

1- صحيح البخاري 1: 102، كتاب الصلاة باب كراهية التعري ، صحيح مسلم 1: 268 ح 340، كتاب الحيض ، باب الاعتناء بحفظ العورة .

أنسيتها من سورة كذا وكذا! (1)

ها هو النبي الذي أرسله الله سبحانه بالقرآن وهو معجزته الخالدة والذي كان يحفظه من يوم نزوله عليه جملة قبل نزوله أنجماً وقد قال له تعالى: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» (2)، وقال أيضاً: «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ» (3)

### الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتهاون في صلاته من أجل عقد عائشة

نعم لقد بلغ تدليل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوجته عائشة بنت أبي بكر أنه يحبس نفسه ويحبس المسلمين معه ليجتنبوا عن عقد ضاع من عائشة وليس معهم ماء حتى أن الناس يشتكون من عائشة لأبي بكر فيأتي أبوها يوبخها ويلومها كل ذلك ورسول الله مشغول بالنوم في حجر زوجته .

أخرج البخاري في صحيحه في باب التيمم ، ومسلم في صحيحه في باب التيمم أيضاً عن عائشة أنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا : ألا ترى إلى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء .

ص: 82

1- صحيح البخاري 6: 239 كتاب فضائل القرآن ، باب نسيان القرآن ، صحيح مسلم 1: 543 ح 788 كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا .

2- القيامة : 16 .

3- الشعراء : 192-196 .

فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام ، فقال:

حبست رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت :

فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فخذي ، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أصبح على غير ما ، فأنزل الله آية التيمم فتيّموا.

فقال : أسيد بن الخضير وهو أحد النقباء : ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر .

فقالت عائشة : فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته.(1)

فهل يصدق مؤمن عرف الاسلام بأن رسول الله يتهاون في أمر الصلاة إلى هذه الدرجة ويحبس المسلمين وهم على غير ماء ، وليس عندهم ماء كل ذلك من أجل البحث عن عقد زوجته الذي ضاع منها ، ثم يترك المسلمين يتحسرون على الصلاة ويشتكون إلى أبي بكر، وهو يذهب فينام على فخذ زوجته ثم يستغرق في نوم لا يشعر معه بدخول أبي بكر وتوبيخه عائشة وطعنها في خاصرتها ، وكيف يجوز لهذا الرسول أن يترك الناس يموجون من أجل الماء واقتراب وقت الصلاة وينام هو في حجر زوجته!

ولا شك بأن هذه الرواية وضعت في زمن معاوية بن أبي سفيان ولا أساس لها ، وإلا كيف نفسّر حادثة مثل هذه حضرها كل الصحابة و تغيب عن عمر بن الخطاب فلا يعرفها عندما يسئل عن التيمم كما أخرج ذلك البخاري ومسلم في صحيحيهما في باب التيمم.

ص: 83

## الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كسائر البشر يخطيء ويصيب

وقد رووا في ذلك عدّة روايات ، بل ذكروا أنّ بعض الصحابة كان يصوّب رأي الرسول ويصلحه عندما يخطيء ، كما في قضية أسرى بدر التي أخطأ فيها الرسول وأصاب عمر ، ولولاه لهلك رسول الله... (1).

ومنها: كذلك عندما قدم المدينة وجد أهلها يُؤبّرون النخل ، فقال لهم : « لا تؤبّروه وسيكون تمراً » ولكنّه جاء شيصاً ، فجاؤوه وشكوا له ذلك ، فقال لهم : « أنتم أعلم بأمور دنياكم مني ». (2).

ومنها : أنه سُحِرَ وبقي مسحوراً لا يدري ما يفعل حتى أنّه كان يخيّل إليه أنّه كان يأتي النساء ولا يأتيهنّ. (3) ، أو يخيّل إليه أنّه صنع شيئاً ولم يصنعه. (4).

ومنها : أنّه سها في صلاته فلم يدر كم ركعة صلّى. (5).

ومنها: أنّه نام واستغرق في نومه حتى سمعوا غطيظه، ثمّ استيقظ فصلّى بدون وضوء. (6).

ومنها : أنّه يغضب ويسبّ ويلعن من لا يستحقّ ذلك فيقول : « اللهمّ إنّما أنا بشر ، فأبي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة ورحمة » (7).

هذا غيض من فيض من الكم الهائل من الروايات التي امتلأت بها كتب

ص: 84

1- صحيح مسلم 2: 85 كتاب الجهاد.

2- صحيح مسلم 2: 340 كتاب الفضائل .

3- صحيح البخاري 5: 2175 ح 5432 كتاب الطب .

4- صحيح البخاري 3: 1159 ح 3004 كتاب الجزية .

5- صحيح البخاري 6: 2456 ح 6294 كتاب الايمان والندور .

6- صحيح البخاري 1: 50 ح 117 كتاب العلم.

7- سنن الدارمي 2: 315 كتاب الرقاق.



الصحيح و مسانيد أهل السنّة والجماعة ، والتي تحطّ من قدسية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والمهم في كلّ هذه الأبحاث هو أن نعرف بأنّ المؤامرة ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت مؤامرة خسيّة ودينية تعمل على الانتقاص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحطّ من قيمته إلى درجة أنّ أحدنا اليوم (ورغم كلّ الفساد الذي عمّ البر والبحر) لا يرضى لنفسه مثل هذه المواقف والأفعال ، فما بالنّا بأعظم شخصية عرفها تاريخ البشرية والذي يشهد له ربّ العزّة والجلالة بأنّه على خلق عظيم.

أمّا الشيعة فإنّهم يعتبرون هذه الروايات التي تتناقض مع عصمة الأنبياء كلّها موضوعة من قبل الأمويّين وأنصارهم وذلك :

أولاً : للحطّ من قيمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ثانياً : لكي يلتمسوا عذراً لأعماله القبيحة وأخطائهم الشنيعة التي سجّلها لهم التاريخ ، فإذا كان رسول الله يخطئ ويغضب ويسبّ ويشتم ، فلا لوم بعد ذلك على معاوية بن أبي سفيان و مروان بن الحكم وعمرو بن العاص ويزيد بن معاوية.(1)

يقول الإمام علي عليه السلام:

«... حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعرّ الأرومات مغرساً ، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتخب منها أمناءه ، عترته خير العتر ، وأسرته خير الأسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتت في حرمٍ ، وبسقت في كرمٍ ، لها فروع طوال ، و ثمرة لا تنال ، فهو إمام من اتقى ، وبصيرة من اهتدى ، سراج لمع ضوءه ، وشهاب سطع نوره ، وزند برق

ص: 85

---

1- فاسألوا أهل الذكر : 39 - 66 و ص 259 - 297 ، لأكون مع الصادقين: 23.

لمعه ، سيرته القصد ، سنته الرشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل ، أرسله على حين فترة من الرسل ، وهفوة عن العمل ، وغباوة من الأمم...»(1)

ويقول عليه السلام:

«فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة...»(2)

ويقول عليه السلام :

«أرسله بحجة كافية ، وموعظة شافية ، ودعوة متلافية ، أظهر به الشرائع المجهولة ، وقمع به البدع المدخولة ، وبيّن به الأحكام المفصولة.

أرسله بالضياء ، وقدمه في الاصطفاء ، فرتق به المفاتق ، وساور به المغالب ، وذلل به الصعوبة ، وسهّل به الحزونة حتى سرح الضلال عن يمين وشمال»(3).

ص: 86

---

1- نهج البلاغة : الخطبة 94.

2- نهج البلاغة : الخطبة 95.

3- نهج البلاغة : الخطبة 213.

يتفق السنّة والشيعّة بأنّ القرآن الكريم هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو المرجع الأعلى للمسلمين في أحكامهم وعباداتهم وعقائدهم ، ولكنهم اختلفوا في تفسيره وتأويله ، ومرجع الشيعة في التفسير والتأويل يعود إلى النبي وشروحات الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ، ومرجع أهل السنّة والجماعة يعود إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة - دون تمييز - أو على أحد الأئمّة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة .

فيتفق أهل السنّة مع الشيعة في القول بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيّن المسلمين كلّ أحكام القرآن وفسّر كلّ آياته ، ولكنهم اختلفوا فيمن ينبغي الرجوع إليه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فذهب أهل السنّة إلى الاعتماد على الصحابة ، أمّا الشيعة فقالوا :

إنّ الأئمّة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم المؤهلون لذلك ، وصفوة من الصحابة المنتجبين .

فأهل البيت عليهم السلام هم أهل الذكر الذين أمرنا الله تعالى بالرجوع إليهم في قوله عزّ وجلّ : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »<sup>(1)</sup> وهم الذين اصطفاهم الله تعالى وأورثهم علم الكتاب حيث يقول جلّ شأنه : « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصَّ طَفِينًا مِنْ عِبَادِنَا » ، وهم المعنّيون في قوله تعالى : « لَا يَمَسُّهُ إِلَّا

ص: 87

المُطَهَّرُونَ»(1)، ف«لا» هنا للنفي ، و«يمسّه» تعني يدركه ويفهمه ، وليس المقصود بها لمس اليد ، فهناك فرقٌ بين اللمس والمسّ ، فمدلول الآية : أنه لا يدرك معاني القرآن المكنون إلا نخبة من عباده الذين اصطفاهم وطهّروهم تطهيراً ، والمطهّرون في هذه الآية اسم مفعول أي وقع تطهيرهم ، وقد قال عزّ وجلّ : «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»(2)

## تحريف القرآن

### تحريف القرآن(3)

من المسائل التي يشنّع بها على الشيعة وتنسب إليهم هو القول بتحريف القرآن ، بالرغم من عقيدة الشيعة تنصّ على تنزيه كتاب الله من كلّ تحريف.

وجميع الذين يشنّعون على الشيعة بالقول بالتحريف يحتجّون على الشيعة بكتاب اسمه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب» ومؤلفه الميرزا حسين محمد تقي النوري الطبرسي المتوفي سنة 1320 ، ويريد هؤلاء المتحملون أن يحملوا الشيعة مسؤولية هذا الكتاب ، وهذا مخالف للانصاف .

فكم من كتب كتبت وهي لا تُعبّر في الحقيقة إلا عن رأي كاتبها ومؤلفها ، ويكون فيها الغث والسمين ، وفيها الحقّ والباطل ، وتحمل في طيّها الخطأ والصواب ، ونجد ذلك عند كلّ الفرق الاسلامية ، ولا يختصّ بالشيعة دون سواها، أفيجوز لنا أن نحمل أهل السنّة والجماعة مسؤولية ما كتبه وزير الثقافة المصري وعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين بخصوص القرآن والشعر الجاهلي؟!

ص: 88

1- الواقعة: 79.

2- الأحزاب : 33.

3- لأكون مع الصادقين .

وماذا يقول أهل السنّة والجماعة على ما رواه البخاري - وهو صحيح عندهم - من نقص في القرآن وزيادة، وكذا صحيح مسلم وغيره؟

قال العلامة الطبرسي من كبار علماء الإمامية في القرن السادس الهجري في كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن: «فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية أهل السنّة أنّ في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى (قدّس الله روحه)، واستوفي الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات وذكر في مواضع أنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب، فإنّ العناية اشتدّت والدواعي توقّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدّ لم تبلغه فيما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كلّ شيء اختلّف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغتبراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد».

وكذلك تقول: إنّ هذه التهمة - تحريف القرآن - الملتصقة بالشيعة، هي أقرب لأهل السنّة والجماعة منها إلى الشيعة، وإليك بعض روايات أهل السنّة في ذلك:

1- أخرج الطبراني والبيهقي أنّ من القرآن سورتين إحداهما هي: بسم الله الرحمن الرحيم إنّنا نستعينك ونستغفرك ونُثني عليك الخير كلّ ولا نكفرك، ونخلع وتترك من يفجرك.

والسورة الثانية هي: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إيتك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك الجدد، إنّ عذابك

وهاتان السورتان سمّاهما الراغب في المحاضرات سورتي «القنوت» وهما ممّا كان يقنت بهما سيّدنا عمر بن الخطاب ، وهما موجودتان في مصحف ابن عباس و مصحف زيد بن ثابت.(1)

2 - أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بن كعب قال :كم تقرأون سورة الأحزاب ؟ قال : بضعا وسبعين آية ، قال : لقد قرأتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل البقرة أو أكثر منها ، وإن فيها آية الرجم.(2)

وقد ذكر السيوطي هاتين السورتين في كتابيه الاتقان والدر المنثور .

وهذا يعني أنّ القرآن الذي بين أيدينا ينقص هاتين السورتين الثابتين في مصحف ابن عباس و مصحف زيد، كما يدلّ أيضاً بأنّ هناك مصاحف أخرى غير التي عندنا ، وهو يذكرني أيضاً بالتشيع على أنّ للشيعة مصحف فاطمة ، فافهم!

أمّا قول أبي بن كعب - في الرواية الثانية : «كنتُ أقرأها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل البقرة أو أكثر» - وهو من أشهر القراء الذين كانوا يحفظون القرآن على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي اختاره عمر (3) ليُصلي بالناس صلاة التراويح - فهو يبعث على الشكّ والحيرة كما لا يخفى .

3 - أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده.(4) عن أبي بن كعب قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «إنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، فقال :

ص: 90

1- محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني 2: 433.

2- مسند أحمد 5 : 132.

3- صحيح البخاري 2: 707 ح 1906 كتاب صلاة التراويح .

4- مسند أحمد 5 : 131.

فقراً: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» فقراً فيها: «ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه لسأل ثانياً، فلو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب، وإن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفة غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيراً فلن يكفره.»

هذا غيض من فيض من الروايات التي ملأت كتب أهل السنة والجماعة، وهم غافلون عنها ويشنّعون على الشيعة الذين لا يوجد عندهم عُشر هذا.

وقد يقول قائل من أهل السنة: بأن هذه الروايات ضعيفة، وهي موجودة في كتب ليست بمستوى صحيح البخاري ومسلم.

ولكن مثل هذه الروايات موجودة حتى في صحيح البخاري ومسلم.

فقد أخرج البخاري في صحيحه (1) في باب مناقب عمّار وحذيفة (رضي الله عنهما) عن علقمة قال: قدمت الشام فصلّيت ركعتين، ثم قلت: اللهم يسّر لي جليساً صالحاً، فأتيت قوماً فجلست إليهم، فإذا شيخٌ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: من هذا؟

قالوا: أبو الدرداء.

قلت: إني دعوت الله أن يسّر لي جليساً صالحاً فيسرك لي.

قال: ممّن أنت؟

فقلت: من أهل الكوفة.

قال: أوليس عندكم ابن أمّ عبير صاحب النعلين والوساد والمطهرة؟ وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم؟ أوليس فيكم صاحب سرّ

ص: 91

النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا يعلم أحد غيره؟ ثم قال: كيف يقرأ عبدالله «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى»؟

فقرأت عليه: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذِّكْرِ وَالْأَنْثَى».

قال: والله لقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فيه إلى فيء.

ثم زاد في رواية أخرى قال: ما زال بي هؤلاء حتى كادوا يستنزلوني عن شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (1)

وأخرج البخاري كذلك بسنده عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال: إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها وعينناها، فلذا رجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجمنا بعده، فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصين من الرجال والنساء إذا قامت البيّنة أو كان الحبل والاعتراف، ثم إننا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: «أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم» (2)

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه، قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراءهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإننا كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير

ص: 92

1- صحيح البخاري 3: 1369 ح 3533 كتاب فضائل الصحابة، وانظر رواية أخرى في ص 1373 ح 3550.

2- صحيح البخاري 6: 2504 ح 6442 كتاب المحاريب، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.



أني قد حفظت منها «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»

وكنّا نقرأ سورة كنّا نشبّها بإحدى المسبّحات فأنسيتها غير أنني حفظت منها: «يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة».(1)

وهاتان السورتان المزعومتان اللتان نسيهما أبو موسى الأشعري إحداهما تُشبه براءة يعني 129، والثانية تُشبه إحدى المسبّحات يعني 20 آية لا وجود لهما إلا في خيال أبي موسى، فاقراً واعجب فإني أترك لك الخيار أيها الباحث المنصف .

فإذا كانت كتب أهل السنة والجماعة ومسانيدهم وصحاحهم مشحونة بمثل هذه الروايات التي تدّعي بأن القرآن ناقص مرّة، وزائد أخرى، فلماذا هذا التشنيع على الشيعة الذين أجمعوا على بطلان هذا الادعاء؟!

وكيف يشنّع أهل السنة والجماعة على الشيعة من أجل روايات ساقطة عندهم، ويبرؤون أنفسهم، بينما صحاحهم تثبت صحة تلك الروايات؟(2)

ص: 93

---

1- صحيح مسلم 1: 418ء في باب لو أنّ لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً.

2- لأكون مع الصادقين: 7، الشيعة هم أهل السنة: 247.

إشارة

المقصود بالإمامة هنا الخلافة والحكم والقيادة والولاية.

فالشيعة يعتقدون أن الإمامة هي أصل من أصول الدين لما لها من الأهمية الكبرى والخطورة العظمى ، وهي منصب إلهي يعهد به الله سبحانه إلى من يصطفيه من عباده الصالحين ليقوم بذلك الدور الخطير ، ألا وهو قيادة العالم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا أهل السنة والجماعة فيقولون بوجوب الإمامة لقيادة الأمة ، ولكنهم يجعلون للأمة حق اختيار إمامها وقائدها .

ولمعرفة الحقيقة لا بدّ من توضيح الأمور التالية :

1- الإمامة في القرآن الكريم

قال الله تعالى :

«وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»<sup>(1)</sup>

فالإمامة على ضوء هذه الآية : هي عهد من الله لا ينال إلا العباد الصالحين الذين اصطفاهم الله لهذه الغرض ، لانتفائه عن الظالمين الذين لا يستحقون عهده سبحانه وتعالى ، وبما أنّ الإمام عليّ عليه السلام هو الوحيد من

ص: 94

الصحابة الذي لم يُشرك قبل الاسلام ، فهو اذن الوحيد الذي يستحق عهد الله بالإمامة ، لأنه لم يعبد إلا الله وكرم الله وجهه دون الصحابة ، لأنه لم يسجد الصنم .

وإذا قيل بأن الإسلام يجب ما قبله .

قلنا : نعم ، ولكن يبقى الفرق كبيراً بين من كان مشركاً و تاب ، ومن كان تقيّاً خالصاً لم يعرف إلا الله .

و هناك شواهد قرآنية عديدة تبين هذا المعنى منها الآيات التالية التي اجمع المفسرون على نزولها بحق الإمام علي عليه السلام وهي :

\* «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»(1)

\* «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ».(2)

«الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»(3)

ص: 95

1- المائدة: 55. انظر : تفسير الكشاف للزمخشري 1: 649، جامع البيان في تفسير القرآن للطبري 6: 186.

2- المائدة: 67. انظر : الدر المنثور في تفسير المأثور للسيوطي 3: 117، تفسير الفخر الرازي 12: 49.

3- المائدة: 3، انظر : ترجمة الإمام علي من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 42: 237 ، مناقب علي بن ابي طالب لابن المغازلي الشافعي : 19.

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في الإمامة أقوالاً متعددة ، رواها الشيعة والسنّة في كتبهم ومسانيدهم ، وقد جاءت هذه الأقوال بألفاظ مختلفة ، فجاءت مرّة بلفظ الإمامة كقوله: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ، ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»(1)

وجاء في الخلافة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قریش»(2)

وفي قول آخر: «سيكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من بني هاشم».(3)

وجاء كذلك بلفظ الإمارة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرزعة ويئت الفاطمة»(4)

وبعد هذا العرض الوجيز عن مفهوم الإمامة أو الخلافة من خلال أقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكما صرّحت به مصادر أهل السنّة والجماعة ، لنطلع على رأي الفريقين في هذه المسألة المهمّة.

يعتقد أهل السنّة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفّي ولم يُعيّن أحداً للخلافة ، ولكن أهل الحلّ والعقد من الصحابة اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، ولّوا أمرهم أبا بكر الصديق ، لمكانته من رسول الله ، ولأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه في

ص: 96

1- صحيح مسلم 2: 135 ، كتاب الامارة.

2- صحيح مسلم 2: 122 ، كتاب الامارة .

3- ينابيع المودّة 3: 104 الباب 77.

4- صحيح البخاري 6: 2613 ح 2729 ، كتاب الأحكام .

الصلاة أيام مرضه، فقالوا: رضيهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر ديننا فكيف لا نرضاه الأمر دينا؟

وخلاصة قولهم:

الرسول لم ينصّ على أحد.

لا تكون الخلافة إلا بالشورى.

استخلاف أبي بكر وقع من طرف كبار الصحابة.

ولكن هل من المعقول أن يترك الله الأمة بدون إمام وهو القائل: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» (1)، وكيف يترك الرسول أمته بدون راعٍ، وهو الذي كان يخشى على أمته الفرقة (2)، والانقلاب على الأعقاب (3)، والتنافس على الدنيا (4) ويتبعوا سنن اليهود والنصارى (5)؟!

وإذا كانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر تبعث إلى عمر بن الخطاب حين طعن فتقول له: «استخلف على أمة محمد ولا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة» (6).

وإذا كان عبد الله بن عمر يدخل على أبيه حين طعن فيقول له: «إنّ الناس زعموا أنّك غير مستخلف، وإنّه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمّ جاءك

ص: 97

1- الرعد: 7.

2- مسند أحمد 2: 332.

3- صحيح البخاري 5: 2409 ح 6220، كتاب الرقاق.

4- صحيح البخاري 4: 1486 ح 3816، كتاب المغازي.

5- صحيح البخاري 3: 1274 ح 2269، كتاب الأنبياء.

6- الإمامة والسياسة لابن قتيبة 1: 28.

وتركها رأيت أن قد ضيِّع ، فرعاية الناس أشدّ». (1)

وإذا كان أبو بكر نفسه - وهو الذي استخلفه المسلمون بالشورى - يحظّم هذا المبدأ ويسارع إلى استخلاف عمر من بعده ، ليقطع بذلك دابر الخلاف والفرقة والفتنة.

أقول : فكيف نصدق بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك الأمة بدون استخلاف ، و هل أنه لم يكن يعلم ما علمه أبو بكر وعائشة وعبد الله بن عمر وما يعلمه كل الناس بالبداهة من اختلاف الآراء وتشّتت الأهواء عندما يوكل إليهم أمر اختيار الرئاسة واعتلاء منصّة الخلافة.

أمّا رأي الشيعة فإنهم يؤكّدون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيّن عليّاً للخلافة ، ونصّ عليه في عدّة مناسبات، أشهرها في غدیر خم.

والأدلة التي يذكرها الشيعة في هذا المجال تزخر بها كتب السنّة ، إذ ليس هناك دليل عند الشيعة إلا وعند السنّة مصداقه .

فترى الشيعة أنّ آية البلاغ وهي: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» نزلت على رسول الله يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة عقيب حجة الوداع في غدیر خم قبل تنصيب الإمام عليّ علماً للناس ليكون خليفته من بعده ، حيث اجتمع أكثر من مائة ألف مسلم رافقوا الرسول في حجة الوداع، فجمعهم الرسول على صعيد واحد في هذا المكان ، وخطبهم خطبة بليغة طويلة ، وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم أولى بهم من أنفسهم ، وعند ذلك رفع يد عليّ بن أبي طالب وقال : «من كنت

ص: 98

1- صحيح مسلم 2: 122، كتاب الامارة .

مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وإل من والاه ، وعادٍ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحقّ معه حيث دار) ثمّ ألبسه  
عمامته وعقد له موكباً وأمر أصحابه بتهنئته بإمرة المؤمنين، فعلوا وفي مقدّمهم أبو بكر وعمر يقولان: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت  
وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة. (1)

و من كتب السنّة الأخرى التي ذكرت غدير خمّ وتنصيب الإمام علي عليه السلام انظر :

- 1 - الحافظ أبو نعيم في كتابه نزول القرآن : 86.
- 2 - الإمام الواحدي في كتاب أسباب النزول : 135
- 3 - المتقي الهندي في كنز العمال 13 : 134 ح 36420.
- 4 - جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور 1 : 298.
- 5 - الفخر الرازي في تفسيره الكبير 12 : 50.
- 6 - محمد رشيد رضا في تفسير المنار 6 : 463.
- 7 - الشوكاني في فتح القدير 2 : 60.
- 8 - الآلوسي في روح المعاني 6 : 193.
- 9 - بدر الدين الحنفي في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري 18 : 206.
- 10 - الحموي في فرائد السمطين 1 : 158 ح 120.

فهذا نزر يسير ممّن يحضرنى، وهناك أضعاف هؤلاء من علماء أهل السنّة .

أفيمكن بعد كلّ هذا أن يقول قائل بأنّ حديث الغدير هو من مختلفات ..

ص: 99

- 
- 1- صحيح مسلم 2: 362 باب فضائل علي بن أبي طالب ، صحيح الترمذي 5: 591، باب 20، مسند أحمد 4: 281 و 372، السنن الكبرى للنسائي 5: 130 ح 8464، مستدرک الحاكم 3 : 118 ح 4576 الصواعق المحرقة : 43، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 8: 289 - 290 ، الملل والنحل للشهرستاني: 70.

ولكن رغم كل ذلك فإن قريشاً اختارت لنفسها وأبت أن تكون في بني هاشم النبوة والخلافة فيتبجحون على قومهم بـجِحاً بـجِحاً ، كما صرّح بذلك عمر بن الخطاب لعبدالله بن عباس في محاوره دارت بينهما (1).

وخلاصة القول : إنّ حديث الغدير «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحقّ معه حيث دار» هي حادثة تاريخية عظيمة أجمعت الأمة الاسلامية على نقلها ، فقد مرّ علينا أنّه ذكرها ثلاثمائة وستون من علماء أهل السنّة والجماعة ، وأكثر من ذلك من علماء الشيعة ، ولا يُستغرب كذلك أن تنقسم الأمة الاسلامية إلى سنّة و شيعة ، تمسّكت الأولى بمبدأ الشورى في سقيفة بني ساعدة، وتأوّلت النصوص الصريحة ، وخالفت بذلك ما أجمع عليه الرواة من حديث الغدير وغيره من النصوص ، وتمسّكت الثانية بتلك النصوص فلم ترض عنها بدلاً ، وبايعت الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت ولم تبغ عنهم حولاً (2).

### شواهد على ولاية علي

الشاهد الأول : يتعلّق بعقوبة من كذب بولاية علي ، وذلك أنّه بعد شيوخ خبر غدير خم و تنصيب الإمام علي عليه السلام خليفة على المسلمين وقول الرسول لهم :

«فليبلغ الشاهد الغائب» وصل الخبر إلى الحارث بن النعمان الفهري ولم يُعجبه ذلك فأقبل على رسول الله وأناخ راحلته أمام باب المسجد ودخل على النبي

ص: 100

1- تاريخ الطبري 4: 223، الكامل في التاريخ 2: 218 ، نهج البلاغة لابن أبي الحديد 12 : 53.

2- لأكون مع الصادقين : 27 - 33، الشيعة هم أهل السنّة : 82 - 88.



فقال : يا محمد إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله فقبلنا منك ذلك ، وأمرتنا أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة ونصوم رمضان ونحج البيت ونزكي أموالنا فقبلنا منك ذلك ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضدته على الناس وقلت : «من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أو من الله؟»

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد احمرت عيناه : «والله الذي لا إله إلا هو إنه من الله وليس مني»، قالها ثلاثاً .

فقام الحارث وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأرسل علينا حجارة من السماء أو اتتنا بعذاب أليم .

قال : فوالله ما بلغ ناقته حتى رماه الله من السماء بحجر فوق على هامته فخرج من دبره ومات ، وأنزل الله تعالى : «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ» (1)

الشاهد الثاني : يتعلّق بعقوبة من كتم الشهادة بحادثة الغدير ، وذلك عندما قام الإمام علي أيام خلافته في يوم مشهود، إذ جمع الناس في الرحبة ونادى من فوق المنبر قائلاً : «أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدیر خم : (من كنت مولاه فعلي مولاه) إلا قام فشهد بما سمع ، ولا يقيم إلا من رآه بعينه وسمعه بأذنيه» فقام ثلاثون صحابياً منهم اثنا عشر بدرياً فشهدوا بذلك.

ص: 101

---

1- المعارج: 1 - 2. انظر هذه الحادثة في شواهد التنزيل للحسكاني 2: 381، تفسير القرطبي 18: 181 ، تفسير المنار 6: 464، المستدرک للحاکم 2: 545 ح 3854، السيرة الحلبية 3: 275، تذكرة الخواص لابن الجوزي: 31.

ولكن بعض الصحابة ممّن حضروا واقعة الغدير أّعدّهم الحسد أو البُغض للإمام ، فلم يقوموا للشهادة ، ومن هؤلاء أنس بن مالك ، حيث نزل إليه الإمام عليّ من المنبر وقال له : «ما لك يا أنس لا تقوم مع أصحاب رسول الله فتشهد بما سمعته منه يومئذٍ كما شهدوا؟».

فقال : يا أمير المؤمنين ، كُبرت سنّي ونسيت .

فقال الإمام علي عليه السلام: «إن كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لا توارىها العمامة»، فما قام حتى ابيضّ وجهه برصاً ، فكان بعد ذلك يبكي ويقول :

أصابتنى دعوة العبد الصالح لأتّي كتمت الشهادة.(1)

ص: 102

---

1- مسند أحمد 1: 119، كتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري : 580، أنساب الأشراف 1: 152، السيرة الحلبية 3: 274، تاريخ دمشق لابن عسّاك 2: 12. لأكون مع الصادقين: 33.

## الفصل الثالث: مصادر التشريع عند الفريقين

إشارة

ص: 103



وهي كلّ ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو فعله أو أقرّه ، وهي المرجع الثاني عندهم بعد القرآن الكريم في أحكامهم وعباداتهم وعقائدهم ، ويضيف أهل السنّة والجماعة إلى السنّة النبويّة سنّة الخلفاء الراشدين الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، بل يضيف بعضهم إلى سنة الرسول سنّة الصحابة بأجمعهم - أي صحابي كان - فعندهم : «أصحابي كالنجوم ، بأيّهم اقتديتم اهتديتم» (1).

و هذا الحديث لا ينسجم مع العقل والمنطق والحقيقة العلمية ، إذ أنّ العرب لم يكونوا ليهدتوا في مسيرهم الصحراوي لمجرّد اقتدائهم بأيّ نجم من النجوم ، وإنّما كانوا يهدون باتّباع نجوم معيّنة محدّدة معروفة لها أسماءها ، كما أنّ الأحداث اللاحقة والممارسات التي بدت من بعض الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تؤيّد هذا الحديث ، فقد طعن الصحابة بعضهم ببعض (2) ، ولعن بعضهم بعضاً (3) ، وقتل بعضهم بعضاً (4) ، بل كيف يمكن أن يقتدي بمعاقبة الخارج

ص : 105

- 1- ميزان الاعتدال 1: 413 ت 1511 ، مسند أحمد 4 : 399.
- 2- كطعن أكثر الصحابة في عثمان حتى قتلوه.
- 3- كما فعل ذلك معاوية الذي كان يأمر بلعن علي .
- 4- كحروب الجمل وصفين والنهروان وغيرها .

على إمام زمانه أمير المؤمنين في حربته للإمام علي عليه السلام مهتدياً وهو يعلم أنّ الرسول سمّاه إمام الفئة الباغية. (1)، وكيف يكون من المهتدين من يقتدي بعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وبسر بن أرطاة وقد قتلوا الأبرياء لتدعيم ملك الأمويين.

## الثقلين

### الثقلين (2)

هناك سؤال يطرح نفسه وهو: هل ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة شيئاً تعتمد عليه و ترجع إليه فيما قد يقع فيه الخلاف الذي لا بدّ منه ، والذي سجّله كتاب الله بقوله :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...» (3)

نعم ، لا بدّ للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك للأئمة قاعدة ترتكز عليها ، لذا روى أصحابه أنّه قال :

تركت فيكم الثقلين ، ما إن تمسّ كتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (4)

ص: 106

1- اشارة إلى قوله وا : «عمار تقتله الفئة الباغية» ، الاصابة لابن حجر 2: 512

2- لأكون مع الصادقين .

3- النساء : 59.

4- مستدرك الحاكم 3: 118 ح 6579 ، كتاب معرفة الصحابة . وانظر كذلك من رواة هذا الحديث : صحيح مسلم 2: 362 ، صحيح الترمذي 5: 622 ح 3788 ، خصائص النسائي 5: 130 ح 8464 ، مسند أحمد 3 : 17 ، كنز العمال 13 : 104 ح 36340 ، الطبقات الكبرى لابن سعد 2: 194 ، مجمع الزوائد 9: 163 ، تفسير ابن كثير 4: 114 .

و هذا الحديث صحيح ثابت ، أخرجه المحدثون من الفريقين السنة والشيعه ، ورووه في مسانيدهم وفي صحاحهم عن طريق ما يزيد على ثلاثين صحابياً . ولكن البعض يحاول التشكيك بهذا الحديث و تبديله به «كتاب الله وسنتي»؟! علماً بأن هذا الحديث لم تنقله كتب السنة المعتمدة كالبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وغيرها، وعلى فرض نقله في بعض الكتب فلا عبرة له لأن الاجماع على خلافه ، إضافة إلى ذلك فإن هذا الحديث لا يستقيم مع الواقع لا نقلاً ولا عقلاً ، وذلك من وجوه :

1- اتفق علماء السنة بأن رسول الله منع من كتابة أحاديثه ، ولم يدع أحد أنه كان يكتب السنة النبوية في عهده ، فقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «تركت فيكم كتاب الله وسنتي» لا يستقيم .

2- لما اشتد برسول الله وجعه . وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام - طلب منهم أن يأتوه بالكثف والدواة ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده أبداً ، فقال عمر بن الخطاب :

إن رسول الله ليهجر ، وحسبنا كتاب الله! (1)

فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لهم من قبل : «تركت فيكم كتاب الله وسنتي» لما جاز لعمر بن الخطاب أن يقول : حسبنا كتاب الله ، لأنه بذلك يكون هو والصحابة الذي قالوا بمقالته رادين على رسول الله ، ولا أظن أن أهل السنة والجماعة يرضون بهذا .

3- من المعروف أن أول حادثة اعترضت أبا بكر في أوائل خلافته هي

ص: 107

---

1- صحيح البخاري 4: 1612 ح 4168 ، كتاب المغازي ، صحيح مسلم 2: 16 ، كتاب الوصية .

قراره محاربة مانعي الزكاة ، رغم معارضة عمر بن الخطاب له واستشهاده بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله عصمني ماله ودمه إلا بحقها، وحسابه على الله».(1)

فلو كانت سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معلومة ما كان أبو بكر يجهلها وهو أولى الناس بمعرفتها ، ولكن عمر بعد ذلك اقتنع بتأويل أبي بكر للحديث الذي رواه وقول أبي بكر بأن الزكاة هي حق المال ، ولكنهم أغفلوا أو تغافلوا عن سنة الرسول الفعلية التي لا تقبل التأويل وهي قصة ثعلبة الذي امتنع عن دفع الزكاة الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزل فيه قرآن، ولم يقاتله رسول الله ولا أجبره على دفعها ، وأين أبو بكر وعمر من قصة أسامة بن زيد الذي بعثه رسول الله في سرية ، ولما غشي القوم وهزمهم لحق رجلا منهم فلما أدركه قال : لا إله إلا الله فقتله أسامة ، ولما بلغ النبي ذلك قال : «يا أسامة أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله»؟

قال : كان متعوذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلم قبل ذلك اليوم.(2)

ولكل هذا لا يمكن أن نصدق بحديث « كتاب الله وسنتي » لأن الصحابة أول من جهل السنة النبوية ، فكيف بمن جاء بعدهم؟ وكيف بمن بعد مسكنه عن المدينة ؟

4\_ من المعروف أيضاً أنّ كثيراً من أعمال الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت مخالفة لسنة.

فإنما أن يكون هؤلاء الصحابة يعرفون سنة صلى الله عليه وآله وسلم وخالفوها عمداً، اجتهاداً

ص: 108

1- صحيح البخاري 1: 2657 ح 6855، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

2- صحيح البخاري 6: 2519 ح 6478 كتاب الديات ، صحيح مسلم 1: 54 كتاب الايمان .



منهم في مقابل نصوص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى :

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»(1)

وإما أنهم كانوا يجهلون سنته صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يحق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحال هذه أن يقول لهم : «تركت فيكم سنتي» وهو يعلم أن أصحابه وأقرب الناس إليه لم يحيطوا بها علماً، فكيف بمن يأتي بعدهم ولم يعرفوا ولم يشاهدوا النبي؟!!

هـ - من المعلوم أيضاً أنه لم تدون السنة إلا في عهد الدولة العباسية ، وأن أول كتب كتب في الحديث هو موطأ الإمام مالك ، وذلك بعد الفتنة الكبرى، وبعد واقعة الحرّة واستباحة المدينة المنورة وقتل الصحابة فيها صبراً ، فكيف يطمئن الإنسان بعد ذلك إلى رواية تقرّبوا للسلطان لنيل الدنيا ، ولذلك اضطربت الأحاديث وتناقضت ، وانقسمت الأمة إلى مذاهب ، فما ثبت عند هذا المذهب لم يثبت عند غيره ، وما صحّحه هذا يكذّبه ذلك ، فكيف نُصدق بأن رسول الله قال :

تركت فيكم كتاب الله وسنتي» وهو الذي كان يعلم بأن المنافقين والمنحرفين سوف يكذبون عليه ، وقد قال : «كثرت عليّ الكذابة ، فمن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار».(2)

وإذا كانت الكذابة قد كثرت في حياته فكيف يُكلّف أمته باتّباع سنته ، وليس لهم معرفة بصحيحها من سقيمها وغثها من سمينها؟!!

6- يروي أهل السنة والجماعة في صحاحهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك

ص: 109

1- الأحزاب : 36.

2- صحيح البخاري 1: 52 ح 106 - 110.

ثقلين أو خليفتين ، أو شيئين ، فمرة يروون كتاب الله وسنة رسوله ، ومرة يروون عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، ومعلوم بالضرورة أن الحديث التالي يضيف - إلى كتاب الله وسنة رسوله - سنة الخلفاء ، فتصبح مصادر التشريع ثلاثة بدلاً من اثنتين ، وكل هذا يتنافى مع حديث الثقلين الصحيح والمتفق عليه من السنة والشريعة ، ألا وهو «كتاب الله وعترتي».

7- إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم علم اليقين بأن أصحابه الذين نزل القرآن بلغتهم ولهجاتهم - كما يقولون - لم يعرفوا كثيراً من تفسيره ولا تأويله ، فكيف بمن يأتي بعدهم ؟ أو كيف بمن يعتنق الإسلام من الروم والفرس والحشب وكل الأعاجم الذين لا يفهمون العربية ولا يتكلمونها !؟

وقد ثبت في الأثر أن أبا بكر سئل عن قوله تعالى : «وَفَاكِهَةً وَأَبًّا» فقال :

أيّ سماء تظلّني ، وأيّ أرض تقلّني أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم. (1)

وبعد كلّ هذا فهل يمكن التصديق بحديث كتاب الله وسنتي؟

فالثقل الثاني بعد القرآن الذي أوصى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هم عترته وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والذين لا يشكّ أحدٌ من المسلمين في غزارة علمهم وفي زهدهم وتقواهم ، فهم وارثي علم الكتاب ، فلا يخالفونه ، ولا يختلفون فيه ، بل لا يفارقونه حتى قيام الساعة ، وهم الذين أوصى بهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

إنّي تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. (2)

ص: 110

1- ارشاد الساري القسطلاني 10 : 311 ، فتح الباري لابن حجر 13 : 230 .

2- مسند أحمد 5 : 182 و 189 ، الدر المنثور للسيوطي 2 : 60 ، كنز العمال 1 : 172 ، مجمع الزوائد 9 : 162 ينابيع المودة 1 : 38 ، عبقات الأنوار 7 : 192 .

أيّها القارئ العزيز ، لا يستفزّك هذا العنوان ، فأنت بحمد الله تمشي على طريق الحقّ لتصل في النهاية إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فلا تدع وساوس الشيطان ، ولا الغرور بالنفس ، ولا التعصب المقيت يستولي عليك ويصدك عن الوصول إلى الهدف المنشود والحق المفقود وجنّة الخلود.

فهل تعلم - مثلاً - أنّ المتّسمين ب «أهل السنّة والجماعة» هم القائلون بخلافة الخلفاء الراشدين الأربعة : «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي» ، هذا ما يعرفه الناس اليوم .

ولكن الحقيقة المؤلمة هي أنّ علي بن أبي طالب لم يكن معدوداً عند «أهل السنّة» من الخلفاء الراشدين ، لا ولم يعترفوا حتى بشرعية خلافته ، وإتّما ألحقّ عليّ بالخلفاء الثلاثة في زمن متأخر جداً ، وذلك في سنّة ثلاثين ومائتين للهجرة في زمن أحمد بن حنبل.

أمّا الصحابة من غير الشيعة والخلفاء والملوك والأمراء الذين حكموا المسلمين من عهد أبي بكر وحتى عهد الخليفة العباسي المعتصم لم يكونوا يعترفون بخلافة علي بن أبي طالب أبداً ، بل منهم من كان يلعنه ولا يعتبره حتى من المسلمين وإلا كيف يجوز لهم سبّه ولعنه علي المنابر؟! واستمر هذا اللعن طيلة حكم بني أمية - باستثناء حكم عمر بن عبد العزيز - ، بل كان الحقد واضحاً حتى في خلافة بني العباس ، فهذا المتوكّل العباسي يصل به الحقد إلى نبش قبر علي وقبر الحسين بن علي وذلك سنة

أربعين ومائتين للهجرة .

وهذا الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين في عهده، يخطب الناس يوم الجمعة فيقول لهم من فوق المنبر : «إن الحديث الذي رُوي عن رسول الله أنت مني بمنزلة هارون من موسى صحيح ولكنّه محترف لأنّ رسول الله قال له : أنت منّي بمنزلة قارون من موسى» فاشتبه علي السامع. (1)

والتاريخ يؤكّد بأنّ أحمد بن حنبل هو أوّل من (ربّع) الخلافة الراشدة واعتبر خلافة الامام علي صحیحة ، ولعلّه بهرته الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل علي والتي ظهرت رغم أنف الحكّام ، فهو القائل : «لم يرد في أحدٍ من الناس من الفضائل بالأحاديث الحسان مثل ما ورد في عليّ بن أبي طالب»..

و الدليل على ذلك ما جاء في طبقات الحنابلة - وهو الكتاب الصحيح والمشهور عندهم - : عن ابن أبي يعلى بالإسناد عن وريزة الحمصي قال :

دخلت على أحمد بن حنبل حين أظهر التبريع بعلي (رضي الله عنه) (2) فقلت له : يا أبا عبد الله إنّ هذا الطعن على طلحة والزبير!

فقال : بسما قلت ، وما نحن وحرب القوم وذكرها ؟ فقلت : أصلحك الله إنّما ذكرناها حين ربّعت بعلي وأوجبت له الخلافة وما يجب للأئمّة قبله !

فقال لي : وما يمنعني من ذلك ؟ قلت : حديث ابن عمر ، فقال لي : عمر خير من ابنه فقد رضي عليّاً للخلافة على المسلمين وأدخله في الشورى، وعلى

ص: 112

1- تاريخ بغداد 8: 268.

2- انظر إلى هذا المحدث رغم أنّه لا يسب عليّاً ولا يلعنه بل يقول : (رضي الله عنه) ولكنّه لا يقبل بأن يكون علي معدوداً من الخلفاء و ينكر ذلك على أحمد بن حنبل ، وقوله : «إنّما ذكرناها» يدلّ على أنّه يتكلّم باسم الجماعة وهم أهل السنّة الذين بعثوه إلى أحمد بن حنبل منكرين عليه .

قد سمى نفسه أمير المؤمنين ، أفأقول أنا ليس للمؤمنين بأمر ؟! قال : فانصرفت عنه.(1)

و من هذه القصة يتبين لنا بأن «أهل السنة» لم يقبلوا بخلافة علي ويقولوا بصحتها إلا بعد أحمد بن حنبل بكثير كما لا يخفى.

أما حديث ابن عمر فأخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر ، قال : «كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان (رضي الله عنهم)(2)، كما أخرج البخاري حديثاً آخر عن ابن عمر أكثر صراحة من الأول إذ قال عبد الله بن عمر : «كنا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تفاضل بينهم»(3)

أليس هذا أكبر دليل على أن «أهل السنة والجماعة» كانوا من النواصب الذين يبغضون علياً ويعملون على انتقاصه وإسقاطه ؟

ولقائل أن يقول : كيف يصح ذلك ونحن نرى اليوم «أهل السنة والجماعة» يحبون الإمام علياً ويترضون عنه ، وهو عندهم - رابع الخلفاء الراشدين ، وهو باب مدينة العلم رضي الله عنه وكرم الله وجهه ؟

ونحن نقول لهم : فلماذا لا تقلدوه في أمور دينكم ودنياكم إن كان اعتقادكم فيه صحيحاً بأنه باب مدينة العلم؟

لماذا تركتم الباب عمداً وقلدتم أبا حنيفة ومالكاً ، والشافعي وابن حنبل

ص: 113

1- طبقات الحنابلة 1: 393 ح 510.

2- صحيح البخاري 4: 191 كتاب بدء الخلق ، باب فضل أبي بكر بعد النبي .

3- صحيح البخاري 4: 203 كتاب بدء الخلق ، باب مناقب عثمان .

و ابن تيمية ، الذين لا يدانوه في علم ولا عمل ولا فضل ولا شرف ، فأين الثرى من الثريا ، و اين معاوية من علي لو كنتم تعقلون.

## مَن الذي أطلق مصطلح أهل السنة والجماعة؟

مَن الذي أطلق مصطلح أهل السنة والجماعة؟(1)

لقد بحثت في التاريخ فلم أجد إلا أنهم اتفقوا على تسمية العام الذي استولى فيه معاوية على الحكم «عام الجماعة» ، وذلك أن الأمة انقسمت بعد مقتل عثمان إلى قسمين: شيعة علي وأتباع معاوية ، ولما استشهد الإمام علي عليه السلام واستولى معاوية على الحكم بعد الصلح الذي أبرمه مع الإمام الحسن وأصبح معاوية هو أمير المؤمنين سُمي ذلك العام «عام الجماعة»، إذ أفتسمية «أهل السنة والجماعة» دالة على أتباع سنة معاوية والاجتماع عليه و ليست تعني أتباع سنة رسول الله ، فالأئمة من ذريته وأهل بيته أدري وأعلم بسنة جدّهم من الطلقاء ، وأهل البيت أدري بما فيه .

ورغم اعترافنا بالحديث الذي ذكر فيه رسول الله اثني عشر خليفة كلهم من قريش إلا أننا نتوقف دائماً عند الخلفاء الأربعة ، ولعلّ معاوية الذي سمّانا «أهل السنة والجماعة» كان يقصد الاجتماع على السنة التي سنّها بسبّ علي وأهل البيت والتي استمرت ستين عاماً ، ولم يقدر على إزالتها إلا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وقد يحدثنا بعض المؤرخين أن الأمويين تأمروا على قتل عمر بن عبد العزيز وهو منهم لأنه أمان السنة وهي لعن علي بن أبي طالب .

ص: 114

1- ثم اهتديت .

هناك شيء مهم لا غنى للباحث أن يتعمّق فيه ، ليكتشف بدون لبس بأنّ الذين يتسمون بـ «أهل السنّة» ليس لهم في الحقيقة من سنّة النبي شيء يذكر .

وذلك لأنّهم ، أو بالأحرى لأنّ أسلافهم من الصحابة والخلفاء الراشدين عندهم الذين يقتدون بهم ويتقربون إلى الله بحبهم وولائهم قد وقفوا من السنّة النبوية موقفاً سلبياً إلى درجة أنّهم أحرقوها ومنعوا من كتابتها والتحدث بها .

لقد عمل الحكّام الأولون على :

أولاً : وضع الأحاديث المكذوبة التي تؤيد مذهبهم في منع الكتابة لعموم السنّة النبويّة والأحاديث الشريفة.

فها هو الإمام مسلم يخرج في صحيحه ، عن هذّاب بن خالد الأزدي ، عن همام ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «لا تكتبوا عنيّ ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحّه ، وحدثوا عني ولا حرج...»

والغرض من وضع هذا الحديث هو تبرير ما فعله أبو بكر وعمر تجاه الأحاديث النبويّة التي كتبها بعض الصحابة ودونها ، وقد وضع هذا الحديث في زمن متأخر عن الخلفاء الراشدين ، وغفل الوضعون الكاذبون عن الأمور التالية :

أ: لو قال هذا الحديث صاحب الرسالة لا يمثل أمره الصحابة الذين كتبوا عنه ولمحوه قبل أن يتولى أبو بكر وعمر حرقها بعد سنوات عديدة من وفاة

ص: 115

النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ب: لو كان هذا الحديث صحيحاً لاستدلّ به أبو بكر أولاً، ثمّ عمر ثانياً، التبرير منعهما كتابة الأحاديث و محوها، ولاعتذر أولئك الصحابة الذين كتبوها إمّا جهلاً وإمّا نسياناً.

ت: لو كان هذا الحديث صحيحاً لوجب على أبي بكر وعلى عمر أن يمحووا الأحاديث محوّاً لا أن يحرقوها حرقاً.

ث: لو صحّ هذا الحديث فالمسلمون من عهد عمر بن عبد العزيز إلى يوم الناس هذا كلّهم آثمون لأنّهم خالفوا نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأسهم عمر بن عبد العزيز الذي أمر العلماء في عهده بتدوين الأحاديث وكتابتها، والبخاري ومسلم اللذان يُصحّحان هذا الحديث ثمّ يعصيانه ويكتبان ألوف الأحاديث عن النبي .

ج: وأخيراً لو صحّ هذا الحديث لما غاب عن باب مدينة العلم علي بن أبي طالب الذي جمع أحاديث النبي في صحيفة طولها سبعون ذراعاً ويسمّيها الجامعة.

ثانياً: عمل الحكام الأمويين على التأكيد بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير معصوم عن الخطأ وهو كغيره من البشر الذين يخطئون ويصيبون، ويروون في ذلك عدّة أحاديث، والغرض من وضع تلك الأحاديث هو التأكيد على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجتهد برأيه فكان كثيراً ما يخطيء ممّا حدا ببعض الصحابة أن يصبوا رأيه، كما جاء ذلك في قضية تأييد النخل ونزول آية الحجاب، والاستغفار للمنافقين، وقبول الفدية من أسرى بدر، وغير ذلك ممّا يدّعيه «أهل السنّة والجماعة» في صحاحهم وما يعتقدونه في صاحب الرسالة (عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام).



إذا كان هذا هو دينكم وهذا هو اعتقادكم في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف تدعون إلى التمسك بسنّته ، وسنّته عندكم وعند أسلافكم غير معصومة ، بل غير معلومة وغير مكتوبة ؟ على أنّنا نردّ على هذه المزاعم والأكاذيب وندحضها من نفس كتبكم وصحاحكم. (1)

فهذا الإمام البخاري يخرج في صحيحه من كتاب العلم وفي باب كتابة العلم ، عن أبي هريرة قال : ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب. (2)

ويستفاد من هذه الرواية بأنّ هناك من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كان يكتب أحاديثه ، وإذا كان أبو هريرة يروي أكثر من ستّة آلاف حديث عن النبي شفاهياً فإن عبد الله بن عمرو بن العاص فاق هذا العدد كتابياً ، ولذلك اعترف أبو هريرة بأنّ عبد الله بن عمرو أكثر منه أحاديث عن النبي لأنّه كان يكتب ، ولا شكّ بأنّ هناك في الصحابة كثير ممّن كانوا يكتبون عن النبي أحاديثه ولم يذكرهم أبو هريرة لعدم اشتغالهم بكثرة الرواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا أضفنا إلى هؤلاء الإمام علي بن أبي طالب الذي كان ينشر فوق المنبر صحيفة يسمّيها الجامعة ، جمع فيها كلّ ما يحتاجه الناس من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد توارثها الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام وكثيراً ما تحدّثوا عنها ، فقد

ص: 117

1- الغريب أنّ أهل السنّة كثيرا ما يروون الحديث ونقضيه في نفس الكتاب ، والأغرب من ذلك أنّهم كثيراً ما يعملون بما هو مكذوب ويهملون ما هو صحيح.

2- صحيح البخاري 1: 36 باب كتابة العلم.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : «إنَّ عندنا الصحيفة طولها سبعون ذراعاً ، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطَّ علي بيده ، ما من حلال ولا حرام وما من شيء يحتاج إليه الناس وليس قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش».(1)

وقد أشار البخاري نفسه في صحيحه إلى هذه الصحيفة التي كانت عند علي في عدّة أبواب من كتابه ، ولكنه وكما عوّدنا البخاري فإنه أبتّر الكثير من خصائصها ومضمونها .

قال البخاري في باب كتابة العلم : عن الشعبي ، عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب؟

قال : «لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجلاً مسلماً أو ما في هذه الصحيفة» . .

قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟

قال: «العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر»(2)

كما جاء في صحيح البخاري في موضع آخر قوله : «عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي قال : «ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم»(3)

وأخرج أيضاً عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : خطبنا علي فقال : «ما عندنا كتاب نقرأه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة».(4)

ص: 118

---

1- الكافي 1: 239.

2- صحيح البخاري 1: 36.

3- صحيح البخاري 2: 221.

4- صحيح البخاري : 67، صحيح مسلم 4: 115.

هذه الأحاديث وغيرها تعتبر دليل قاطع على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينه عن كتابة أحاديثه أبداً ، بل العكس هو الصحيح ، وأنّ الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه «لا تكتبوا عنيّ ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحّه» هو حديث مكذوب وضعه أنصار الخلفاء لتأييد و تبرير ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان من حرق الأحاديث النبوية ومنع السنّة من الانتشار ، وممّا يزيدنا يقيناً بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينه عن كتابة الأحاديث عنه ، بل إنّ أمر بها ، هو ما قاله الإمام عليّ أقرب الناس للنبي : «ما كتبنا عنه غير القرآن وما في هذه الصحيفة» والذي صحّحه البخاري (1).

و حتى لا يبقى عندك شكّ - أيّها القارىء العزيز - أزيدك ما يلي :

أخرج الحاكم في مستدركه ، وأبو داود في سننه ، والإمام أحمد في مسنده ، والدارمي في سننه ، أخرجوا كلّهم حديثاً مهمّاً جداً بخصوص عبد الله بن عمرو الذي ذكره أبو هريرة بأنّه كان يكتب عن النبي ، قال عبد الله بن عمرو : كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فنهتني قريش وقالوا : تكتب كلّ شيء سمعته من رسول الله وهو بشر يتكلم في الغضب والرضا؟

قال عبد الله : فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأوماً إلى فيه وقال : «أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ الحق» (2).

ونلاحظ من خلال هذا الحديث بأنّ عبد الله بن عمرو كان يكتب كلّ ما يسمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينه النبي عن ذلك ، وإنّما وقع النهي من قريش ، ولم

ص: 119

1- صحيح البخارى 4: 69.

2- مستدرک الحاكم 1: 105، سنن أبي داود 3: 318 ح 3646، سنن الدارمي 1: 125، مسند أحمد 2:

يرد عبدالله التصريح بأسماء الذين نهوه عن الكتابة لأنّ في نهيم طعن على رسول الله ، كما لا يخفى فبهم القول بأنهم قريش ، والمقصود بقريش زعماءها من المهاجرين وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وطلحة والزبير ومن سار على رأيهم .

كما نلاحظ بأنّ نهيم لعبدالله كان في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا ما يؤكد عمق المؤامرة وخطورتها .

وإلا لماذا يعمد هؤلاء لنهي عبدالله عن الكتابة بدون الرجوع إلى النبي نفسه؟

كما يفهم أيضاً من قولهم له : إنّ رسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ، أن عقيدتهم في النبي كانت هزيلة إلى درجة أنّهم يشكون فيه بأنه يقول باطلاً ويحكم ظلماً خصوصاً في حالة الغضب ، وما قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما ذكر له عبدالله بن عمرو نهى قريش وما قالوه في شأنه فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق » - إشارة إلى فمه - لدليل آخر على علم الرسول بشكّهم في عدالته ، وأنهم يجوزون عليه الخطأ وقول الباطل فأقسم بالله بأنه لا يخرج من فمه إلا الحق .

## مصادر التشريع عند الشيعة

مصادر التشريع عند الشيعة (1)

المتتبع لفقّه الشيعة الإمامية يجدهم ينقطعون في كلّ الأحكام الفقهية - إلا المستحدثة - إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام .

وهؤلاء عندهم مصادر التشريع اثنان لا ثالث لهما : الكتاب والسنة .

ص : 120

1- الشيعة هم أهل السنة .

فهذه أقوال الشيعة قديماً وحديثاً ، بل هي أقوال الأئمة من أهل البيت الذين لم يدع واحد منهم أنه أجتهد برايه أو حكم حكماً من عنده .

فهذا الإمام الأول علي بن أبي طالب عليه السلام عندما اختاره للخلافة واشترطوا عليه أن يحكم فيهم بسنة الشيخين أبي بكر وعمر ، قال : «لا أحكم إلا بكتاب الله وسنة رسوله» .

وهذا الإمام الصادق عليه السلام يقول : «والله ما نقول بأهوائنا ولا نقول برأينا ، ولا نقول إلا ما قال ربنا ، فمهما أجتك فيه بشيء فهو من رسول الله لسنا نقول برأينا من شيء» .

وحتى إذا رجعنا للمرجع الكبير المعاصر الشهيد آية الله محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه) نجده يقول في رسالته العملية لفقهِ العبادات والمعاملات - في الفتاوى الواضحة - يقول حرفياً : «ونرى من الضروري أن نشير أخيراً بصورة موجزة إلى المصادر التي اعتمدها بصورة رئيسية في استنباط هذه الفتاوى الواضحة وهي كما ذكرنا في مستهل الحديث عبارة عن الكتاب الكريم والسنة الشريفة المنقولة عن طريق الثقات المتورعين في النقل مهما كان مذهبهم ، أما القياس والاستحسان ونحوهما فلا نرى مسوغاً شرعياً للاعتماد عليها .

وأمّا ما يسمّى الدليل العقلي الذي اختلف فيه المجتهدون والمحدّثون في أنّه هل يسوغ العمل به أو لا ، فنحن وإن كنّا نؤمن بأنّه يسوغ العمل به ، ولكننا لم نجد حكماً واحداً يتوقّف إثباته على الدليل العقلي بهذا المعنى ، بل كلّ ما يثبت بالدليل العقلي فهو ثابت في نفس الوقت بكتاب أو سنة.

وأمّا ما يسمّى بالإجماع فهو ليس مصدراً إلى جانب الكتاب والسنة ، وإنّما لا يعتمد عليه إلا من أجل كونه وسيلة إثبات في بعض الحالات.

وهكذا كان المصدران الوحيدان هما الكتاب والسنة ونبتهل إلى الله أن يجعلنا من المتمسكين بهما» (1).

هذه هي مصادر التشريع عند الشيعة من عهد علي بن أبي طالب وإلى يومنا هذا ، فما هي مصادر التشريع عند «أهل السنة والجماعة»؟

## مصادر التشريع عند أهل السنة والجماعة»

### إشارة

مصادر التشريع عند أهل السنة والجماعة» (2)

إذا تتبّعنا مصادر التشريع عند أهل السنة والجماعة» وجدناها كثيرة تتعدى حدود الكتاب والسنة التي رسمها الله ورسوله .

فالمصادر عندهم - بالإضافة إلى الكتاب والسنة - هي سنة الخلفاء الراشدين ، وسنة الصحابة ، وسنة التابعين وهم علماء الأثر ، وسنة الحكّام ويسمونها صوافي الأمراء ، ثم القياس ، والاستحسان ، والإجماع ، وسدّ باب الذرائع .

وهي كما ترى عشرة مصادر عندهم كلّها تتحكّم في دين الله ، وحتى لا نتكلّم بدون دليل ونُلقي الكلام على عواهنه ، أو يتّهمنا البعض بالمبالغة ، لا بدّ من إعطاء بعض الأدلّة من أقوالهم وكتبهم كي يتبيّن للقارئ الكريم ذلك واضحاً.

ونحن لا نناقش «أهل السنة والجماعة» في المصدرين الأولين المتمثّلين في الكتاب والسنة ، فهو أمر لا خلاف فيه ، ولكن نقاشنا معهم في المصادر الأخرى التي اضافوها من عندهم.

ص: 122

1- الفتاوى الواضحة للشهيد باقر الصدر : 98.

2- الشيعة هم أهل السنة.

فقد احتجّوا بحديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»<sup>(1)</sup>

وقد بيّنا في كتاب «مع الصادقين» بأنّ المقصود من الخلفاء الراشدين في هذا الحديث هم أئمة أهل البيت، وأضيف هنا بعض الأدلة الأخرى لمن فاتته ذلك البحث.

أخرج البخاري ومسلم وكلّ المحدّثين بأنّ رسول الله حصر خلفاءه في اثني عشر، فقال: «الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش»، فدلّ هذا الحديث الصحيح على أنّ المقصود هم أئمة أهل البيت عليهم السلام وليسوا الخلفاء الحكّام الذين اغتصبوا الخلافة.

ولقائل أن يقول: سواء أكان المقصود بالخلفاء أئمة أهل البيت الاثني عشر كما يقول الشيعة، أم الخلفاء الراشدين الأربعة كما يقول «أهل السنة» فإنّ مصادر التشريع ثلاثة: القرآن والسنة وسنة الخلفاء؟

وهذا صحيح على رأي «أهل السنة» ولكنّه لا يصحّ على رأي الشيعة لأنّ أئمة أهل البيت كما قدّمنا لم يكونوا يشرّعون باجتهادهم وآرائهم، بل كلّ ما قالوا هو سنة جدّهم رسول الله تعلموها منه واحتفظوا بها كي يظهرها للناس إذا اقتضت الحاجة ذلك.

أمّا «أهل السنة والجماعة» فقد حفلت كتبهم بالاستدلال بسنة أبي بكر

ص: 123

---

1- سنن الترمذي 5: 43 ح 2676، سنن ابن ماجة 1: 15-16 ح 42، شعب الايمان للبيهقي 6: 67 ح 7516، مسند أحمد بن حنبل 4: 127-126.

وسنة عمر كمصدر للتشريع الإسلامي ولو خالفت الكتاب والسنة .

ومما يزيدنا يقيناً بأن أبا بكر وعمر غير مقصودين بحديث النبي ، أن علياً رفض أن يحكم بسنتهم عندما اشترط عليه الصحابة ذلك.

فلو كان الرسول يقصد بالخلفاء الراشدين أبا بكر وعمر لما جاز لعلي أن يردّ على رسول الله ويرفض سنتهم ، فدلّ الحديث على أن الخلفاء الراشدين ليس منهم أبو بكر ولا عمر.

## ثانياً: ستة الصحابة عموماً

ثانياً: ستة الصحابة عموماً (1)

هناك الكثير من الأدلة والشواهد التي تؤكد على اقتداء «أهل السنة والجماعة» بسنة الصحابة عموماً بدون استثناء.

فهم يحتجّون بحديث مكذوب وهو «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، وقد احتجّ ابن القيم الجوزية بهذا الحديث على حجّية رأي الصحابي. (2)

وقد اعترف بهذه الحقيقة أيضاً الشيخ أبو زهرة إذ قال : «لقد وجدناهم (يعني فقهاء أهل السنة) جميعاً يأخذون بفتوى الصحابي»، ثمّ يُضيف في مقطع آخر قوله :

«والاحتجاج بأقوال الصحابة وفتاويهم هو مسلك جماهير الفقهاء ، وخالفهم الشيعة (3)، ولكنّ ابن القيم الجوزية أيّد الجمهور بنحو سنة وأربعين

ص: 124

1- الشيعة هم أهل السنة .

2- أعلام الموقعين 4: 122.

3- وهذه شهادة أخرى من الشيخ أبي زهرة تؤيّد ما قلناه بأن الشيعة لا يقبلون في شرع الله إلا الكتاب الكريم والسنة النبوية .



وجهاً كلّها حجج قوية...» .

ونحن نقول للشيخ أبي زهرة : كيف تكون الحجّة - التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله - قوية؟! فكلّ الحجج التي جاء بها ابن القيم واهية كبيت العنكبوت وأنت بنفسك قد نسفتها عندما قلت :

ولكننا وجدنا الشوكاني يقول : والحقّ أنّ قول الصحابي ليس بحجّة فإنّ الله سبحانه وتعالى لم يبعث إلى هذه الأمة إلا نبيّاً محمداً، صلى الله عليه وآله وسلم، وليس لنا إلا رسول واحد، والصحابة ومن بعدهم مكلفون على السواء باتّباع شرعه في الكتاب والسنة، فمن قال بأنّه تقوم الحجّة في دين الله بغيرهما، فقد قال في دين الله بما لا يُثبت وأثبت شرعاً لم يأمر الله به»(1)

### ثالثاً: سنة التابعين «علماء الاثر»

ثالثاً: سنة التابعين «علماء الاثر»(2)

كذلك نجد «أهل السنة والجماعة» يأخذون بآراء التابعين ويسمّونهم علماء الاثر» كالأوزاعي وسفيان الثوري وحسن البصري وابن عيينة وغيرهم كثير، كما أنّهم متفقون على الأخذ باجتهادات أئمة المذاهب الأربعة وتقليدهم رغم أنّهم من تابعي التابعين.

وإذا كان الصحابة أنفسهم يعترفون بخطأهم في عديد من المرات وأنّهم يقولون ما لا يعلمون .

ص: 125

---

1- كتاب الشيخ أبي زهرة : 102.

2- الشيعة هم أهل السنة .

فهذا أبو بكر يقول عندما يُسأل عن مسألة : سأقول فيها برأيي فإن أصبْتُ فمن الله ، وإن أخطأت فمني أو من الشيطان .

و هذا عمر يقول لأصحابه : لعليّ أمركم بالأشياء التي لا تصلح لكم وأنهاكم عن أشياء تصلح لكم.(1)

وإذا كان هذا مبلغهم من العلم وأنهم يتبعون الظنّ الذي لا يغني من الحقّ شيئاً ، فكيف يحقّ لمسلم عرف الاسلام أن يجعل أفعال هؤلاء وأقوالهم سنةً متّبعةً ومصدراً من مصادر التشريع ؟ وهل يبقى بعد هذا الحديث «أصحابي كالنجوم» من أثر؟

وإذا كان هؤلاء هم الصحابة الذين حضروا مجالس النبيّ وتعلّموا منه يقولون مثل هذه الأقوال ، فكيف تكون حال من جاء بعدهم وأخذ عنهم وشارك في الفتنة؟

### رابعاً: سنة الحكام

رابعاً: سنة الحكام(2)

ويسمى عند «أهل السنة والجماعة»: صوفي الأمراء ، وقد استدّلوا عليه بقوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»(3)

فأولى الأمر عندهم الحكام وإن كانوا متسلّطين بالقوة والقهر، وهم يعتقدون بأنّ الحكام أمرهم الله على رقاب العباد فيجب لذلك طاعتهم والأخذ بسنتهم.

ص: 126

1- تاريخ بغداد 14 : 81.

2- الشيعة هم أهل السنة .

3- النساء : 59.

وقد ردّ ابن حزم الظاهري على «أهل السنّة والجماعة» ردّاً عنيفاً بقوله:

بناء على ما تقولون فلأمراء أن يُطلوا ما شاءوا من الشرائع التي أمر الله ورسوله بها كما لهم أن يزيدوا فيها ، ولا فرق بين الزيادة والنقص في ذلك ، وهذا كفر ممّا أجازه بلا خلاف».(1)

### خامسا: بقية مصادر التشريع عند أهل السنّة»

خامسا: بقية مصادر التشريع عند أهل السنّة»(2)

ونذكر منها القياس والاستحسان والاستصحاب وسدّ باب الذرائع والاجماع فمشهورة جداً ومعروفة عندهم.

وقد اشتهر الإمام أبو حنيفة بالعمل والقياس وردّ الأحاديث ، كما اشتهر الإمام مالك بالرجوع لعمل أهل المدينة وسدّ باب الذرائع ، واشتهر الإمام الشافعي بالرجوع إلى فتاوي الصحابة وقد رتبهم على أقسام ودرجات ، فقال بأولوية العشرة المبشرين بالجنة ، ثم المهاجرين الأوّلين ، ثم الأنصار ، ثم مسلمة الفتح ويقصد بهم الطلقاء والذين أسلموا بعد فتح مكة.(3)

كما اشتهر الإمام أحمد بن حنبل بعدم الاجتهاد والابتعاد عن الفتوى وأخذ برأي أي صحابي كان.

فقد نقل عنه الخطيب البغدادي أنّ رجلاً سأله عن مسألة في الحلال والحرام، فقال له أحمد : سل عافاك الله غيرنا، قال: إنّما نريد جوابك يا أبا عبد الله، قال: سل عافاك الله غيرنا ، سل الفقهاء سلّ أبا ثور.(4)

ص: 127

1- ابن حزم في ملخص إبطال القياس : 37.

2- الشيعة هم أهل السنّة.

3- مناقب الإمام الشافعي 1: 443.

4- تاريخ بغداد 2 ك 66.

ولا شك بأن أحمد بن حنبل هو الذي أوحى بفكرة عدالة الصحابة كلهم بدون استثناء فأثر مذهبه في «أهل السنة والجماعة».

فقد ذكر الخطيب في تاريخ بغداد بالإسناد عن محمد بن عبد الرحمن الصيرفي قال : قلت لأحمد بن حنبل : إذا اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسألة ، هل يجوز لنا أن ننظر في أقوالهم ، لنعلم مع من الصواب منهم ، فنتبعه؟

فقال لي : لا يجوز النظر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : كيف الوجه في ذلك؟

قال: تُقلد أيهم أحببت .

ونحن نقول : وهل يجوز تقليد من لا يعرف الحق من الباطل ؟ وغريب أن يفتي أحمد وهو الذي يتهرّب من الفتوى ، بتقليد أي صحابي أحبّ وبدون النظر في أقوالهم لمعرفة الصواب!

### الأحاديث النبوية عند أهل السنة» متناقضة

#### إشارة

الأحاديث النبوية عند أهل السنة» متناقضة(1)

إذا رجعنا إلى تناقض الأحاديث عند أهل السنة والجماعة» فهي كثيرة جداً تفوق الحصر ، وإليك هذا المثال على صحّة كلامنا هذا:

جاء في صحيح مسلم وفي شرح الموطأ لجلال الدين السيوطي عن أنس ابن مالك قال: صلّيت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم .

وفي رواية أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يجهر بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم.

ص: 128

1- الشيعة هم أهل السنة.

قال: وقد روي هذا الحديث عن أنس قتادة و ثابت البناني وغيرهم وكلهم أسنده و ذكر فيه النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلا أنهم اختلف عليهم في لفظه اختلافاً كثيراً، مضطرباً و متدافعاً، فمنهم من يقول فيه: كانوا لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم، ومنهم من يقول: كانوا لا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم، ومنهم من يقول:

كانوا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم، ومنهم من قال: كانوا لا يتركون بسم الله الرحمن الرحيم، ومنهم من قال: كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين.

قال: و هذا اضطراب لا تقوم معه حجة لأحد من الفقهاء. (1)

والسبب في هذا التناقض والاضطراب هو اتباع سنة بني أمية الذين حاولوا تغيير كل سنة للنبي صلى الله عليه و آله و سلم كان علي بن أبي طالب يتمسك بها ويعمل على إحياها، فقد ذكر الإمام النيسابوري في تفسير غرائب القرآن و بعد ذكره للروايات المتناقضة عن أنس بن مالك قال: «وفيها تهمة أخرى، وهي أن علياً عليه السلام كان يبالي في الجهر بالتسمية، ولما كان زمن بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعيًا منهم في إبطال آثار علي بن أبي طالب عليه السلام، فلعلّه إثمًا خاف منهم فلهذا اضطربت أقواله» (2)

و روايات أنس بن مالك نشم فيها دائماً التزلف لإرضاء بني أمية الذين أطروه و أغدقوا عليه الأموال و بنوا له القصور الفخمة لأنه من المناوئين لعلي عليه السلام.

و يظهر بغضه لأمر المؤمنين من قصة الطير المشوي عندما قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم:

«اللهم انتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير»، فجاء علي يستأذن فرده أنس ثلاث مرّات، ولما عرف النبي في المرّة الرابعة قال أنس: «ما حملك على ده مد بدلا ما فعلت»؟

ص: 129

1- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك 1: 103.

2- تفسير غرائب القرآن للنيسابوري بهامش تفسير الطبري 1: 79.

قال أنس : رجوت أن يكون واحداً من الأنصار.(1)

لذا إن روايته في خصوص البسملة جاءت تفوح بالولاء لمعاوية بن أبي سفيان إذ يقول: «صليت خلف النبي وأبي بكر وعمر و عثمان» و يعني بذلك أنه ما كان يقبل بالصلاة وراء عليّ ، وهو بالضبط ما كان يريده معاوية وأتباعه من رفع ذكر الخلفاء الثلاثة وطمس ذكر علي عليه السلام وعدم التحدّث باسمه.

فلقد حاول عليّ عليه السلام بكل جهوده في أيام خلافته إرجاع الناس للسنة النبوية بأقواله وأفعاله وقضائه ، ولكن بدون جدوى لأنهم شغلوه بالحروب الطاحنة ، فلم ينته من حرب إلا وأشعلوا له حرباً أخرى ، ولم ينته من حرب الجمل حتى اسعروا حرب صفيين ولم ينته من صفيين حتى أشعلوا حرب النهروان ولم ينته منها حتى اغتالوه في محراب الصلاة.

و جاء معاوية للخلافة وكان همه الوحيد هو إطفاء نور الله ، فعمل بكل جهوده للقضاء على سنة النبي التي أحيها الإمام علي وأرجع الناس لبدع الخلفاء وخصوصاً البدع التي سنّها هو لهم ، وعمل على سبّ علي ولعنه حتى لا يذكره ذاكراً إلا بما هو مشين .

يذكر المدائني أن بعض الصحابة جاء إلى معاوية فقال له : «يا أمير المؤمنين أن علياً مات وليس هناك شيء تخافه ، فلورفعت هذا اللعن عنه ؟ فقال معاوية : لا والله حتى يهرم عليه الكبير ويشيب عليه الصغير!

فإذا كان الإمام علي يُلعن فوق المنابر و يتقرّب إلى الله بسبّه ولعنه ، فما بالك بالشيعة الذين اتّبعوه ، فقد منعوا عطاءهم وحرقوا عليهم ديارهم وصلبوهم على جذوع النخل ودفنوهم أحياء .

ص: 130

---

1- صحيح الترمذي 5: 595 ح 3721، الرياض النضرة للطبري 3: 114.

وفي الحقيقة إنّ معاوية هو حلقة من سلسلة المؤامرة الكبرى وفصل من فصولها ، ولكنّه نجح أكثر من غيره في طمس الحقائق وتقليبها ظهراً على عقب .

ولكي تتوضح حقيقة المؤامرة أكثر نذكر هنا رسالتين مهمّتين لا غنى للباحث من الوقوف عليهما:

### الرسالة الأولى: كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

#### إشارة

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر:

سلام على أهل طاعة الله ، ممّن هو سلم لأهل ولاية الله، أمّا بعد :

فإنّ الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته ... - إلى أن قال : - فكان أوّل من أجاب وأتاب و آمن وصدق وأسلم وسلم، أخوه وابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السلام صدّقه بالغيب الكتوم وأثره على كلّ حميم ، ووقاه بنفسه كلّ هول و واساه بنفسه في كلّ خوف ، وحارب حربه و اسلم سلمه ..

وقد رأيتك تساميه ، وأنت أنت ، وهو السابق المبرز في كلّ خير ، أول الناس إسلاماً ، وأصدق الناس نيّة ، وأفضل الناس ذريّة وخير الناس زوجة ...

وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل ، و تجهدان في إطفاء نور الله ، تجمعان على ذلك الجموع ، وتبدلان فيه المال وتؤلّبان عليه القبال.

إلى أن قال : فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه وأبو ولده ، وأول الناس له اتباعاً وأقربهم به عهداً ، يخبره بسره

و يطلعه على أمره ، وأنت عدوه وابن عدوه؟!... (1)

فهذه الرسالة التي كتبها محمد بن أبي بكر فيها حقائق دامغة لكلّ باحث عن الحقيقة ، فهي تصف معاوية بأنّه ضال مضل ، وأنّه لعين ابن لعين ، وأنّه يعمل كل ما في وسعه لإطفاء نور الله ويبدل الأموال لتحريف الدين ويبغي لدين الله الغوائل ، وأنّه عدو لله ولرسوله ...

ولكن الذي يهمنّا هنا هو ردّ معاوية بن أبي سفيان على هذه الرسالة ، لتعرف - أيّها الباحث - حقيقة وخفايا ودسائس التاريخ ، وتكشف من خلالها خيوط المؤامرة التي أبعدت الخلافة عن صاحبها الشرعي وتسببت في انحراف الأمة ، فإليك الرد :

### ردّ معاوية على محمد بن أبي بكر

من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر .

سلام على أهل طاعة الله ، أمّا بعد :

فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه ، وما أصفى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع كلام كثير ألفته و وضعته لرأيك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته له و مواساته إياه في كلّ هول و خوف ، فكان احتجاجك عليّ وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك ، فأحمد ربّاً صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك.

فقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا نعرف حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا،

ص: 132

---

1- انظر هذه الرسالة في جمهرة رسائل العرب 1: 475، مروج الذهب للمسعودي 3: 11.



وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبية عليه الصلاة والسلام ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه، كان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه حقه وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتسقا، ثم إنهما دعوا إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهما به الهموم وأرادا به العظيم، ثم إنّه بايعهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضهما الله وانقضى أمرهما، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقباصي من أهل المعاصي فطلبتما له الغوائل حتى بلغتما فيه مناكما .

فخذ حذرک يا ابن أبي بکر، فستری وبال أمرک، وقس شبرک بقترک تقصر عن أن توازي أو تساوي من یزن الجبال حلمه، ولا تلین علی قسر قناته، ولا یدرک ذو مدى أناته .

أبوک مهّد له مهاده، وبنى ملکه وشاده، فإن ینک ما نحن فیہ صواباً فأبوک أوله، وإن ینک جوراً فأبوک استبد به ونحن شرکاوّه، فبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، ولولا- ما فعل أبوک من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلمنا إليه، ولكننا رأينا أباک فعل ذلك من قبلنا، فاحتدينا مثاله، واقتدينا بفعاله، فعب أباک بما بدا لك أو دع، والسلام علی من أناب ورجع من غوايته و تاب.(1)

ونستنتج من هذا الرد بأنّ معاوية لا- ینکر فضائل عليّ بن أبي طالب و مزایاه، ولكنّه تجرّأ علیه احتذاء بأبي بکر و عمر، ولولاهما لما استصغر شأن عليّ ولا تقدم علیه أحد من الناس، كما یعترف معاوية بأنّ أبابکر هو الذي مهّد النبي أمية وهو الذي بني ملکهم و شاده.

ص: 133

---

1- جمهرة رسائل العرب 1: 477، مروج الذهب للمسعودي 3: 12.

ونفهم كذلك من هذه الرسالة بأن معاوية لم يقتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يهتد بهديه ، عندما اعترف بأن عثمان هدى بهدي أبي بكر وعمر وسار بسيرتهما .

ولتعميم الفائدة لا بأس بذكر الرسالة الثانية والتي ردّ فيها يزيد بن معاوية على ابن عمر ، وهي على اختصارها ترمي نفس المرمى :

### **الرسالة الثانية : كتاب عبدالله بن عمر إلى يزيد بن معاوية**

#### **إشارة**

أخرج البلاذري في تاريخه قال :

لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَسُولًا إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ جَاءَ فِيهَا :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمَصِيبَةُ ، وَحَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ حَدَثٌ عَظِيمٌ ، وَلَا يَوْمَ كَيَوْمِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ .

#### **ردّ يزيد على كتاب ابن عمر**

#### **إشارة**

فكتب إليه يزيد:

أَمَّا بَعْدُ ، يَا أَحْمَقُ ! فَإِنَّا جِئْنَا إِلَى بِيوتِ مُجَدِّدَةٍ ، وَفِرَشِ مُمَهَّدَةٍ ، وَوَسَائِدِ مَنْصُودَةٍ ، فَقَاتَلْنَا عَنْهَا ! فَإِنِ يَكُنِ الْحَقُّ لَنَا فَعَنَّا قَاتَلْنَا ، وَإِنِ كَانَ الْحَقُّ لغيرِنَا فَأَبُوكَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَذَا وَاسْتَأْثَرَ بِالْحَقِّ عَلَى أَهْلِهِ .

وفي ردّ معاوية على ابن أبي بكر ، وردّ يزيد على ابن عمر نجد نفس المنطق ونفس الاحتجاج ، وهو لعمرى أمر ضروري يقرّه الوجدان ، ويدركه كلّ عاقل ولا يحتاج في الحقيقة إلى شهادة معاوية وأبنة يزيد .

مخالفة أهل السنة والجماعة للسنن النبوية. (1)

### 1- نظام الحكم في الاسلام

يرى «أهل السنّة والجماعة» بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينصّ على أحد وترك الأمر شورى بين الناس ليختاروا من شاؤوا ، فهذه هي عقيدتهم في الخلافة ، وقد أطبقوا على ذلك من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى اليوم.

والمفروض أن يعمل أهل السنّة والجماعة بهذا المبدأ الذي يؤمنون به ويدافعون عنه بكل جهودهم، غير أنّ البحث يوقفنا على أنّهم عملوا عكس ما يعتقدون ويقطع النظر عن بيعة أبي بكر التي سموها هم أنفسهم بأنّها فلتة وفي الله المسلمين شرّها ، فإنّ أبا بكر هو الذي اخترع فكرة ولاية العهد في الاسلام فعهد قبل وفاته بالخلافة لصاحبه عمر بن الخطاب .

كما عهد عمر بن الخطاب عند موته إلى عبد الرحمن بن عوف ليختار واحداً من الخمسة الذين رشحهم ويأمره بضرب أعناق المخالفين الذين يشقّون عصا الطاعة ، ولما وصل معاوية للخلافة طبّق هذا المبدأ (ولاية العهد) خير تطبيق إذ عيّن ولياً لعهد ابنه يزيد ، وعيّن يزيد ولياً لعهد ابنه معاوية ، وبقيت الخلافة من ذلك الوقت يتداولها الطلقاء وأبناؤهم جيلاً بعد جيل، وكذلك فعل الخلفاء في الدولة العباسية ومن بعدها الدولة العثمانية إن أن ولّى عصر الخلافة وضمحل في عهد كمال أتاتورك.

والنتيجة هي أنّ «أهل السنّة والجماعة» يؤمنون بولاية العهد ويعتبرونها خلافة شرعية ، لا لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بها ، أو أنّه عيّن ولياً لعهد ، فهم ينكرون

ص: 135

ذلك أشد الإنكار ، ولكن لأنّ أبا بكر عهد إلى عمر وعمر عهد إلى الستة .. الخ .

أما الشيعة فقد تمسّكوا في مبدأ الإمامة بقول واحد وهو «النصب من الله ورسوله على الخليفة» فالإمامة عندهم لا تصلح إلا بالنصّ ولا تكون إلا للمعصوم والأعلم والأتقى والأفضل ، فلا يجوز عندهم تقديم المفضول على الفاضل ، ولذلك نراهم رفضوا خلافة الصحابة أولاً كما رفضوا خلافة «أهل السنّة والجماعة» ثانياً .

وبما أنّ النصوص التي يدّعيها الشيعة في شأن الخلافة لها وجود فعلي ومصداق حقيقي في صحاح «أهل السنّة والجماعة» فليس أماننا إلا الاعتراف بأنّ الشيعة هم الذين تمسّكوا بالسنّة النبوية الصحيحة.

## 2- القول بعدالة الصحابة يخالف صريح السنّة

إذا نظرنا إلى أفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقواله تجاه الصحابة نجده قد أعطى كلّ ذي حقّ حقه ، فهو يغضب الله ويرضى لرضاه وكلّ صحابي خالف أمر الله سبحانه تبراّ منه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما تبراّ ممّا صنع خالد بن الوليد في قتله بني جذيمة ، وكما غضب على أسامة عندما جاءه ليشفع للمرأة الشريفة التي سرقت ، فقال قولته المشهورة : «ويلك أتشفع في حد من حدود الله ؟ والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، إنّما أهلك الله من كان قبلكم لأنّهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الوضيع أقاموا عليه الحد».

ونجده صلى الله عليه وآله وسلم أحيانا يبارك ويترضى على بعض أصحابه المخلصين ويدعو لهم ويستغفر لهم كما نجده يلعن البعض منهم الذين يعصون أوامره ولا يقيمون لها وزناً أحيانا أخرى ، مثل قوله : «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة» وذلك عندما طعنوا في تأميره ورفضوا الالتحاق بجيشه بحجة أنّه صغير السن .

فقد سار فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما أشار به القرآن الكريم في حقهم ، فقد رضي الله عن الصادقين منهم وغضب على المنافقين والمرتدين والناكثين منهم ، ولعنهم في العديد من الآيات المحكمات.

وكما إن الله لا يستحي من الحق فكذلك رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول لأصحابه صراحة بأنهم سيتقاتلون على الدنيا وأنهم سيتبعون في الضلالة سنن اليهود والنصارى شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، وأنهم سينقلبون بعده على أديبارهم ويرتدون ، وأنهم يوم القيامة سيدخلون إلى النار ولا ينجو منهم إلا القليل الذي عبّر عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهمل النعم، وأنهم وأنهم...<sup>(1)</sup>

فكيف يحاول «أهل السنة والجماعة» إقناعنا بعد كل هذا بأن الصحابة كلهم عدول وأنهم في الجنة جميعاً ، وأن أحكامهم ملزمة لنا، وأن آراءهم وبدعهم واجبة الاتباع ، وأن الطعن على أي واحد منهم مروق عن الدين يوجب القتل؟!

والغريب أنك إذا قلت لأحد علماء «أهل السنة والجماعة» القائلين بتكفير من سب صحابياً ، إذا قلت له : كيف لا تكفر معاوية وكل الصحابة الذين اتبعوه على سب ولعن علي من فوق المنابر ؟ فسيجيبك حتماً كما هو معروف : «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون»<sup>(2)</sup>

### 3- «أهل السنة والجماعة» ومودة أهل البيت عليهم السلام

لا يشك أحد من المسلمين في أن الله سبحانه وتعالى جعل مودة أهل البيت عليهم السلام ضريبة على المسلمين مقابل منحهم الرسالة المحمدية وما فيها من

ص: 137

1- انظر : صحيح البخاري 4: 94 - 99 و 156 و 187 ، وج 3: 32 ، صحيح مسلم 7: 66 حديث الحوض وج 8: 57 ، مسند احمد 3: 84 و 94.

2- البقرة : 134.

فضائل النعم ، فقال عز وجل : «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (1)

وقد نزلت هذه الآية الكريمة تفرض على المسلمين مودة العترة الطاهرة وهم علي وفاطمة والحسن والحسين بشهادة أكثر من ثلاثين مصدراً من مصادر أهل السنة والجماعة» ، حتى قال الإمام الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حبّكم\*\*\*فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الفضل أنكم\*\*\*من لم يُصل عليكم لا صلاة له

فإذا كانت محبتهم نزل بها القرآن وجعلها فرض على أهل القبلة كافة كما اعترف بذلك الإمام الشافعي ، وإذا كانت مودّتهم هي أجر الرسالة المحمدية كما نطق صريح البيان ، وإذا كانت مودّتهم عبادة يُتقرب بها إلى الله ، فما بال «أهل السنة والجماعة» لا يقيمون لأهل البيت وزناً ولا ينزلونهم إلا دون منزلة الصحابة.(2)

ص: 138

1- الشورى : 23.

2- و «أهل السنة والجماعة» كلّهم يقولون بتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على عليّ بن أبي طالب ، وإذا كان علي هو سيد العترة وأفضل أهل البيت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن أهل البيت عند أهل السنة والجماعة» يأتون بعد الصحابة الثلاثة المعروفين عندهم بالخلفاء الراشدين .







### اشارة

من أهم الأبحاث التي أعتبرها الحجر الأساسي في كل البحوث التي تقود إلى الحقيقة، هو البحث في حياة الصحابة وشؤونهم وما فعلوه و ما اعتقدوه لاتهم عماد كل شيء، حيث ألفت في حياتهم الكثير من الكتب منها : أسد الغابة في تمييز الصحابة ، وكتاب الإصابة في معرفة الصحابة ، وكتاب ميزان الاعتدال وغيرها .

الاشكال الرئيسي في هذه الكتب التها كتبت بالنحو الذي يوافق آراء حكام بني أمية وبني العباس الذين عرفوا بعدائهم لأهل البيت النبوي ، بل ولكل من يشايعهم ويتبع نهجهم ، ولهذا فليس من الإنصاف الاعتماد على أقوالهم دون الاعتماد على أقوال غيرهم من علماء المسلمين الذين اضطهدتهم تلك الحكومات.

ولولا الصحابة لما انقسم المسلمون ، فكل خلاف نراه اليوم يعود إليهم ، فهم الذين اختلفوا في أن يكتب لهم رسول الله ذلك الكتاب الذي يعصمهم من الضلالة إلى قيام الساعة ، وهم الذين اختلفوا في الخلافة فتوزعوا بين حزب حاكم وحزب معارض ...

### الصحابة عند الشيعة

وقد استنتجت من خلال الحديث مع علماء الشيعة اهم الصحابة في نظرهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

1- الصحابة الأخيار الذين عرفوا رسول الله حق المعرفة وبايعوه على الموت وصاحبوه بصدق في القول وبإخلاص في العمل ، ولم ينقلبوا بعده ، بل ثبتوا على العهد ، وهؤلاء يذكرهم الشيعة كما يذكرهم السنة باحترام وتقديس .

2 - الصحابة الذين اعتنقوا الاسلام واتبعوا رسول الله ولكنهم كانوا في بعض الأوقات لا يمثلون لأوامره ونواهيه بل يجعلون لآرائهم مجالاً في مقابل النصوص الصريحة ، وهؤلاء يذكرهم الشيعة بأفعالهم بدون احترام ولا تقديس .

3- المنافقون الذين صحبوا رسول الله للكيد له وقد أظهروا الاسلام وانطوت سرائرهم على الكفر ، وهؤلاء يتفق الشيعة والسنة على لعنهم والبراءة منهم.

وهناك قسم خاص وإن كانوا من الصحابة فهم يتميزون عليهم بالقرابة وبفضائل خلقية ونفسية و خصوصيات اختصهم الله ورسوله بها لا يلحقهم فيها لاحق ، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.(1) وأوجب الصلاة عليهم كما أوجبها على رسوله،(2) وأوجب مودتهم على كل مسلم،(3) وهم أولوا الامر الذين أمر بطاعتهم،(4) وهم الراسخون في العلم(5)، وهم أهل الذكر الذين قرنهم رسول الله بالقرآن في حديث الثقلين(6)

والشيعة يقتدون بهم ويقدمونهم على كل الصحابة ، أما أهل السنة والجماعة

ص: 142

1- الأحزاب : 33.

2- الأنفال : 41.

3- الشورى : 23.

4- النساء : 59.

5- آل عمران : 7.

6- مسند احمد5: 182، كنز العمال 1: 44.

فإنهم مع احترامهم لأهل البيت ، إلا أنهم لا يعترفون بهذا التقسيم للصحابة ولا يعدّون المنافقين في الصحابة ، بل الصحابة في نظرهم خير الخلق بعد رسول الله ، ولهذا تراهم عندما يصلّون على النبي وأهل بيته يلحقون بهم الصحابة أجمعين بدون استثناء .

### الصحابة عند «أهل السنة والجماعة»

الصحابة عند «أهل السنة والجماعة»<sup>(1)</sup>

بالغ «أهل السنّة والجماعة» في تنزيه الصحابة ، والقول بعدالتهم جميعاً بدون استثناء، وخرجوا بذلك عن حدود العقل والنقل عندما أنكروا على من ينتقد أحدا منهم أو يقول بعدم عدالته فضلاً عن تفسيقهم ، وإليك طرفاً من أقوالهم :

يقول الإمام النووي : إن الصحابة رضي الله عنهم كلّهم ، هم صفوة الناس وسادات الأمة ، وأفضل ممن بعدهم ، وكلّهم عدول قدوة لا نخالة فيهم ، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم ، وفيمن بعدهم كانت النخالة.<sup>(2)</sup>

و يقول يحيى بن معين : كلّ من شتم عثمان أو طلحة أو أحدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دجال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .<sup>(3)</sup>

ويقول الذهبي : من الكبائر سبّ أحد من الصحابة فمن طعن فيهم أو سبّهم ، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين.<sup>(4)</sup>

ويقول أحمد بن حنبل : خير الامّة بعد النبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ، وعمر بعد أبي

ص: 143

1- الشيعة هم أهل السنة

2- شرح النووي لصحيح مسلم 8: 22.

3- تهذيب التهذيب 1: 509 .

4- كتاب الكبائر للذهبي : 236 - 238.

بكر، وعثمان بعد عمر، وعلى بعد عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخذلده في الحبس حتى يموت أو يُراجع».

وقال الشيخ علاء الدين الطرابلسي الحنفي: من شتم أحداً من أصحاب النبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو علياً أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال وكفر، قُتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكلاً شديداً. (1)

لذا فإن أهل السنة برون «ان الصحابة كلهم عدول، وأنهم جميعاً مشتركون في العدالة وإن اختلفوا في درجاتها، وأن من كفر صحابياً فهو كافر، ومن فسقه فهو فاسق، وأن من طعن في صحابي فكأنما طعن على رسول الله». (2)

فهذه خلاصة آراء أهل السنة في عدالة الصحابة، أما المقصود من الصحابة في رأيهم فهو كل ما كان له الشرف في رؤية النبي!

يقول البخاري في صحيحه: من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

ويقول أحمد بن حنبل: أفضل الناس بعد صحابة الرسول من البدرين كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً، أو رآه، وله من الصحبة على قدر ما صحبه. (3)

ص: 144

1- كتاب معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام: 187.

2- الصحابة في نظر الشيعة الإمامية للدكتور حامد حفني داود: 8-9.

3- الكفاية: 51.

### إشارة

البحث التالي لا يتعلّق بالصحابة الذين مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز في العديد من المواقع ، الذين أحبّوا الرسول واتّبعوه وأطاعوه في غير مطمع وفي غير معارضة ولا استكبار ، ولا يتعلّق كذلك بالقسم من الصحابة الذي اشتهر بالنفاق والذين هم معرّضون للعن المسلمين جميعاً من السنّة والشيعه .

ولكن البحث يتعلّق بهذا القسم من الصحابة الذين اختلف فيهم المسلمون ، ونزل القرآن بتوبيخهم وتهديدهم في بعض المواقع ، وحذرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مناسبات أخرى ، فالخلاف بين الشيعة والسنّة في هذا القسم من الصحابة ، فهم منزّهون عند السنّة ، وعليهم أكثر من علامة استفهام عند الشيعة .

### 1- محمد رسول الله

يقول الله تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا مِنْهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَنَاجٍ أَخْرَجَ مِنْهُ طَائِفَةٌ فَأَزَبَتْ فَارْتَهُ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يُعْجِبُ الرُّعَاةَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (1)

فهذه الآية الكريمة كلّها مدح لرسول الله والصحابة الذين معه الذين هم - على الوصف الذي ذكره الله تعالى - من الشدّة على الكفار ومن الرحمة على بعضهم البعض ، وتمضي الآية الكريمة في مدح هؤلاء وذكر أوصافهم حتى تنتهي بوعد سبّحانه وتعالى بالمغفرة والأجر العظيم ليس لكلّ الصحابة المذكورين

ص: 145

ولكن للبعض منهم ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فكلمة «منهم» التي ذكرها الله تعالى دلت على التبعية و أوحى أن البعض من الصحابة انتفت منهم صفة الايمان والعمل الصالح.

## 2- آية الانقلاب

قال تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (1)، فهذه الآية صريحة وجليّة في أنّ الصحابة سينقلبون على أعقابهم بعد وفاة الرسول مباشرة ولا يثبت منهم إلا القليل.

## 3- آية الجهاد

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» (2) «إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (2) وهذه الآية صريحة أيضاً في أنّ الصحابة تناقلوا عن الجهاد واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا رغم علمهم بأنّها متاع قليل ، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه وتهديده لهم بالعذاب الأليم ، واستبدال غيرهم من المؤمنين الصادقين بهم.

## 4- آية الخشوع

قال تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ

ص: 146

1- آل عمران: 144.

2- التوبة: 38 و 39.

الْحَقُّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»(1)، فإذا كان هؤلاء الصحابة وهم خيرة الناس - حسب ما يدعيه أهل السنة والجماعة - لم تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق طيلة سبعة عشرة عاماً حتى استبطأهم الله وعاتبهم وحدّهم من قسوة القلوب التي تجرّهم إلى الفسوق، فلا لوم على المتأخرين من سراة قريش الذين أسلموا في السنة الثامنة للهجرة بعد فتح مكة.

## رأي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الصحابة

### 1- حديث الحوض

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، فقلت إلى أين؟

فقال: إلى النار والله!

قلت: ما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم»(2)

فهذا الحديث يدلّ بوضوح على أنّ أكثر الصحابة قد بدّلوا وغيّروا، بل ارتدّوا على أدبارهم بعده صلى الله عليه وآله وسلم إلا القليل الذي عبّر عنه ب«همل النعم».

### 2- حديث اتباع اليهود والنصارى

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً

ص: 147

1- الحديد: 16.

2- صحيح البخارى 4: 94 - 99 وص 156، وج 3: 32، صحيح مسلم 66: 7 حديث الحوض.

بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم!

قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟

قال : فمن» (1).

فمن المعروف أنّ اليهود تمردوا على موسى رسول الله وعصوا أمره و آذوه وتآمروا على أخيه هارون وكادوا يقتلونه ، وبعض الصحابة عصوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاعترض بعضهم على الكتاب الذي أراد الرسول كتابه إليهم قبل وفاته .

و منهم من طعن بسرية أسامة ورفض أن يخرج معه حتى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

و منهم من تفرّق واختلف في سقيفة بني ساعدة ، فلم يقبل الخليفة الشرعي الذي نصّ عليه الرسول في غدير خم وهو علي بن أبي طالب.

ومنهم من هدّد الزهراء بنت الرسول بحرق دارها إذا لم يخرج المتخلفون للبيعة قهراً .

### 3 - حديث الباطنين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما بعث من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضّنه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضّنه عليه فالمعصوم من عصمه الله» (2).

وهذا الحديث يدلّ على أنّ الصحابة كانوا قسمين بطانة تأمر الرسول

ص: 148

1- صحيح البخاري 4: 187، صحيح مسلم 8: 57، مسند أحمد 3: 84 و 94.

2- صحيح البخاري 4: 173 ، مسند أحمد 3: 39.



بالمعروف و تحصّنه عليه و بطانة تأمره بالشرّ و تحصّنه عليه .

ومن مصاديق هذا الحديث ما أخرجه مسلم في صحيحه قال : سمعت عمر يقول : قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسمة فقلت : يا رسول الله لغير هؤلاء أحقّ منهم أهل الصفة .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنكم تسألوني بالفحش ، و تبخلوني ولست بباخل»(1)

فهذه القصة صريحة في أنّ عمر بن الخطاب ليس من البطانة التي تأمر بالمعروف و تحصّنه عليه بل هو من الذين يسألون بالفحش و يأمرون بالبخل على ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

#### 4 - حديث التنافس على الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها»(2)

وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد تنافسوا على الدنيا حتى سلّت سيوفهم ، و مات بعضهم وهم يكتزون الذهب والفضة ، فقد بلغت ثروة الزبير خمسين ألف دينار والف فرس والف عبد وضياعاً كثيرة ، وكان لعبد الرحمن بن عوف مائة فرس ، وألف بعير وعشرة آلاف شاة ، وترك عثمان بن عفان يوم مات مائة وخمسين ألف دينار عدا المواشي والأراضي والضياع ...

ص: 149

1- صحيح مسلم 2: 730.

2- صحيح البخاري 4: 100 .

1- روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للأَنْصار: «إنكم سترون بعدي أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض».

قال أنس: فلم نصبر. (1)

2- عن العلاء بن المسيّب، عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت: طوبى لك صحبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده. (2)

وإذا كان هذا الصحابي من السابقين الأولين الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة، ورضي الله عنهم وعلم ما في قلوبهم فأثابهم فتحاً قريباً، يشهد على نفسه وعلى أصحابه بأنهم أحدثوا بعد النبي وهذه الشهادة هي مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم وتنبأ من أنّ أصحابه سيحدثون بعده ويرتدون على أدبارهم، فهل يمكن العاقل بعد هذا أن يصدق بعدالة الصحابة كلّهم أجمعين.

3- أخرج البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر بن الخطاب قال: لما طعن عمر جعل يألّم، فقال ابن عباس وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين ولئن كان ذلك لقد صحبت رسول الله فأحسن صحبتته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت أبا بكر فأحسن صحبتته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحابتهم فأحسن صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقتهم وهم عنك راضون.

قال: أمّا ما ذكرت من صحبة رسول الله ورضاه فإنّما ذلك من منّ الله تعالى

ص: 150

1- صحيح البخاري 1: 54.

2- صحيح البخاري 2: 135.

منّ به عليّ، و أمّا ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنّما ذاك من منّ الله جلّ ذكره منّ به عليّ، و أمّا ما ترى من جزعي فهو من أجلك و أجل أصحابك والله لو أنّ لي قلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عزّ وجلّ قبل أن أراه. (1)

وقد سجّل التاريخ له أيضاً قوله: ليتني كنت كبش أهلي يسمّوني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبّون فجعلوا بعضي شواء و قطعوني قديداً ثمّ أكلوني وأخرجوني عذرة ولم أكن بشراً. (2)

كما سجّل التاريخ لأبي بكر مثل هذا، قال: لما نظر أبو بكر إلى طائر على شجرة: طوبى لك يا طائر تأكل الثمر و تقع على الشجر وما من حساب ولا عقاب عليك، لوددت أنّي شجرة على جانب الطريق مرّ عليّ جمل فأكلني وأخرجني في بعره ولم أكن من البشر. (3)

وقال مرّة أخرى: «ليت أُمي لم تلدني، ليتني كنت تبنّة في لبنّة» (4)

وهذا كتاب الله يبشّر عباده المؤمنين بقوله:

«أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (5)

ويقول أيضاً: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ

ص: 151

1- صحيح البخاري 2: 201.

2- منهاج السنّة لابن تيمية 3: 131، حلية الأولياء لأبي نعيم 1: 52.

3- منهاج السنّة 3: 120، الرياض النضرة 1: 134.

4- منهاج السنّة 3: 120، الرياض النضرة 1: 134.

5- يونس: 62 - 64.

أَلَا تَحَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ «نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ» (نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) (1)

فكيف يتمنى الشيخان أبو بكر وعمر أن لا يكونا من البشر الذي كرمه الله على سائر مخلوقاته .

وإذا كان المؤمن العادي الذي يستقيم في حياته تنتزل عليه الملائكة و تبشّره بمقامه في الجنة فلا يخاف من عذاب الله ولا يحزن على ما خلف وراءه في الدنيا وله البشري في الحياة الدنيا قبل أن يصل إلى الآخرة ، فما بال عظماء الصحابة الذين هم خير الخلق بعد رسول الله - كما تعلمنا ذلك - يتمنون أن يكونوا عذرة ، وبعرة ، وشعرة ، وتبنة ، ولو أنّ الملائكة بشّرتهم بالجنة ما كانوا ليتمنوا أن لهم مثل قلاع الأرض ذهباً ليفتدوا به من عذاب الله قبل لقائه .

## أمثلة من تصرفات الصحابة

### 1- الصحابة في صلح الحديبية

بعد قبول الرسول بشروط صلح الحديبية وذلك في السنة السادسة للهجرة اعترض بعض الصحابة ، وجاءه عمر بن الخطاب فقال : أأنت نبي الله حقاً؟ قال : بلى ، قال عمر : أألسنا على الحقّ وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قال عمر : فلم تعطي الدنيا في ديننا إذا؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري» .

قال عمر : أولست كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟

ص: 152

قال : « بلى ، فأخبرتكَ أنا نأتيه العام»؟

قال عمر : لا .

قال : «فإنك آتبه و مطوّف به».

ثمّ جاء عمر إلى أبي بكر وسأله نفس الاسئلة ، فقال له أبو بكر : أيها الرجل إنّه لرسول الله وليس يعصي ربّه وهو ناصره فاستمسك بعرزّه.(1)

فهل سلّم عمر بن الخطاب بما جاء في قوله تعالى : «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»(2) ، أم كان في موقفه تردّد في ما أمر النبي؟ خصوصاً في قوله : أولست نبيّ الله حقّاً؟

## 2 - الصحابة ورزية يوم الخميس

اجتمع الصحابة في بيت رسول الله قبل وفاته بثلاثة أيام ، فأمرهم أن يحضروا له الكتف والدواة ليكتب لهم كتاباً يعصمهم من الضلالة ، ولكن الصحابة اختلفوا ، بل أنّ منهم من اتّهم الرسول بالهجر ، فغضب عليهم الرسول وأخرجهم من بيته دون أن يكتب لهم شيئاً.(3)

## 3- الصحابة في سرية أسامة

قام الرسول قبل وفاته بيومين بتجهيز جيشاً لغزو الروم ، وأمر على هذه السرية أسامة بن زيد بن حارثة وعمره ثمانية عشر عاماً ، وقد عبأ صلى الله عليه وآله وسلم في هذه

ص: 153

1- صحيح البخاري 2: 122، باب الشروط في الجهاد ، السيرة الحلبية 2: 706 باب صلح الحديبية .

2- النساء : 65.

3- انظر القصة في : صحيح البخاري 3: باب قول المريض : قوموا عني ، صحيح مسلم 5: 75 ، مسند أحمد 1: 350 وج 5: 116، تاريخ الطبري 3: 193 ، تاريخ ابن الأثير 2: 320.

السرية وجوه المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وغيرهم من كبار الصحابة المشهورين ، فطعن قوم منهم في تأمير أسامة وقالوا : كيف يؤمر علينا شاب لانبات بعارضيه ، فغضب النبي غضباً شديداً مما سمع من طعنهم وانتقادهم، فخرج صلى الله عليه وآله وسلم معصّب الرأس محمواً ، يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطّان في الأرض - بأبي هو وأمّي - من شدة ما به من لغوب ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«أيّها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة ، ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في تأميري أبيه من قبله ، وأيم الله إنّه كان خليقاً بالإمارة ، وإنّ ابنه من بعده لخليق بها...»(1)

ثم جعل صلى الله عليه وآله وسلم يحضّهم على التعجيل وجعل يقول: «جهّزوا جيش أسامة ، انفذوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة ...» يكرر ذلك على مسامعهم وهم متثاقلون.

ما هذه الجرأة على الله ورسوله؟! وما هذا العقوق في حقّ الرسول الأكرم الذي هو حريص عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم؟ ألم يقل الله تعالى: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»(2) وكذلك قال: «مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ»(3). فأى عذر بعد هذه النصوص الصريحة ، وماذا نقول عن قوم أغضبوا رسول الله وهم يعلمون أنّ الله يغضب الغضبه .

ص: 154

1- طبقات ابن سعد 2: 190، تاريخ ابن الأثير 2: 317.

2- الحشر: 7.

3- الأحزاب: 36.

إشارة

أئمة «أهل السنّة والجماعة» وأقطابهم. (1)

1- أبو بكر بن أبي قحافة الخليفة الأوّل .

2- عمر بن الخطّاب الخليفة الثاني .

3- عثمان بن عفّان الخليفة الثالث.

4 - طلحة بن عبيد الله .

5- الزبير بن العوّام .

6 - سعد بن أبي وقّاص .

7- عبد الرحمن بن عوف .

8- عائشة بنت أبي بكر «أمّ المؤمنين» .

- خالد بن الوليد .

10 - أبو هريرة الدوسي .

11 - عبدالله بن عمر .

12 - عبدالله بن الزبير .

فهؤلاء اثنا عشر شخصية اخترتهم من بين كثيرين من اقطاب «أهل السنّة والجماعة» لكثرة ذكرهم وتمجيدهم والثناء عليهم أو لكثرة رواياتهم وغازاة علمهم كما يزعمون .

1- أبو بكر «الصدّيق»

السنّة النبويّة كما عرفها العلماء : هي كلّ قول أو فعل أو إقرار لرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد خالف أبو بكر السنّة بأجمعها من قول وفعل وتقرير.





\* من القول مثلاً: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني»، وقد ماتت فاطمة وهي غاضبة عليه كما أخرج البخاري.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة»، قاله عندما طعنوا في تأميره أسامة ورفضوا الخروج معه والالتحاق بجيشه، وقد تخلف أبو بكر رغم كل ذلك متذرعاً بالخلافة.

\* ومن الفعل مثلاً: ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع المؤلفة قلوبهم إذ عاملهم بالحسنى وأعطاهم سهماً من الزكاة بأمرٍ من الله تعالى. ولكن أبو بكر حرمهم من ذلك الحق الذي نص عليه القرآن وفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزولاً على رغبة عمر بن الخطاب الذي قال لهم: لا حاجة لنا فيكم.

\* ومن الإقرار مثلاً: ما أقره النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة أحاديثه ونشرها بين الناس، ولكن أبو بكر أحرقها ومنع من نشرها والتحدث بها، حيث روي أن أبو بكر جمع خمسمائة حديث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أحرقها بالنار، وخطب في الناس قائلاً: لا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم القرآن فأحللوا حلاله وحرموا حرامه.

أضف إلى ذلك أنه كان يجهل كثيراً من أحكام القرآن الكريم، فقد سئل عن الكلاله التي نزل بحكمها القرآن، فقال: إني سأقول فيها برأبي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فهو مني ومن الشيطان. (1)

كيف لا تعجب من خليفة المسلمين الذي يسأل عن حكم الكلاله التي أوضحها الله في كتابه، ويبتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سنته، فيترك الكتاب والسنة

ص: 156

و يقول فيها برأيه ، ثم يعترف بأن الشيطان قد يستحوذ على رأيه ، وهذا ليس بغريب على خليفة المسلمين أبي بكر فقد قال غير مرّة : إن لي شيطاناً يعتريني .

وقد قرّر علماء الاسلام بأن من قال في كتاب الله برأيه فقد كفر .

أضف إلى ذلك أنه كان يقول : «لا تحملوني على سنة نبيكم فإني لا أطيقها» ، فإذا كان أبو بكر لا يطبق سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يدعي أتباعه وأنصاره أنهم «أهل السنة» ، ولعلّه لا يطيقها ، لأنها تذكره بانحرافه وبعده عن صاحب الرسالة ، وإلا كيف نفسّر قول الله تعالى : «وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» (1) وقوله : «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» (2) وقوله : «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» (3) ، وأخيراً قوله سبحانه وتعالى : «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (4)

فقول أبي بكر بأنه لا يطبق سنة النبي هو ردّ على هذه الآيات ، وإذا كان أبو بكر الخليفة الأول بعد النبي لا يطبق سنته في ذلك العهد ، فكيف يُطلب من مسلمي العصر الحاضر أن يقيموا حكم الله بكتابه وسنة نبيه؟

وهذه الأمثلة التي أخرجناها هي غيضٌ من فيضٍ لما فعله أبو بكر تجاه السنة النبوية الشريفة وما لقيت منه من إهانة وحرق وإهمال ، ولو شئنا لكتبنا في ذلك كتاباً مستقلاً .

فكيف يطمئن المسلم إلى شخص هذا مبلغه من العلم وهذه علاقته بالسنة

ص: 157

1- الحج: 78.

2- البقرة: 185.

3- البقرة: 286.

4- الحشر: 7.

النبوية الشريفة ، وكيف يتسمّى أتباعه ب «أهل السنّة»؟!؟

فأهل السنّة لا يهملونها ولا يحرفونها.

كلّا، بل أهل السنّة هم الذين يتّبعونها ويقدّسونها .

«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) (1)

ومن أعمال أبي بكر أيضاً:

خالف سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتابة الكتاب وأيد عمر في قوله: «إنّ رسول الله هجر وحسبنا كتاب الله يكفيننا».

كما ضرب بنصوص النبي في استخلاف على عرض الجدار واغتصب الخلافة .

كما ترك سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرب و قتل المسلمين الذين منعه الزكاة .

كما ترك سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرقه الفجاءة السلمي وقد نهى النبي عن ذلك .

كما ترك سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في استخلافه عمر على المسلمين دون مشورتهم.

## 2- عمر بن الخطاب «الفاروق»

يعتبر عمر بطل المعارضة للسنّة النبويّة ، وذلك كما يلي:

1- قوله : إنّ رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله يكفيننا ، وسحب قول الرسول الذي لا ينطق عن الهوى ، فإنّ عمر هو الذي تسبّب في ضلالة من ضلّ في هذه الأمة. (2)

ص: 158

1- آل عمران : 31 - 32.

2- دليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً ، وقول ابن عبّاس : لو كتب ذلك الكتاب ما اختلف من الأمّة اثنان ، ولما كان عمر هو الذي منع رسول الله من الكتابة واتّهمه بالهجر كى لا يضرّ النبي على الكتابة ، عرفنا بأنّه تسبّب في الضلالة وحرّم الأمّة الاسلاميّة من الهداية.

2- عمل على إهانة الزهراء وإيذائها ، فروّعها وأدخل الرعب عليها وعلى صغارها عندما هجم على بيتها وهدّد بحرقه .

3- عمل على جمع كل ما كتب من السنّة النبويّة فأحرقها ومنع الناس من التحدث بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

4 - كما خالف القرآن والسنّة في منع سهم المؤلّفة قلوبهم .

5- كما خالف القرآن والسنّة في الطلاق الثلاث فجعله طلاقه واحدة .

6- كما خالف القرآن والسنّة في فريضة التيمم وأسقط الصلاة عند فقد الماء.

7- كما خالف القرآن والسنّة في عدم إقامة الحدّ على خالد بن الوليد وكان يتوّعد بذلك.

8- كما خالف السنّة النبويّة في النهي عن صلاة النافلة فابتدع التراويح .

9- كما خالف السنّة النبويّة في العطاء فابتدع المفاضلة وخلق الطبقيّة في الاسلام.

10 - كما خالف السنّة النبويّة بتأخير مقام إبراهيم عن البيت إلى ما كان عليه أيام الجاهلية ، فقد أخرج ابن سعد في طبقاته : إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما فتح مكة ألصق مقام إبراهيم بالبيت كما كان على عهد إبراهيم وإسماعيل عليه السلام ، لأنّ العرب في الجاهلية أخروه إلى مكانه اليوم ، فلمّا ولي عمر بن الخطاب أخّره إلى موضعه الآن ، وكان على عهد النبي وأبي بكر مُلصقاً بالبيت. (1)

ص: 159

---

1- الطبقات الكبرى لابن سعد 3: 284 . تاريخ الخلفاء للسيوطي : 122.

فهل ترى برّبك من مرّر لعمر بن الخطاب حتى يعمد فيميت سنّة النبي الذي أعاد ما فعله إبراهيم وإسماعيل فيحیی عمر سنّة الجاهلية و يُعيد بناء المقام كما كان على عهدهم؟

### 3- عثمان بن عفّان «ذي النورين»

عثمان هو الخليفة الثالث الذي وصل إلى الخلافة بتدبير من عمر ، وهو أكثر الخلفاء عملاً برأيه واجتهاده في مقابل السنّة النبویة ، بحيث عندما أنكر عليه الصحابة عمله قام بهم خطيباً وقال : أما والله يا معشر المهاجرين والأنصار ، لقد عبتم عليّ -أشياء وتقمتم عليّ -أموراً ، قد أقرتم لابن الخطاب مثلها ، ولكنّه وقمكم وقمعكم ، ولم يجترىء أحدٌ يملأ- بصره منه ولا- يُشير بطرفه إليه ، أما والله لأنّنا أكثر من ابن الخطاب عدداً وأقرب ناصرًا.(1)

و الظاهر أنّ الصحابة لم ينكروا على عثمان اجتهاده ، فقد ألفوا الاجتهاد وباركوه من أول يوم ، ولكنّهم أنكروا عليه لَمّا عزلهم وولّى المناصب والولايات الفسّان من بني عمومته وقربته الذين كانوا بالأمس القريب حرباً على الاسلام والمسلمين ، وقد سكت هؤلاء الصحابة على أبي بكر وعمر لأنّهما أشركاهم في الحكم وأعطياهم المناصب التي فيها المال والجاه .

والدليل أنّهم حضروا في كثير من المواقف التي غيّر فيها عثمان سنّة النبي كإتمامه صلاة السفر ومنعه من التلبية وتركه التكبير في الصلاة ومنعه من التمتع في الحج ، فلم ينكر عليه غير علي بن أبي طالب .

والصحابه كانوا يعرفون سنّة النبي ويعمدون على مخالفتها من أجل إرضاء

ص: 160

1- تاريخ الخلفاء لابن قتيبة 1: 31.

الخليفة عثمان ، وإليك الدليل :

1- أخرج البيهقي في سننه الكبرى عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كُنَّا مع عبد الله بن مسعود فلَمَّا دخل مسجد مني ، قال : كم صَلَّى أمير المؤمنين (يعني عثمان) قالوا : أربع ، فصلَّى أربعاً ، قال : فقلنا : ألم تحدِّثنا أنَّ النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم صَلَّى ركعتين وأباً بكر صَلَّى ركعتين؟!

فقال : بلى أحدثكموه الآن ، ولكن عثمان كان إمامةً فما أخالفه والخلاف شرٌّ. (1)

فانظر - عزيزي القاريء - إلى هذا الصحابي عبد الله بن مسعود، إذ يرى في خلاف عثمان شرّاً، ويرى في خلاف رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم كلَّ الخير .

أبعد هذا يقال : إنَّهم أنكروا عليه عندما ترك السنَّة النبوية!

2- روى سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد قال : اعتلَّ عثمان وهو بمنى ، فأتى علي فقليل له : صلِّ بالناس .

فقال علي : إن شئتم ، ولكن أصلي لكم صلاة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم - يعني ركعتين - .

فقالوا : لا ، إلا صلاة أمير المؤمنين عثمان أربعاً ، فأبى علي أن يُصلِّي بهم. (2)

وتجدد الإشارة أيضاً إلى أن عبد الله بن عمر قال : الصلاة في السفر

ص: 161

1- السنن الكبرى للبيهقي 3: 143.

2- المحلّي لابن حزم 4: 270.

ركعتان ، من خالف السنّة فقد كفر. (1)

و بهذا فقد كفر عبدالله بن عمر الخليفة عثمان وكلّ الصحابة الذين بايعوه على بدعة إتمام الصلاة في السفر .

2- أخرج البخاري في صحيحه قال : سمعت عثمان وعليّاً (رضي الله عنهما) بين مكة والمدينة وعثمان ينهي عن المتعة وأن يجمع بينهما ، فلما رأى ذلك على أهلّ بهما جميعاً قائلاً ، لبيك عمرة وحجّة معاً ، فقال عثمان : تراني أنهى الناس عن شيء و تفعله أنت ؟

فقال علي : «لم أكن لأدع سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقول أحدٍ من الناس». (2)

فهل تصدّق - أيها القارئ العزيز - بعد كلّ هذا بأنّ أتباع عثمان بن عفّان هم أهل السنّة ، وأتباع علي هم الروافض وأهل البدع !؟

فاحكم بما أراك الله إن كنت من المنصفين ، «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» (3)

#### 4- طلحة بن عبيد الله

من كبار الصحابة المشهورين وأحد السنّة الذين رشّحهم عمر للخلافة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة على زعم «أهل السنّة والجماعة» .

وإليك بعض من أعمال طلحة:

ص: 162

1- سنن البيهقي 3:140 ، أحكام القرآن للجصاص 2:254.

2- صحيح البخاري 2:151 باب التمتع والاقران من كتاب الحج .

3- النساء : 58.

1- كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : إن مات رسول الله تزوجت عائشة فهي بنت عمي ، فبلغ رسول الله قوله فتأذى من ذلك.

2- لما نزلت آية الحجاب واحتجب نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال طلحة : أئحجبنا محمد من بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا؟ فإن حدث به حدث لنزوجن نساءه من بعده. (1)

ولما تأذى رسول الله من ذلك نزل قول الله تعالى :

«وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا» (2)

3- دخل طلحة على أبي بكر قبل وفاته وقال له : ما تقول لربك إذ وليت علينا فظاً غليظاً؟ - ويعني به عمر بن الخطاب - فشتمه أبو بكر بكلام بذيء. (3)

و خذل الإمام علي وانحاز إلى صف عثمان في الشورى التي ابتدئها عمر ، وانظم إلى عثمان وبايعه بالخلافه لأنه كان يُعطيهِ الصلوات والهبات (4)، لذا نجد ان ابن سعد يقول في طبقاته : لما مات طلحة كانت تركته ثلاثين مليوناً من الدراهم ، كان النقد منها مليونين ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار ، وكان سائرها عروضاً وعقاراً. (5)

ولما أطمعته عائشة في الخلافة أخذ يؤلب على صديقه عثمان ليطيح به

ص: 163

1- تفسير ابن كثير 3: 513.

2- الأحزاب : 53.

3- الامامة والسياسة لابن قتيبة : 82.

4- الطبري 4: 405، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2: 16.

5- الطبقات الكبرى لابن سعد 3: 222.



ويأخذ مكانه ، لذا نجد عثمان أيام حصاره يقول : ويلى على ابن الحضرمية - يعنى طلحة - أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي ويحرّض على نفسي ، اللهم لا تمتعه به ولّقه عواقب بغيه.(1)

ولهذا كذلك ، نجد أنّ عائشة كانت لا تشكّ في أنّ الخلافة ستؤول إلى ابن عمّها طلحة ، ولمّا بلغها مقتل عثمان وأنّ الناس قد بايعوا طلحة فرحاً فرحة شديداً وقالت : «بُعداً لنعتل وسحقاً ، إيه ذا الإصبع إيه أبا شب ، إيه ابن عم ، لله أبوك أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً» . .

ولكنها بعد أن وصل الخبر اليقين ببيعة علي بن أبي طالب قالت : «ليت السماء اطبقت على الأرض ، والله لقد قتل عثمان مظلوماً!» .

ثمّ بعد ذلك نرى طلحة أوّل من يُبايع الإمام عليّاً بعد مقتل عثمان ، ثمّ ينكث بيعته ويلتحق بعائشة ابنة عمّه في مكّة ، وينقلب فجأة للمطالبة بدم عثمان ، سبحان الله ! هل يوجد بهتان أكبر من هذا؟!!

ولذا نجد الإمام عليّ يخاطب طلحة في المعركة قائلاً : أنشدك الله يا طلحة أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»؟

قال : نعم ، فقال له : فلم تُقاتلني؟!!

وكان جوابه : الطلب بدم عثمان ، وكان ردّ عليّ : قتل الله أولانا بدم عثمان .

واستجاب الله دعوة عليّ ، فقتل طلحة في اليوم نفسه ، قتله مروان بن الحكم الذي جاء به طلحة لمحاربة عليّ .

ص : 164

1- تاريخ الطبري 4: 405.

نعم ، هذه هي حقيقة طلحة بن عبيد الله عارية كما ذكرها أصحاب السنن والتواريخ من «أهل السنة والجماعة» وبعد كل هذا فهم يقولون بأنه من العشرة المبشرين بالجنة ، حيث يحسبون أن الجنة هي فندق «هيلتون» يدخلها أصحاب الملايين والسماسة من رجال الأعمال فيلتي فيها القاتل والمقتول والظالم والمظلوم ويلتقي فيها المؤمن والفاسق والبر والفاجر.

## 5- الزبير بن العوام

وهو أيضاً من كبار الصحابة ومن المهاجرين الأولين ، وهو ابن صفيّة بنت عبد المطلب عمّة النبي ، وزوج أسماء بنت أبي بكر أخت عائشة ، وأحد الستة الذين رشّحهم عمر للخلافة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة على ما يقول «أهل السنة والجماعة»..

وإليك جزءاً من سيرة الرجل :

1- بلغت تركته - حسب ما يذكر الطبري - خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وضياعاً كثيرة في البصرة والكوفة ومصر وغيرها.

أما البخاري فيروي أنه خلف في تركته خمسين ألف ومائتي ألف. (1)

2- ساهم في قتل الخليفة عثمان ، وعندما ساوى الإمام علي بينه وبين الناس بالعطاء ، ولم يعطه ما طلب من الإمارة ، ثم محاولة علي على محاسبة الزبير وغيره على الأموال التي جمعوها ، نكث بيعة الامام علي وخرج مطالباً بدم عثمان ، لذا نجد أن الإمام يقول له في ساحة المعركة : أتطلب مني دم عثمان وأنت

ص: 165

1- صحيح البخاري 4: 53.

وقد أخرج الحاكم في المستدرک ، قال : جاء طلحة والزبير إلى البصرة فقال لهم الناس : ما جاء بكما ؟ قالوا : نطلب بدم عثمان ، فقال الحسين : أيا سبحان الله ، أفما كانوا للقوم عقول فيقولون : والله ما قتل عثمان غيركم!

لقد فعل الزبير مثل صاحبه طلحة ، غدر بعثمان وحرّض على قتله ، ثم بايع الإمام عليّاً طائِعاً ونكث البيعة والعهد وجاء إلى البصرة يطلب هو الآخر بدم عثمان !

## 6- سعد بن أبي وقاص

من كبار الصحابة السابقين إلى الاسلام ، وأحد الستّة الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة بعده ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة على زعم «أهل السنة والجماعة».

عينه عثمان والياً على الكوفة بعد أن عزله عمر عنها ، كما أنه لم يشترك في عملية قتل عثمان ، ولكنّ الغريب في سعد بن أبي وقاص أنّه تخلّف عن بيعة أمير المؤمنين علي وهو يعرف حقّ الإمام وفضله، فقد روى العديد من فضائله منها ما أخرجه مسلم في صحيحه : قال سعد بن أبي وقاص : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي : «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي » ، وسمعتة يقول يوم خيبر : «لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» ، قال : فتناولنا لها ، فقال : ادعوا عليّاً ... ولما نزلت هذه

ص: 166

الآية «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ» (1) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي». (2).

وأخرج النسائي في خصائصه: قال سعد: سمعت رسول الله يقول في علي خصلاً ثلاثاً لئن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعته يقول:

إنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وسمعه يقول:

«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، وسمعه يقول: «أيها الناس من وليكم؟ قالوا: الله ورسوله ثلاثاً، ثم أخذ علي فأقامه ثم قال: «من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». (3).

فكيف يعرف سعد بن أبي وقاص كل هذه الحقائق ثم يمتنع عن بيعته؟! كيف يسمع سعد قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: من كان الله ورسوله وليه فعلي وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، والذي رواه هو بنفسه ثم لا يواليه ولا ينصره؟! وكيف غاب على سعد بن أبي وقاص حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات وليست في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»، والذي رواه عبدالله بن عمر، فيموت سعد ميتة جاهلية ناكباً عن بيعة أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين؟! يذكر المؤرخون بأن سعداً جاء إلى الإمام علي معتذراً فقال: والله يا أمير المؤمنين لا ريب لي في أنك أحق الناس بالخلافة وأنت أمين على الدين والدنيا.

ص: 167

1- آل عمران: 61.

2- صحيح مسلم 7: 119، باب فضائل علي بن أبي طالب.

3- خصائص الامام النسائي: 47 و 114.

غير أنه سينازكك على هذا الأمر أناس ، فلو رغبت في بيعتي لك أعطني سيفاً له لسانٌ يقول لي خذ هذا ودع هذا!

فقال له علي عليه السلام : «أترى أحداً خالف القرآن في القول أو العمل ؟ لقد بايعني المهاجرون والأنصار على أن أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، فإن رغبت بايعت وإلا جلست في دارك فإني لستُ مكرهك عليه». (1)

أليس موقف سعد بن أبي وقاص غريباً ؟ فهو يشهد بأن علياً لا ريب فيه ، وأنه أحق الناس بالخلافة، وأنه أمين على الدين والدينا ثم بعد هذا يطالبه بسيف ناطق كشرط علي بيعته حتى يعرف به الحق من الباطل.

أليس هذا تناقضاً يرفضه العقلاء ؟ وهل هذا إلا المُحال الذي يطلبه مكابراً عرف الحق من صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من حديث روى هو بنفسه منها أكثر من خمسة؟! وقد يقول قائل : والمهم أن سعد امتنع عن بيعة علي كما امتنع عن سبّه لما أمره معاوية بذلك كما جاء في صحيح مسلم.

ولكن هذا لا يكفي سعداً ولا يضمن له الجنة ، لأن مذهب الاعتزال الذي أسسه تحت شعار : «أنا لستُ معك ولستُ ضدك» لا يقبله الاسلام ولا يعترف به ، لأن الاسلام يقول : ليس بعد الحق إلا الضلال .

## 7- عبد الرحمن بن عوف

وهو من كبار الصحابة أيضاً ، ومن الستة الذين رشّحهم عمر بن الخطاب للخلافة ، بل جعله رئيساً على مجلس الشورى والمقدم عليهم جميعاً ، إذ قال :

ص: 168

1- تاريخ اعثم : 163.

وإذا اختلفتهم فكونوا في الشق الذي فيه عبد الرحمن بن عوف .

وهو أيضاً من العشرة المبشرين بالجنة على اعتقاد «أهل السنة والجماعة» .

لعب دوراً كبيراً لإبعاد علي بن أبي طالب عن الخلافة بعد مقتل عمر ، وذلك بشرطه الذي اشترطه عليه في تحكيم سنة الخليفين أبي بكر وعمر ، لعلمه مسبقاً بأن علياً لا يقبل بذلك الشرط أبداً لأن سنتهما مخالفة للكتاب والسنة النبوية .

فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأحكام قال المسور : طرفني عبد الرحمن بعد هجيع من الليل فضرب الباب حتى استيقضت ، فقال : أراك نائماً فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم ، انطلق فادع الزبير وسعداً ، فدعوتهما له فشاورهما ثم دعاني فقال : ادع لي علياً ، فدعوته فناجاه حتى ابهاز الليل ، ثم قام علي من عنده وهو على مطمع ، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً ، ثم قال : ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتى فرّق بينهما المؤذن بالصبح .

فلما صلى للناس من الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار ، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر ، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال : أما بعد يا علي ، إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا- تجعل علي نفسك سبيلاً ، ثم قال مخاطباً لعثمان : أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفين من بعده ، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون. (1)

والباحث يفهم من هذه الرواية التي أخرجها البخاري بأن المؤامرة قد

ص: 169

1- صحيح البخاري 8: 123.

دُبِّرَ بليل ، ويفهم أيضاً الدهاء الذي يتمتع به عبد الرحمن بن عوف وإن اختيار عمر له لم يكن عفويًا.

وتأمل في قول الراوي وهو المسور : فدعوت له عليًا فناجاه ثم قام عليّ من عنده وهو على مطمع ! وهذا يدلنا على أنّ عبد الرحمن بن عوف هو الذي أطمع عليًا في الخلافة حتى لا ينسحب عليّ من الشورى المزيّفة ويتسبّب لهم في انقسام الأمة مرّة أخرى كما وقع عقيب بيعة أبي بكر في السقيفة ، ويؤكّد صحة هذا الاحتمال قول المسور : «وقد كان عبد الرحمن يخشى من عليّ شيئًا».

من أجل ذلك لعب عبد الرحمن دور المِراوغ المُخادع فطمأن عليًا في الليل وهنّأه للخلافة ، ولمّا أصبح وحصر أمراء الأجناد و حضر رؤوس القبائل وزعماء قريش عند ذلك انقلب عبد الرحمن ليفاجيء عليًا بأنّ الناس لا يعدلون بعثمان وأنّ عليه أن يقبل وإلا سيجعل على نفسه سبيلًا (يعني يقتلونه إن رفض البيعة لمن اختاروه وهو عثمان بن عفّان).

وإنّ الباحث ليفهم ذلك بوضوح خصوصاً عندما يقرأ هذه الفقرة الأخيرة من الرواية ، يقول المسور : «فلمّا اجتمعوا تشهّد عبد الرحمن ثمّ قال : أمّا بعد يا علي ، إني قد نظرتُ في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل على نفسك سبيلًا»، فلماذا يوجّه عبد الرحمن خطابه إلى علي وحده من بين الحاضرين ، ولماذا لم يقل مثلاً : أما بعد يا علي ويا طلحة ويا زبير؟!

من أجل ذلك فهمنا بأنّ الأمر دُبِّرَ بليل وأنّ الجماعة كانوا متّقين من البداية على عثمان وابعاد علي عنها .

ولكن ماذا كانت النتيجة ؟

ص: 170

يقول المؤرخون بأنّ عبد الرحمن بن عوف ندم أشد الندم لَمَّا رأى عثمان خالف سَنَّةَ الشيخين وأعطى المناصب والولايات إلى أقاربه وحاباهم بالأموال الطائلة ، فدخل عليه وعاتبه وقال : [إِنَّمَا قَدَّمْتُكَ \(1\)](#) على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحاييت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين .

فقال عثمان : إنَّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله .

قال عبد الرحمن : لله عليّ -أن لا أكلمك أبداً ، فلم يكلمه حتى مات وهو هاجر لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلمه. [\(2\)](#)

وبهذا يكون الله سبحانه قد استجاب دعاء الإمام علي في عبد الرحمن كما استجاب في طلحة والزبير فقتلا من يومهما .

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج : إنَّ عليّاً غضب يوم الشورى وعرف ما دبره عبد الرحمن بن عوف فقال له : «والله ما فعلتها إلاّ لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه ، دقّ الله بينكما عطر منشم» [\(3\)](#)

واستجاب الله دعاء الامام فلم تمض سنوات قليلة حتى ضرب الله بينهما العداوة والبغضاء ، وإذا بعبد الرحمن يُعادي صهره ولا يكلمه حتى الموت ولا يأذن له بالصلاة على جنازته.

ص: 171

---

1- قوله : [إِنَّمَا قَدَّمْتُكَ](#) يدلُّ على الاستبداد برأيه ولم يكن عن مشورة ولا عن اختيار الناس له كما يزعمون .

2- تاريخ أبي الفداء 1: 166 ، أنساب الأشراف للبلاذرى 5: 57 ، العقد الفريد 4: 280.

3- شرح نهج البلاغة 1: 188 ، و عطر منشم الذي دعا به علي عليهما فهو مثل سائر يُقال : أشأم من عطر منشم وهو يدلُّ على النفور والمقاتلة .



### إشارة

هي زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأم المؤمنين ، تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثانية أو الثالثة للهجرة وتوفي عنها وهي ابنة ثمانين سنة على أشهر الأقوال .

ولقب أم المؤمنين هذا لا يختص بعائشة ، فهو يطلق على كل امرأة تزوجها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فيقال أم المؤمنين خديجة ، وأم المؤمنين حفصة .. الخ.

قال تعالى : «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» (1)

لا نريد هنا إطالة البحث وسرد أدوار حياة عائشة ، فقد وافينا البحث عنها في كتاب «فاسألوا أهل الذكر» فعلى الباحثين مراجعته إن أرادوا معرفة ذلك .

ولكن الذي يهمنا من هذا البحث هو اجتهادها وتغييرها لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا بد من إبراز بعض الأمثلة لكي نفهم من خلال سلسلة هؤلاء «العظماء» الذين هم مفخرة «أهل السنة الجماعة» والذين يقتدون بهم ويقدمونهم على الأئمة الطاهرين من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

### أ. عائشة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

### إشارة

وإذا ما بحثنا حياتها مع زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجدنا الكثير من الذنوب والمعاصي ، فكانت كثيراً ما تتأمر مع حفصة على النبي حتى اضطرت إلى تحريم ما أحل الله له كما جاء ذلك في البخاري ومسلم تظاهرتا عليه أيضاً كما أثبت ذلك كل الصحاح وكتب التفسير وقد ذكر الله الحادثتين في كتابه العزيز .

كما كانت الغيرة تسيطر على قلبها وعقلها فتتصرف بحضرة النبي تصرفاً بغير احترام ولا أدب ، فمرة قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما ذكر عندها خديجة : ما لي

ص: 172

ولخديجة ، إنها عجوز حمراء الشدين أذلك الله خيراً منها ، فغضب لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اهتز شعره، (1) ومرة أخرى بعث إحدى أمهات المؤمنين للنبي (وكان في بيت عائشة) بصحفة فيها طعام كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشتهي ، فكسرت الصحفة أمامه بطعامها. (2)

وقالت للنبي مرة أخرى : أنت الذي تزعم أنك نبي الله. (3)

ومرة غضبت عنده فقالت له : اعدل ، وكان أبوها حاضراً فضربها حتى سال دمها. (4)

وبلغ بها الأمر من كثرة الغيرة أن تكذب على أسماء بنت النعمان لما زُقت عروساً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت لها : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ليعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول له أعوذ بالله منك ، وغرضها من وراء ذلك هو تطليق تلك المرأة البريئة الساذجة والتي طلقها النبي بسبب هذه المقالة. (5)

وقد بلغ من سوء أدبها مع حضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يصلي وهي باسطة رجليها في قبلته ، فإذا سجد غمزها فقبضت رجليها ، وإذا قام أعادت بسطتهما في قبلته. (6)

وتأمرت هي وحفصة مرة أخرى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اعتزل نساءه

ص: 173

---

1- صحيح البخاري 4: 231. باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة .

2- صحيح البخاري 6: 157 ، باب الغيرة.

3- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي 2: 29 كتاب أدب النكاح .

4- كنز العمال 7: 116.

5- الطبقات الكبرى لابن سعد 8: 145 ، الاصابة لابن حجر 4: 233.

6- صحيح البخاري 1: 101 ، باب الصلاة على الفراش .

بسببهما لمدة شهر كامل ينام على حصير (1)، ولما نزل قوله تعالى: «تُرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ...». قالت للنبي في غير حياء: ما أرى ربك إلا يسارع في هোক. (2)

وقد اساءت عائشة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً وجرعته الغصص ولكن النبي رؤوف رحيم، وأخلاقه عالية وصبره عميق، فكان كثيراً ما يقول لها: «ألبسك شيطانك يا عائشة» وكثيراً ما كان يأسي لتهديد الله لها ولحفصة بنت عمر، وكم من مرة ينزل القرآن بسببها، فقد قال تعالى لها ولحفصة: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا»، أي أنها زاغت وانحرفت عن الحق (3)، وقوله: «إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرًا» هو تهديد صريح من رب العزة لها ولحفصة التي كانت كثيراً ما تنصاع لها وتعمل بأوامرها.

وقال الله لهما: و«عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ»، وهذه الآيات نزلت في عائشة وحفصة بشهادة عمر بن الخطاب كما جاء في البخاري (4)، فدللت هذه الآية لوحدها على وجود نساء مؤمنات في المسلمين خير من عائشة.

واليك - أيها القاريء - بعض رواياتها بشيء من التفصيل لكي تتعرف على شخصية هذه المرأة التي لعبت أكبر الأدوار في إبعاد علي عن الخلافة، وحاربتة بكل ما أوتيت من قوة ودهاء.

ص: 174

- 1- صحيح البخاري 3: 105، باب الغرفة والعلية المشرفة من كتاب المظالم.
- 2- صحيح البخاري 6: 24 و 128 باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد.
- 3- صحيح البخاري 3: 106، باب الغرفة والعلية من كتاب المظالم.
- 4- صحيح البخاري 6: 69، باب إذا أسر النبي إلى بعض أزواجه.

ولكي تعرف أيضاً بأنّ إذهاب الرجس والتطهير بعيدة عنها بُعد السماء عن الأرض ، وأنّ أهل السنّة أكثرهم ضحايا الدسّ والتزوير فهم أتباع بني أميّة من حيث لا يشعرون .

1- قالت عائشة : «بعثت صفية زوج النبي إلى رسول الله بطعام قد صنعته له ، وهو عندي ، فلمّا رايت الجارية أخذتني رعدة حتى استقلّني أفكل ، فضربت القصعة ورميت بها، قالت : فنظر إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعرفت الغضب في وجهه ، فقلت : أعوذ برسول الله أن يلعنني اليوم ، قالت: قال: أوّلي ، قلت : وما كفّارته يا رسول الله ؟ قال : طعام كطعامها وإناء كإنائها.(1)

2- وقالت مرّة تروي عن نفسها : قلت للنبي حسّبك من صفية كذا وكذا ، فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته».(2)

سبحان الله ! أين أمّ المؤمنين من الأخلاق وأبسط الحقوق التي أفرها الاسلام في تحريم الغيبة والنميمة ؟ ولا شكّ بأنّ قولها : «حسبك من صفية كذا وكذا» وقول الرسول بأنّه كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ، بأنّ ما قالت عائشة في ضرّتها أمّ المؤمنين صفية أمر عظيم ، وخطب جسيم ، وأعتقد بأنّ رواة الحديث استفضعوها واستعظموها فأبدلوها بعبارة (كذا وكذا) كما هي عادتهم في مثل هذه القضايا .

3- أخرج مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده وغيرهم عن عائشة قالت : لمّا كانت ليّليتي التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها عندي انقلب فوضع رداءه و خلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلّا .

ص: 175

1- مسند أحمد 6: 277 ، سنن النسائي 2: 148.

2- صحيح الترمذي ، وقد رواه عنه الرزكشي : 73.

1 ريثما ظنَّ أن قد رقدت فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج ثمَّ أجافه رويداً فجعلت درعي في رأسي و اختمرت و تقنّعت إزاري ثمَّ انطلقت على إثره حتى جاء البقيع ، فقام فأطال القيام ثمَّ رفع يديه ثلاث مرّات ثمَّ انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهورل فهورلت ، فأحضر فأحضرت ، فسبّته فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : «مالك يا عائش حشياً رابية» ؟ قالت : فقلت : لا شيء.

قال : لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير .

قالت: قلت : يا رسول الله بأبي أنت و أمي فأخبرته ، قال : فأنت السواد الذي رأيت أمامي ؟

قلت: نعم ، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ثمَّ قال : أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله...[\(1\)](#)

4 - قالت عائشة : إن رسول الله خرج من عندي ليلاً ، قالت : فغرت عليه ، قالت : فجاء فرأى ما أصنع فقال : «مالك يا عائشة ، أغرت»؟

فقلت : ومالي أن لا يغار مثلي على مثلك!

فقال رسول الله : «أأخذ شيطانك»؟[\(2\)](#)

وهذه الرواية الأخيرة تدلّ دلالة واضحة على أنّها عندما تغار تخرج عن أطوارها و تفعل أشياء غريبة كأن تكسر الأواني أو تمزق الملابس مثلاً ، ولذلك تقول في هذه الرواية فلما جاء ورأى ما أصنع قال: فأخذك شيطانك؟

وما يقوله «أهل السنّة والجماعة» من أنّ عائشة كانت أحب نساء الرسول

ص: 176

---

1- صحيح مسلم 3: 64 باب ما يقال عند دخول القبور ، مسند أحمد 6: 221.

2- مسند أحمد 6: 115.

إليه وأعزهم لديه حتى أنهم يروون أن بعض نسائه وهبن نوبتهن لعائشة لما علمن بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحبها ولا يصبر عليها، فهل يمكن والحال هذه أن نجد مبرراً وتفسيراً لغيره عائشة المفرطة؟ والمفروض أن العكس هو الصحيح، أي أن تغار بقية أزواج النبي من عائشة لشدة حبه إياها وميله معها كما يروون ويزعمون.

### تحذير النبي من عائشة وفتنتها

1- وقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما عرف بأنها هي الفتنة التي جعلها الله في هذه الأمة لئبتيها بها كما ابتلي سائر الأمم السابقة، قال تعالى: «أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» (1)

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمة منها في مرّات متعدّدة حتى قام في يوم من الأيام واتّجه إلى بيتها وقال: ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان».

وقد أخرج البخاري في صحيحه في باب ما جاء في بيوت أزواج النبي: قال: عن نافع عن عبد الله رضى الله عنه قال: قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: «ها هنا الفتنة ثلاثاً، من حيث يطلع قرن الشيطان» (2).

ولا عبرة بالزيادة التي أضافوها بقولهم: يعني المشرق، فهي واضحة الوضع ليخقفوا بها عن أم المؤمنين ويبعدوا هذه التهمة عنها.

2- جاء في صحيح البخاري: قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث عليّ بن عمار بن ياسر والحسن بن عليّ فقدا علينا الكوفة فصعدا

ص: 177

1- العنكبوت: 2.

2- صحيح البخاري 4: 46.

المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمّار أسفل من الحسن فاجتمعا إليه فسمعت عمّاراً يقول : إنّ عائشة قد سارت إلى البصرة ووالله إنها الزوجة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي (1).

الله أكبر ، فهذا الخبر يدلّ أيضاً أنّ في طاعتها معصية لله وفي معصيتها هي والوقوف ضدّها طاعة لله .

كما نلاحظ أيضاً في هذا الحديث أنّ الرواة من بني أمية أضافوا عبارة والآخرة» في «إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة» ليموهوا على العامة بأنّ الله غفر لها كلّ ذنب اقترفته وأدخلها جنّته وزوجها حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلا من أين علم عمّار بأنّها زوجته في الآخرة!؟

## ب - عائشة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

### إشارة

وقد سجّل لها التاريخ كرهاً وبغضاً للإمام علي لم يعرف له مثل وصل بها إلى حدّ أنّها لا تطيق ذكر اسمه (2) ولا تطيق رؤيته وعندما تسمع بأنّ الناس قد بايعوه بالخلافة بعد قتل عثمان تقول : وددت لو أنّ السماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب ، وتعمل كلّ جهودها للإطاحة به ، و تقود ضدّه عسكرياً جرّاراً لمحاربتة ، وعندما يأتيها خبر موته تسجد شكراً لله!

ألا تعجبون معي لأهل السنّة والجماعة الذين يروون في صحاحهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «يا علي لا يُحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» (3)، ثمّ

ص: 178

1- صحيح البخاري 8: 97 .

2- صحيح البخاري 1: 162 وج 3: 135 وج 5: 140 .

3- صحيح مسلم 1: 61، صحيح الترمذي 5: 300، سنن النسائي 8: 116.

يروون في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم بأن عائشة تبغض الإمام علي ولا تطيق ذكر اسمه ، أليس ذلك شهادة منهم على ماهية المرأة؟

كما يروي البخاري في صحيحه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «فاطمة بضعة منّي من أغضبها فقد أغضبني ، ومن أغضبني فقد أغضب الله»(1)، ثم يروي البخاري نفسه بأنّ فاطمة ماتت وهي غاضبة على أبي بكر ، فلم تكلمه حتى ماتت (2)، أليس ذلك شهادة منهم بأنّ الله ورسوله غاضبان على أبي بكر ؟ فهذا ما يفهمه كلّ العقلاء ، ولذلك أقول دائماً بأنّ الحق لا بدّ أن يظهر مهما ستره المبطلون ومهما حاول أنصار الأمويين التمويه والتلفيق فإنّ حجة الله قائمة على عباده من يوم نزول القرآن إلى قيام الساعة.

### ومن مخالفتها للسنة النبوية :

1- أنّها عصت أمر الله وأمر رسوله لها بالذات وخرجت فقادت حرب الجمل المشؤومة التي انتهكت فيها المحارم ، وقتلت الأبرياء وخانت العهد في الكتاب الذي كتبه مع عثمان بن حنيف وعندما جاؤوها بالرجال مكتفين أمرت بضرب أعناقهم صبراً وكأنّها لم تسمع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر»(3).

2 - أخرج البخاري في صحيحه من أبواب التقصير عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة لو حضر .

ص: 179

1- صحيح البخاري 4:210 .

2- صحيح البخاري 5:82 ج 3:8 .

3- صحيح البخاري 8:91 .



قال الزهري: فقلت لعروة: ما بال عائشة تتم؟ قال: تأولت كما تأول عثمان. (1)

أفلا تعجب كيف تترك أم المؤمنين زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة رسول الله التي روتها بنفسها وصححتها، ثم تتبع بدعة عثمان بن عفان والتي كانت تحرض على قتله بدعوى أنه غير سنة النبي وأبلاها قبل أن يُبلى قميصه؟!

3 - كان عائشة تقتي برضاة الكبير وكانت ترى أنّ الرجال يمكنهم أن يرضعوا من النساء فيصبحوا بذلك من محارمهنّ، فقد أخرج الإمام مالك في موطأه بأنّها كانت تبعث بالرجال إلى أختها أمّ كلثوم وإلى بنات أخيها فيرضعوا منهنّ وتستبيح أمّ المؤمنين عائشة بعد تلك الرضاة مقابلتهم بدون حجاب (2)، لأنّهم على رأيها أصبحوا من محارمها؟

وما علينا إلا أن نتصوّر أحد المسلمين يُفاجيء زوجته مع أحد الرجال وهو يُداعب ثدييها بالرضاة فتقول زوجته: إنّي أرضعه لكي يصبح ابني ويدخل علينا بدون حرج! وما على الزوج المسكين إلا أن يتحمّل بدعة عائشة ولو يجد في نفسه حرجاً ممّا قضيت ويسلم تسليمًا!

## 9- خالد بن الوليد

### إشارة

يلقبه أهل السنة والجماعة بـ«سيف الله»، كان أبوه «الوليد بن المغيرة» يعتقد بأنّه أحقّ وأولى بالنبوة من الرسول، فكان يقول: أينزل القرآن والنبوة على محمد الفقير وأترك أنا كبير قريش وسيدّها؟

ص: 180

1- صحيح البخاري 2: 36.

2- موطأ مالك 2: 606، باب رضاة الكبير.

وقد نزلت في حقه العديد من الآيات التي تتوعده بالنار وبئس القرار. (1)

### ومن مخالفات خالد للرسول وسنته الشريفة :

1- قام في فتح مكة بمخالفة أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حيث نهاهم عن القتال فدخل خالد إلى مكة يوم الفتح بعدما قتل أكثر من ثلاثين رجلاً أغلبهم من قريش .

2 - وعصى خالد أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرة أخرى عندما بعثه صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الاسلام ولم يأمره بقتال ، فذهب إليهم وأوقع فيه وغدر بهم بعدما أعلنوا إسلامهم وقتلهم صبراً ، حتى اتهمه عبد الرحمن بن عوف ، الذي حضر معه تلك الواقعة ، بأنه إنما قتلهم ليثأر لعميه اللذين قتلها بنو جذيمة. (2)

3 - ومن أعماله الأخرى كذلك ما فعله في الإمامة أيام أبي بكر ، وغدره بمالك بن نويرة وقومه وكيف قتلهم صبراً وهم مسلمون ودخل بزوجة مالك ونكحها في ليلتها ولم يراع في ذلك شرع الاسلام ولا مروءة العرب ، حتى أن عمر ابن الخطاب مع تساهله في الأحكام إلا أنه شتّع عليه وسمّاه عدوّ الله وتوعده بالرجم.

أخرج الطبري في الرياض النضرة أنه كان في بني سليم ردة فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد فجمع رجالاً منهم في الحضائر وأضرم عليهم النار فأحرقهم، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال : تدع رجلاً يعدّ بعباد الله عزّ وجلّ ؟

ص: 181

1- المدثر: 11-26 ، القلم : 10-16.

2- تاريخ يعقوبي 2: 61 .

فقال أبو بكر: والله لا أشيئُ سيفاً سلَّه الله على عدوّه حتى يكون هو الذي يشيمه، ثم أمره من وجهه إلى مسيلمة. (1)

وهكذا عصي خالد السّنة النبوية مرّة أخرى، فقد أخرج البخاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ النار لا يُعذّب بها إلّا الله» وقوله أيضاً: «لا يُعذّب بالنار إلّا ربّها». (2)

سيف الله المسلول: ومن هنا سمّي «أهل السّنة والجماعة» خالداً ب«سيف الله المسلول»، فهذا اللقب الذي اشتهر به خالد لم يقله رسول الله أبداً، وغاية ما هناك أنّ أبا بكر هو الذي أعطى لخالد هذا الوسام عندما بعثه لإسكات الثائرين عليه من أجل الخلافة وفعل بهم ما فعل و نقم عليه عمر بن الخطاب وقال الأبي بكر: «إنّ في سيف خالد لرهباً» وهو أعرف الناس به وأقربهم إليه، عند ذلك قال أبو بكر لعمر: إنّ خالداً سيفٌ من سيوف الله سلَّه على أعدائه، إنّه تأوّل فأخطأ!

وينبغي على الباحثين أن يراجعوا التاريخ بعين البصيرة ومن وجهة النقد البناء الذي يوصلهم إلى الحقيقة بكلّ تجرّد وحياد ولا تأخذهم العصبية المذهبية فيقوموا الأشخاص من خلال الأحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّ «أهل السّنة والجماعة» وهم بنو أمية في الواقع يمسخون الأحداث التاريخية بحديث واحد يضعونه من عندهم ليقطعوا به الطريق على الباحثين فلا يصلون إلى الحقيقة.

وما أسهل أن يقول أحدهم: قال رسول الله لخالد بن الوليد: «مرحباً بسيف

ص: 182

1- الرياض النضرة 1: 149.

2- تاريخ البخاري 1: 59.

الله»، فيأخذ هذا الحديث المكذوب مأخذه من نفوس المسلمين الأبرياء الذين يحسنون الظن ولا يعرفون خفايا الأمور ودسائس الأمويين ، فيتأولون بعد هذا الحديث الموضوع كل ما يُقال في خالد من حقائق ويلتمسون لها عذراً.

وهذا ما يسمّى بالتأثير النفسي على الأشخاص وهو الداء العضال الذي يحجب الانسان عن الحقّ ويقلب الواقع تماماً .

فبعد أن درسنا التاريخ وعرفنا ما فعله خالد بن الوليد وعرفنا الحقّ من الباطل فلا يمكن لنا أن نسميه سيف الله ، ويحقّ لنا أن نسأل متى لقبه رسول الله بذلك ، هلّ سمّاه سيف الله عندما قتل أهل مكة يوم الفتح وقد عرفنا بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم نهاه عن القتال ؟

أم عندما بعثه مع سرية زيد بن حارثة إلى مؤتة وقال : إذا قتل زيد ، فجعفر ابن أبي طالب، وإذا قتل جعفر فعبدا لله بن رواحة ، ولم يعيّنه حتى في المرتبة الرابعة لقيادة الجيش ، وبعد مقتل الثلاثة لاذ خالد بالفرار من المعركة بمن بقي من الجيش ؟

أم لقبه بسيف الله عندما خرج معه إلى غزوة حنين صحبة اثني عشر ألف مقاتل فأعطى الادبار وولى هارباً تاركاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المعركة ومعه اثنا عشر رجلاً؟

وإذا كان الله يقول : «وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (1)

فكيف يسمح لسيفه بالهروب؟ إنّه حقّ أمرٌ عجيب!

ص: 183

و هو من الصحابة المتأخرين عن الاسلام، وعلى حسب ترتيب الطبقات لابن سعد فهو يعدّ من الطبقة التاسعة أو العاشرة.

قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر السنة السابعة للهجرة، وبذلك يقول المؤرّخون بأنّ صحبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تتجاوز ثلاث سنين(1)، على أكثر تقدير، ومنهم من ينزل بتلك الصحبة إلى أقل من سنتين باعتبار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثه مع ابن الحضرمي إلى البحرين فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالبحرين.

ولم يكن أبو هريرة من الذين عُرفوا بجهد أو شجاعة، ولا- من أولئك الدهاة المفكرين ولا- من الفقهاء الحافظين ولم يكن يعرف القراءة والكتابة، وقدم على رسول الله على ملء بطنه كما صرّح هو بذلك.

ولكنّه اشتهر بكثرة الأحاديث التي يرويها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبلغت مروياته ما يقرب من ستّة آلاف حديث، وهذا ما ألفت نظر المحقّقين إليه، ولأنّه مع قلّة الصحبة روى أحاديث ووقائع لم يحضرها أبداً

وجمع بعض المحقّقين مجموع مرويات الخلفاء الراشدين والعشرة المبشّرين وأمّهات المؤمنين وأهل البيت الطاهرين فلن تبلغ كلّها عشر معشار ما رواه أبو هريرة بمفرده.

ومن هنا توجّهت إلى أبي هريرة أصابع الاتّهام ووصفته بالكذب والوضع والتدليس وقالوا بأنّه أوّل راوية اتّهم في الاسلام.

وعلى هذا الاساس ضربه عمر بن الخطّاب بالدرة وقال له: قد أكثرت من

ص: 184

الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله ، وذلك لرواية رواها «أنَّ الله خلق السماوات والأرض والخلق فعَدَّ سبعة أيَّام»، فلما سمع بذلك عمر دعاه وطلب منه إعادة الحديث ، فلما أعاده ضربه عمر وقال : يقول الله في ستَّة أيَّام وأنت تقول في سبعة؟

فقال أبو هريرة : علني سمعته من كعب الأخبار!

فقال عمر: ما دمت لا تفرّق بين أحاديث النبي وكعب الأخبار فلا تحدّث. (1)

كما يروى أن الإمام علي بن أبي طالب قال : «ألا إنّ أكذب الأحياء على رسول الله أبو هريرة الدوسي». (2)

كما أنّ عائشة أمّ المؤمنين كذّبت عدّة مرّات في عدّة أحاديث رواها، فأنكرت عليه مرّة وقالت له : متى سمعت رسول الله يقول ذلك؟

فقال لها : لقد شغلك عن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرأة والمكحلة والخضاب ، ولما أصرت على تكذيبه وشهّرت به ، وتدخّل مروان بن الحكم وتبّنت من صحة الحديث اعترف عند ذلك أبو هريرة وقال : إني لم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما سمعته من الفضل بن العباس. (3)

وقد اشتهر أبو هريرة في حياته من بين الصحابة بالكذب والتدليس والإكثار من الأحاديث الموضوعية حتى أن بعضهم كان يستهزء به ويطلب منه وضع الأحاديث لما يريد ، فقد روي أنّ رجلاً من قريش لبس جبّة جديدة .

ص: 185

- 
- 1- كتاب أبو هريرة لمحمود أبو ريّة المصري : 103.
  - 2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 4 : 68.
  - 3- صحيح البخاري 2: 232 ، موطأ مالك 1: 290 ح 11.

وأخذ يتبختر فيها ومرّ بأبي هريرة فقال له : يا أبا هريرة إنك تكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهل سمعته يقول في حلّتي هذه شيئاً؟

فقال أبو هريرة : سمعت أبا القاسم يقول : إنّ رجلاً ممّن كان قبلكم بينما كان يتبختر في حلّته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجلُ فيها حتى تقوم الساعة ، فوالله ما أدري لعلّه كان من قومك ورهطك. (1)

وأخرج البخاري في صحيحه أنّ أبا هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الصدقة ما ترك غني واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، تقول المرأة إمّا تطعمني وإمّا أن تُطلقني ، ويقول العبد أطعمني واستعملني ، ويقول الابن أطعمني إلى من تدعني».

فقالوا: يا أبا هريرة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!؟

فقال: لا ، هذا من كيس أبي هريرة. (2)

انظر كيف يبدأ الحديث بقوله : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ بعد ذلك عندما يُنكرون عليه ويستفهمونه ، يعترف بوضعه ويقول : هو من كس أبي هريرة!

فهنيئاً لأبي هريرة بهذا الكيس المليء بالكذب والأساطير والذي وجد له رواجاً عند معاوية وبنو أميّة واكتسب من ورائه الجاه والسلطان والأموال والقصور ، فقد ولّاه معاوية ولاية المدينة المنورة وبنى له قصر العقيق وزوّجه من المرأة الشريفة التي كان أبو هريرة يخدمها .

وليس اللوم على أبي هريرة ، ولكن اللوم على «أهل السنة والجماعة»

ص: 186

1- البداية والنهاية 8: 108.

2- صحيح البخاري 6: 190 باب وجوب النفقة على الأهل والعيال .

الذين يجعلون من أبي هريرة-راوية السنّة ، وهو يشهد بأنه كتمها ويشهد بأنه دلّسها وكذب عليها ويشهد أيضاً بأنها اختلطت عليه فلم يعرف حديث النبي من حديث غيره .

وهذا كلّ من أحاديث واعترافات صحيحة جاءت في صحيح البخاري.(1)

وغيره من صحاح «أهل السنّة والجماعة»، فكيف يطمئنون لرجل طعن في عدالته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واتّهمه بالكذب ، فقال : إنه أكذب الأحياء على النبي ، واتّهمه عمر بن الخطاب وضربه وهدّده بالنفي ، كما طعنت فيها عائشة وكذّبتّه عدّة مرّات ، و طعن فيه كثير من الصحابة وردّوا أحاديثه المتناقضة ؟ وكيف يصحّ بعد كلّ هذا أن يصبح أبو هريرة راوية الاسلام يأخذون عنه أحكام الدين ؟

## 11- عبدالله بن عمر

من مشاهير الصحابة الذين كان لهم دور كبير في سير الأحداث التي وقعت في زمن الخفاء الثلاثة وفي عهد بني أمية ، ويكفي أن أباه عمر بن الخطاب ليكون عند «أهل السنّة والجماعة» معظماً ومحبوباً ، فهم يعدّونه من أكبر الفقهاء ومن حفاظ «الأحاديث النبوية، حتى أنّ الإمام مالكاً اعتمد عليه في أكثر أحكامه ، كما أنّه أشبع كتاب الموطأ من أحاديثه.

وأول ما يلفت انتباهنا هو عداؤه الشديد وبغضه لسيد العترة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، الذي وصل به إلى حدّ الوقعة فيه واعتباره من سوقة الناس ، وقد رُوّج أحاديث مكذوبة مفادها أنّهم كانوا يُفاضلون على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى مسمع منه بأنّ أفضل الناس أبو بكر، ثمّ عمر ، ثمّ عثمان ، ثمّ الناس بعد ذلك

ص: 187

1- انظر : صحيح البخارى 1:30 و 37 و 38، باب حفظ العلم .



سواء ، فيسمع ذلك النبي ولا ينكره! (1)

وهو كما ترى كذب مفضوح يضحك منه العقلاء ، فعبداً لله بن عمر كان في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاباً صغيراً لم يبلغ الحلم ولم يكن له مع أهل الحل والعقد شأنٌ يُذكر ولا رأيٌ يسمع ، وقد تُوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعبدالله بن عمر في التاسعة عشر من عمره على أحسن التقادير ، فكيف يقول والحال هذه : كُنَّا نُفاضل في عهد النبي ؟ اللهم إلا إذا كان ذلك حديث الصبيان فيما بينهم من أولاد أبي بكر وعثمان وإخوته هو ، ومع ذلك فلا يصحّ أن يُقال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمع ذلك فلا ينكره !

أضف إلى ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأذن لعبد الله بن عمر بالخروج معه إلا في غزوة الخندق وما بعدها من الغزوات إذ بلغ عمره خمسة عشر عاماً. (2)

فلا شك أنّه حضر غزوة خيبر التي وقعت في السنة السابعة للهجرة وسمع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «لأعطينّ الراية غداً إلى رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كزاراً ليس فراراً امتحن الله قلبه للإيمان» ، ولما أصبح اعطاها لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب. (3)

فهل من سائل يسأل ابن عمر : لماذا اختلف المسلمون كلّهم أو جلّهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيمن يستحقّ الخلافة ومن هو أولى بها فاختلفوا في علي وأبي بكر فقط ولم يكن لأبيه عمر ولا لابن عفان سوق رائجة في ذلك العهد؟

وهل من سائل يسأل ابن عمر : إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرّك على رأيك ، فلا يعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ، فلماذا ولي عليهم قبل وفاته بيومين شاباً .

ص: 188

1- صحيح البخاري 4: 191، صحيح مسلم 7: 114.

2- صحيح البخاري 3: 158، كتاب الشهادات ، باب بلوغ الصبيان .

3- صحيح البخاري 5: 76، صحيح مسلم 5: 190 .

الانبات بعارضيه أصغر منك سنّاً وأمرهم بالسير تحت إمرته وقيادته؟ أترأه يهجر كما قال أبوك؟ وأخيراً هل من سائل يسأل ابن عمر: لماذا اختار جلّ الصحابة علي بن أبي طالب للخلافة بعد مقتل عمر وقدّموه على عثمان، لولا- رفضه شرط ابن عوف في الحكم بسنة الشيخين؟(1)

ولكن عبدالله بن عمر تأثر بأبيه، فقد عاش خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وهو يرى علي بن أبي طالب مُبعداً، فشبّ على ذلك البغض والحقد لعلي، وعندما بويع علي بالخلافة بعد مقتل عثمان رفض ابن عمر أن يبايع أمير المؤمنين علي ولم يتحمل البقاء في المدينة، فخرج إلى مكة مدّعياً العمرة.

ولكنّا نرى عبدالله بن عمر يسارع إلى بيعه معاوية بن أبي سفيان الذي يقول: «إني لم أقاتلكم لتصلّوا أو تصوموا أو تحجّوا، ولكن قاتلتكم لأن تأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك».

ونراه يسارع لبيعة يزيد بن معاوية، يزيد الخمر والفجور والكفر والفسوق، الطليق ابن الطليق، اللعين ابن اللعين.

فإذا كان عمر بن الخطاب يقول -كما ذكره ابن سعد في طبقاته-: «لا تصلح الخلافة لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح»(2)، فكيف يخالف عبدالله أباه في هذا المبدأ الذي سطره من قبل؟ وإذا كان عبدالله بن عمر يخالف كتاب الله وسنة رسول الله في أمر الخلافة فلا نستغرب أن يعمل بعكس رأي أبيه.

والمعروف أنّه هو نفسه كان من المعارضين لبيعة يزيد في البداية، ولكنّ معاوية عرف كيف يستميله فأرسل إليه مائة ألف درهم فقبلها، فلمّا ذكر له البيعة

ص: 189

1- تاريخ الطبري 4: 238، تاريخ الخلفاء للسيوطي: 154، وكذلك مسند أحمد 1: 75.

2- الطبقات الكبرى لابن سعد 3: 342.

لابنه يزيد قال ابن عمر : هذا ما أراد؟ إنَّ ديني إذن عليّ لرخيص. (1)

ولم يكتف عبد الله بن عمر بهذا الحدّ من البيعة إلى يزيد فحسب ، بل عمل على حمل الناس عليها وردّهم إليها وخوّف كلّ من تحدّثه نفسه بالخروج عليها .

فقد أخرج البخاري في صحيحه بأنَّ عبد الله بن عمر جمع ولده وحشمه ومواليه - وذلك عندما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية - فقال لهم: إنّنا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله ! وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذا غدرة فلان ، وإنّ من أعظم الغدر بعد الإشراف بالله أن يبايع رجلاً رجلاً على بيع الله ورسوله ثمّ ينكث بيعته (2) ولا يخلعنّ أحدٌ منكم يزيد ولا يشركنّ أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون صليماً بيني ، بغا وبينه. (3)

ولقد قوي بطش يزيد بموالاة عبد الله بن عمر له وتحريضه الناس على بيعته ، فجهّز جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة من أكابر الفاسقين وأمره بالسير إلى مدينة الرسول وأباح له أن يفعل فيها ما يشاء فقتل عشرة آلاف من الصحابة وسبي نساءهم وأموالهم وقتل سبعمائة من حفاظ القرآن على ما يذكره البلاذري ، وهتك الحرمات من الحرائر المسلمات حتى ولدن من سفاح أكثر من ألف مولود ، وأخذ منهم البيعة على أنهم كلهم عبيد لسيّده يزيد.

أفلم يكن عبد الله بن عمر شريكه في كلّ ذلك ، إذ عمل على دعمه وتأييده؟ أترك الاستنتاج في ذلك إلى الباحثين!

ولم يقف عبد الله بن عمر عند هذا الحدّ، بل تعدّاه إلى بيعة مروان بن الحكم

ص: 190

1- أنساب الأشراف للبلاذري 4: 38، الاستيعاب لابن عبد البر 2: 396

2- ليت ابن عمر قال هذا لطلحة والزبير اللذين نكثا بيعتهما لعلي وحاربا.

3- صحيح البخاري 1: 166، مسند أحمد 2: 48.

الوزغ اللعين والطلق الفاجر الذي حارب علياً وقتل طلحة وفعل الأفاعيل، من حرق بيت الله الحرام ورميها بالمجانيق حتى هدم ركنها، وقتل فيها عبد الله بن الزبير، وأعمال أخرى يندى لذكرها الجبين.

ثم يذهب ابن عمر في البيعة أشواطاً ويذهب إلى بيعة الحجاج بن يوسف الثقفي الزنديق الأكبر الذي كان يستهزيء بالقرآن ويقول: ما هو إلا رجز الأعراب، ويفضّل على رسول الله سيّده عبد الملك بن مروان، والذي يقول عنه الترمذي في صحيحه: أحصى ما قتل الحجاج صبراً فوجد مائة وعشرون ألفاً. (1)

وقال ابن عساکر في تاريخه بعد ذكر من قتلهم الحجاج: ووجد في سجنه بعد موته ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة. (2)

هذا الحجاج الذي تنبأ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته فقال: «إنّ في تقيف كذاباً ومُبيراً»، والغريب أنّ روي هذا الحديث هو عبد الله بن عمر نفسه. (3)

نعم، لقد ترك عبدالله بن عمر بيعة خير البشر بعد النبي ولم ينصره ولم يصلّ وراءه فأذله الله سبحانه وذهب إلى الحجاج يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من مات وليست في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»، فاحتقره الحجاج وأعطاه رجله قائلاً: إنّ يدي مشغولة، فبايعه! وكان يصلّي خلف الحجاج الزنديق وخلف واليه نجدة بن عامر رأس الخوارج. (4)

ولذلك نجد مذهب أهل السنّة والجماعة «يفتون بالصلاة وراء البر والفاجر، وراء المؤمن والفاسق وذلك استناداً لما فعله سيّدهم وفقهيه مذهبهم

ص: 191

1- صحيح الترمذي 4: 433.

2- تاريخ ابن عساکر 4: 249.

3- صحيح الترمذي 4: 433، مسند أحمد 2: 91.

4- الطبقات الكبرى لابن سعد 4: 149، المحلّي لابن حزم 4: ص 213.

هذا جزء يسير من مخالقات عبدالله بن عمر للسنة النبوية ، ولو شئنا لجمعنا في ذلك كتاباً مستقلاً، ولكن يكفينا ذكر بعض الأمثلة من كتبهم وصحاحهم حتى تكون حجتنا بالغة:

1- قال الله في كتابه العزيز : «فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَبَغُّوا حَتَّى تَقِيَهُ إِلى أَمْرِ اللَّهِ»(1)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي أنت تقاتل بعدي الناكثين والفاستين والمارقين» .

فيخالف عبدالله بن عمر نصوص القرآن والسنة النبوية ويقول برأيه : لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلب.(2)

2 - رخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنساء إذا كنَّ محرمات أن يلبسن الخفَّين ، وكان ابن عمر يفتي بحرمة ذلك.(3)

3- أنكرت عليه عائشة عدّه فتاوى كان يفتي بها ، منها : كان يفتي بأنَّ القبلة توجب الوضوء، أو فتواه بأنَّ الميِّت يُعذَّب ببكاء الحي عليه ، وكذلك في أذان الصبح وفي قوله بأنَّ الشهر تسعة وعشرون يوماً ، كما عارضته في عدّة مسائل أخرى.(4)

وتكفينا شهادة عمر بن الخطاب في ابنه عبد الله عندما قال له أحد المتملِّقين ، وهو على فراش الموت : استخلف عبدالله بن عمر، فقال له : كيف استخلف عليهم من لا يعرف كيف يطلق زوجته؟

ص: 192

1- الحجرات: 9.

2- الطبقات الكبرى لابن سعد 4: 110.

3- سنن البيهقي 5: 51 ، مسند أحمد 2: 29 .

4- صحيح البخاري 2: 89.

من روايات البخاري ومسلم (1)

### فضائل يبطلها العقل والواقع

يمتاز صحيح البخاري ومسلم بأهمية بالغة لدى أهل السنّة والجماعة حتى أصبحت عند عامة المسلمين المرجعين الأساسيين والمصدرين الأولين في كلّ المباحث الدينية وأصبح من العسير على بعض الباحثين أن يصرّحوا بما يجدوه من تهافت و تناقض و منكرات فيتقبّلونها على مضض ولا يكشفون بها قومهم خشية منهم أو خشية عليهم ، لما في نفوسهم من احترام و تقديس لهذين الكتابين .

و نحن إذا قدمنا عليّ نقدهما وتخريج بعض المطاعن عليهما ليس ذلك إلاّ التنزيه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وعدم الخدش في عصمته ، وإذا كان بعض الصحابة لم يسلم من هذا النقد والتجريح للغرض نفسه ، فما البخاري ومسلم بأفضل من أولئك المقربين الصاحب الرسالة.

و من الجدير ذكره هنا أنّه ليس كلّ ما في البخاري هو منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد يخرج البخاري حديثاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ يعقب عليه بآراء بعض الصحابة فيصبح القارىء يعتقد بأنّ ذلك الرأي أو الحديث هو لرسول الله في حين أنّه ليس له .

أضرب لذلك مثلاً :

ص : 193

أخرج البخاري في صحيحه(1) في كتاب الجليل باب في النكاح قال :

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا تُنكح البكر حتى تُستأذن ، ولا الثيب حتى تُستأمر » ، فقيل : يا رسول الله كيف إذنها ؟ قال : « إذا سكتت » .

وقال بعض الناس إن لم تُستأذن البكر ولم تزوج فاحتال رجلٌ فأقام شاهدي زورٍ أنه تزوجها برضاها فأثبت القاضي نكاحها والزوج يعلم أنّ الشهادة باطلة فلا بأس أن يطأها وهو تزويج صحيح .

فانظر قول البخاري (بعد حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم) وقال بعض الناس! فلماذا يُصبح قول بعض الناس (وهم مجهولون) بأنّ النكاح بشهادة الزور هو نكاح صحيح ، فيتوهم القارىء بأنّ ذلك هو رأي الرسول ، وهو غير صحيح .

### البخاري ومسلم يذكران أي شيء لتفضيل أبي بكر وعمر

1- أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق ، وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضی الله عنه .

عن أبي هريرة قال : صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الصبح ، ثمّ أقبل على الناس فقال : «بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت: إنّنا لم نخلق لهذا، إنّما خُلِقنا للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! بقرة تتكلم ؟ فقال : «فإني أومنُ بهذا أنا وأبو بكر وعمر» و ما هُما ثمّ . «وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاةٍ، فطلبه حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب : ها إنك استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع ، يوم لا راعي لها غيري؟» فقال الناس : سبحان الله! ذئب يتكلم؟

ص: 194

1- صحيح البخاري 9: 32.

قال : «فإنِّي أؤمنُ بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وما هُما ثمَّ : (1)

وهذا الحديث ظاهر التكلّف وهو من الأحاديث الموضوعية في فضائل الخليفتين، وإلا لماذا يُكذب الناس وهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يقوله لهم حتى يقول في المرّتين : أؤمنُ بهذا أنا وأبو بكر وعمر ، ثمّ انظر كيف يؤكد الراوي على عدم وجود أبي بكر وعمر في المرّتين ، إنّها فضائل مضحكة لا معنى لها.

2- أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النبي باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لو كنت متخذاً خليلاً ، ومسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عن عمر بن العاص ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت : أيّ الناس أحبُّ إليك؟ قال : عائشة ، فقلت من الرجال؟ قال: أبوها ، قلت : ثمّ من؟ قال : عمر بن الخطاب ، فعَدَّ رجالاً.

وهذه الرواية وضعها الوضّاعون لمّا عرفوا أنّ التاريخ سجّل في سنة ثمان من الهجرة (يعني سنتين قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جيشاً فيه أبو بكر وعمر بقيادة عمرو بن العاص إلى غزوة ذات السلاسل، وحتى يقطعوا الطريق على من يريد القول بأنّ عمرو بن العاص كان مقدّماً في المنزلة على أبي بكر وعمر ، تراهم اختلقوا هذه الرواية على لسان عمرو نفسه للإشادة بفضل أبي بكر وعمر ، وأفحموا عائشة حتى يبعدوا الشكّ من ناحية وحتى تحظى عائشة بأفضلية مطلقة من ناحية أخرى.

ولذلك ترى الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم يقول : «هذا تصريح

ص: 195

---

1- صحيح البخاري 4: 212 ، صحيح مسلم 4: 1857 ح 2388.



بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم ، فيه دلالة بيّنة لأهل السنّة في تفضيل أبي بكر ثمّ عمر على جميع الصحابة»(1)

3- أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم باب مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه ، عن ابن عباس قال : وضع عمر على سريره ، فتكفّه الناس يدعون ويصلّون قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، فلم يُرْعني إلا رجل أخذ منكبي ، فإذا عليّ ، فترحّم على عمر ، وقال : ما خلفت أحداً أحبّ إليّ - أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وأيم الله ، إن كنت لأظنّ أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت أنّي كنت كثيراً ما أسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر.(2)

وهذه كأمثالها من الروايات الهزيلة التي لم يتورّع الدجالون لوضعها حتى على لسان علي بن أبي طالب نفسه ليقطعوا بذلك على زعمهم حجّة الشيعة الذي يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الأصحاب من ناحية ، وليوهموا المسلمين بأنّ علياً لم يكن يتظلم ولا يتشكّي من أبي بكر وعمر من ناحية أخرى.

بينما نجد أنّ كتب المسلمين مشحونة بتظلم على وفاطمة الزهراء ممّا فعله أبو بكر وعمر طيلة حياتهما.

### فضائل عمر في روايات البخاري

هناك روايات ذكرها البخاري ومسلم رويت عن الرسول وكلّها ابتدأت

ص: 196

1- شرح صحيح مسلم 15: 153.

2- صحيح البخاري 5: 14، صحيح مسلم 4: 1858 ح 2389 .

بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «بينما أنا نائم» وهذه الروايات تحدّثت بالطبع عن فضائل عمر بن الخطاب ، إلى درجة فضّلته على أبي بكر!

كيف لا ، وبنو أمية كانوا معجبين بشخصية ابن الخطاب الجريء على النبي ، والفظ الغليظ الذي لا يتورّع من شيء ولا يهاب شيء ، فكانوا كثيراً ما يمدحونه ويضعون الأحاديث التي تفضّله على أبي بكر .

وإليك بعض الأمثلة :

1- أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الايمان باب تفاضل أهل الايمان في الأعمال ، وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه .

عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ ، وعليهم قمص ، منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما دون ذلك ، وعرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجرّه ، قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : الدين .(1)

وإذا كان تأويل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الرؤيا هو الدين فمعنى ذلك أنّ عمر بن الخطاب أفضل من كلّ الناس لأنّ الدين بالنسبة إليهم لم يبلغ إلى الثدي وما تجاوز الدين قلوبهم ، بينما عمر مليء بالدين من رأسه إلى أخمص قدميه ، وأكثر من ذلك فهو يجرّ الدين وراءه جرّاً كما يجرّ القميص ! فأين أبو بكر الصديق الذي يُرجح إيمانه إيمان الأُمّة بأكملها !؟

2- أخرج البخاري في صحيحه من كتاب العلم باب فضل العلم ، وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر .

ص : 197

---

1- صحيح البخاري 1:12 وج 4 : 15 ، صحيح مسلم 4: 1859 ح 2390.

عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: بينما أنا نائم أتيتُ بقدرٍ لبنٍ، فشربت حتى إنني لأرى الريّ - يخرج في أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم. (1)

ففي هذه الرواية صراحةً بأنه فاقهم أيضاً في العلم فهو أعلم الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

3- أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: بينما أنا نائم رأيتني على قلب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعِهِ ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينتزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطنٍ. (2)

نعم، كلّ هذا فضل عمر بن الخطاب في الحياة الدنيا، فلا بدّ أن يضمّنوا له الجنة في الآخرة أيضاً بمرتبة أكبر وأفضل من صاحبه أبي بكر، وقد فعلوا.

4- أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر.

عن أبي هريرة قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ قال: بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تنوضاً إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فولّيت مدبراً، فبكى عمر وقال: أعليك أعمار يا رسول الله؟ (3)

ص: 198

1- صحيح البخاري 1: 31، صحيح مسلم: 1859 ح 2391.

2- صحيح البخاري 4: 7، صحيح مسلم 4: 1860 ح 2392.

3- صحيح البخاري 4: 112، صحيح مسلم 4: 1863 ح 2395.

وليت الأمر وقف عند هذا ، فنجد البخاري يدلّس في رواياته ، بل ينتقص من كرامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حفاظاً على كرامة عمر بن الخطاب ، وإليك هذه الأمثلة :

1- أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ، وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر .

عن سعد بن أبي وقاص ، قال : استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ، ويستكثرنه ، عالية أصواتهنّ ، فلما استأذن عمر فُمنّ يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ؟ قال : «عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب .

قال عمر : فأنت يا رسول الله كنت أحقّ أن يهبن ، ثمّ قال : أي عديّات أنفسهن ! أتهبني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلن : نعم ! أنت أظف وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قطّ سالكاً فجاً إلّا سلك فجاً غير فجك. (1)

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً ، انظر إلى فظاعة الرواية وكيف أنّ النساء يهبن عمر ولا يهبن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و آله وسلم ويرفعن أصواتهن فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحترمنه فلا يحتجن بحضرته وبمجرد سماع صوت عمر سكتن وابتدرن الحجاب .

عجبت والله من أمر هؤلاء الحمقى الذين لا يفهم كل ذلك حتى ينسبون إليه أنّه فظ غليظ بكل صراحة ، لأنّ عمر أظف وأغلظ من رسول الله ، فهي من

ص : 199

أفعال التفضيل ، فإن كانت هذه فضيلة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعمر أفضل منه ، وإن كانت رذيلة ، فكيف يقبل المسلمون وعلى رأسهم البخاري ومسلم مثل هذه الأحاديث.

ثم لم يكفهم كل ذلك حتى جعلوا الشيطان يلعب ويمرح بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يخافه ، فلا شك أن الشيطان هو الذي استفز النسوة حتى يرفعن أصواتهن ويخلعن حجابهن ، ولكن الشيطان هرب وسلك فجاً آخر بمجرد دخول عمر بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

2- أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحيض باب التيمم قال : جاء رجل إلى عمر فقال : إني أجنب فلم أجد ماء ؟ فقال عمر : لا تُصل ! فقال عمار : أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء فأما أنت لم تصل ، وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك ، فقال عمر : إتق الله يا عمار ! قال : إن شئت لم أحدث به. (1)

وأخرج هذه الرواية كل من أبي داود في سننه ، وأحمد بن حنبل في مسنده ، والنسائي في سننه والبيهقي وابن ماجه أيضاً.

ولكن البخاري لم يعجبه أن يعرف الناس جهل الخليفة بأبسط قواعد الفقه الاسلامي (وقد أخرج بأن عمر أعلم الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) لذا فقد تصرف بالرواية حفاظاً على كرامة عمر فقال : إني أجنب فلم أصب الماء ؟ فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب : أما تذكر إنا كنا في سفرٍ أنا وأنت .. (2) الحديث.

ص: 200

---

1- صحيح مسلم 1: 280 - 281 ح 368 ، سنن ابو داود 1: 88 ح 322 ، مسند أحمد 4: 265 ، سنن النسائي 1: 170 ، سنن البيهقي 1: 209 ، سنن ابن ماجه 1: 188 ح 569.

2- صحيح البخاري 1: 92 كتاب التيمم باب التيمم هل ينفخ فيهما.

وهو كما ترى حذف منه البخاري «فقال عمر: لا تُصلِّ» لأنها ستكشف عن مذهب عمر واجتهاده مقابل نصوص القرآن والسنة حتى في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

3- أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک ، وصححه الذهبي في تلخيصه عن أنس بن مالك قال : إنَّ عمر بن الخطاب قرأ على المنبر قوله :

«فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَنْبًا وَقَصَبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا»، قال: كلُّ هذا عرفناه فما الأبُّ ، ثم قال: هذا لعمر الله هو التكلّف ، فما عليك أن لا تدري ما الأبُّ ، اتبعوا ما بيّن لكم هداة من الكتاب فاعملوا به وما لن تعرفوه فكلوه إلى ربّه. (1)

وهذه الرواية قد نقلها أغلب المفسّرين في كتبهم وتفسيرهم لسورة عبس كالسيوطي في الدر المنثور والزمخشري في الكشاف وابن كثير في تفسيره والخازن في تفسيره .

ولكن البخاري وكعاداته حذف الحديث وأبّره لئلا يعرف الناس جهل الخليفة بمعنى الأبّ فروى الحديث كالآتي:

عن أنس بن مالك قال: كنّا عند عمر فقال : نهينا عن التكلّف! (2)

نعم ، هكذا يفعل البخاري بكل حديث يشم منه انتقاصاً من عمر ، فكيف يفهم القاريء من هذا الحديث المبتور حقيقة الأشياء، فهو يستر جهل عمر بمعنى الأب ويقول فقط قال : نهينا عن التكلّف.

4- أخرج الحاكم في المستدرک ، وأبو داود في سننه ، والبيهقي في سننه

ص: 201

---

1- المستدرک للحاكم 2: 514، الدر المنثور 8: 421 - 422، الكشاف: 4: 705، تفسير ابن كثير 4: 504 - 505 ، تفسير الخازن : 354.

2- صحيح البخاري 9: 118 ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يكره من كثرة السؤال و تكلف ما لا يعنيه.

وابن حجر في فتح الباري وابن الجوزي في تذكرته وغيرهم ، عن ابن عباس أنه قال : أتى عمر بمجنونة قد زنت ، فاستشار فيها أناساً فأمر بها أن تُرجم، فمَرَّ على ابن أبي طالب فقال : ما شأنها ؟ قالوا : مجنونة بنى فلان زنت ، فأمر بها عمر أن تُرجم، قال : ارجعوا بها ثم أتاه فقال : ألم تعلم أنّ القلم رُفِعَ عن المجنون حتى يعقل ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم؟

فخَلَّى عنها عمر وقال : لولا عليٌّ لهلك عمر. (1)

ولكن البخاري أربكته هذه الرواية ، فكيف يعرف الناس جهل عمر بأمور الحدود التي رسمها كتاب الله وبيّنها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ثم كيف يذكر البخاري هذه الرواية وفيها فضيلة لعلي بن أبي طالب ، فلننظر للبخاري كيف يحرف هذه الرواية ويدلّسها.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة باب لا يرحم المجنون والمجنونة «قال البخاري بدون ذكر أي سند»:

وقال علي العمر : أما علمت أنّ القلم رفع عن المجنون حتى يفبق وعن الصبي حتى يدرك وعن النائم حتى يستيقظ.

نعم ، هذا مثال حيّ لتصرف البخاري في الأحاديث فهو يبتز الحديث إذا كان فيه فضيحة لعمر ، ويبتز الحديث أيضاً إذا كان فيه فضيلة أو منقبة للإمام علي فلا يطبق تخريجه .

5- أخرج المحدثون والمؤرخون الذين أَرخوا مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته وكيف طلب منهم أن يكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً وهو ما سُمِّيَ برزية يوم

ص: 202

---

1- المستدرک للحاکم 2 : 59، سنن أبو داود 4 : 140 ح 4399، سنن لبيهقي 8 : 364 ، فتح الباري 12 : 101 ، تذكرة الخواص : 147.

الخميس، وكيف أنّ عمر بن الخطاب عارض وقال بأن رسول الله يهجر - والعياذ بالله -

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنه، أنّه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه يوم الخميس، فقال: «أتتوني بكتاب، أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً» فتنازعوا ولا- ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هَجَرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه» وأوصى عند موته بثلاث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتُ أجيزهم» ونسيت الثالثة. (1)

نعم، هذه هي رزية يوم الخميس التي لعب فيها عمر دور البطولة فعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنعه أن يكتب وبذلك الكلمة الفاحشة التي تعارض كتاب الله ألا وهي أنّ النبي يهجر.

والبخاري ومسلم نقلها هنا بالعبارة الصحيحة التي نطق بها عمر، ولم يُبدّلها ما دام اسم عمر غير وارد ونسبة هذا القول الشنيع للمجهول لا يضرّ.

ولكن عندما يأتي اسم عمر في الرواية التي تذكر بأنّه هو الذي تلقّظ بها يصعب ذلك على البخاري ومسلم أن يتركها على حالها لأنّها تقضح الخليفة وتُظهره على حقيقته العارية وتكشف مدى جرأته على مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقام البخاري ومسلم بإبدال كلمة «يهجر» بكلمة «غلب عليه الوجع»، ليبعدوا بذلك تلك العبارة الفاحشة، وإليك ما أخرج به البخاري ومسلم في نفس موضوع الرزية:

ص: 203

---

1- صحيح البخاري 4: 80 كتاب الجهاد باب هل يستشفع إلى أهل الذمّة ومعاملتهم، صحيح مسلم 3: 1259 ح 1637، كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه.



عن ابن عباس قال : لَمَّا حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر ابن الخطاب ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «هَلَمْ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوْا بَعْدَهُ» ، فقال عمر : إِنَّ النَّبِيَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ ، وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرَّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ النَّبِيُّ كِتَابًا لَنْ تَضَلُّوْا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ قَالَ لَهُمْ : «قَوْمُوا» .

قال عبد الله بن مسعود : فكان ابن عباس يقول : إِنَّ الرِّزِيَّةَ كُلَّ الرِّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ إِخْتِلَافِهِمْ وَلِغَطِّهِمْ. (1)

فمهما حاول البخاري من تهذيب العبارة، ومهما حاول من تغطية الحقائق، فإنَّ ما أخرجه كاف وهو حجة عليه وعلى سيده عمر ، لأنَّ لفظ «يهجر» ومعناه يهذي ، أو «غلب عليه الوجع» تؤدي إلى نفس النتيجة .

وخصوصاً إذا أضفنا إليها كلامه «عندكم القرآن حسبنا كتاب الله» و معنى ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتهى أمره وأصبح وجوده كالعدم.

وَأَنَا أَتَحَدَّى كُلَّ عَالَمٍ لَهُ ضَمِيرٌ أَنْ يَتَمَعَّنَ فَقَطْ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ بَدُونَ رَوَاسِبٍ وَبَدُونَ خَلْفِيَّاتٍ فَسُوفَ تَثُورُ ثَائِرَتُهُ عَلَى الْخَلِيفَةِ الَّذِي حَرَّمَ الْأُمَّةَ مِنَ الْهَدَايَةِ وَكَانَ سَبَبًا مُبَاشِرًا فِي ضَلَالَتِهَا.

6 - أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الكسوف باب تحريض النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صلاة الليل ، حدَّثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني علي بن الحسين أنَّ الحسين بن علي أخبره أنَّ علي بن أبي طالب أخبره

ص: 204

---

1- صحيح البخاري 6:11-12، كتاب المرضى باب قول المريض قوموا عني ، صحيح مسلم 3:1259 ح 1637، كتاب الوصية باب ترد الوصية.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ فَقَالَ: أَلَا تَصَلِّيَانِ؟

فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلَيَّ شيئاً، ثم سمعته وهو مَوَّلٌ يضرب فخذه وهو يقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً. (1)

لَا هَا اللَّهُ يَا بخاري، هذا علي بن أبي طالب الذي يحدثنا عنه المؤرِّخون أَنَّهُ كان يقوم بصلاة الليل في ليلة الهرير (في حرب صفين) فيفرش نطع ويصلي بين الصَّفَّين والنبال والسهام تساقط على يمينه وشماله فلا يرتاع ولا يقطع صلاة الليل.

علي بن أبي طالب الذي أوضح للناس معالم القضاء والقدر وحمل الإنسان مسؤولية أفعاله، تصوّره أنت في هذه الرواية بأنّه جبريّ يقول بالجبر ويجادل بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، يعني ذلك لو شاء الله أن نصلي لصلينا.

علي بن أبي طالب الذي حبّه إيمان وبغضه نفاق، توصفه أنت بأنّه أكثر شيء جدلاً.

إنّه كذب مفضوح لا يوافقك عليه حتى ابن ملجم قاتل الإمام، ولا معاوية الذي كان يأمر الناس بلعنه.

ولكنّه البخاري! الذي كُبرت عليه أن يظهر سيّده عمر بن الخطاب تاركاً للصلاة المفروضة عندما فقد الماء وبقي على مذهبه ذلك حتى في خلافته فقال: أمّا أنا فلا أصلي (2) متحدّياً بذلك القرآن والسنة.

ص: 205

1- صحيح البخاري 2: 62.

2- سنن أبو داود 1: 88.

ففتش عن الدجالين والوضاعين فوضعوا له هذا الحديث الذي يتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه تثاقل فلم يصل صلاة الليل ، وعلى فرض واحتمال صحة روايته ، فلا ضير ولا إثم ولا ذنب على علي لأنها تتعلق بصلاة النافلة التي يُثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها ، ولا يمكن أن يُقاس فعل عمر بتركه للصلاة المفروضة على ترك على الصلاة النافلة إن صحّت الرواية ، ولكن أتى لهذه الرواية أن تكون صحيحة ولو أخرجها صحيح البخاري.

والخلاصة ، فإن البخاري قام في صحيحه بالأعمال التالية :

- 1- دس الأحاديث التي تمسّ كرامة الصحابة خصوصاً منهم أبو بكر وعمر وعثمان و معاوية ، وهذا ما دعا إليه معاوية والحكام بعده .
- 2 - أبرز الأحاديث التي تطعن في عصمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتصوّره بأنّه بشر عادي يخطئ ، وهذا ما أراد الحكام على طول الدهر .
- 3- أخرج أحاديث موضوعة في مدح الخلفاء الثلاثة وفضّ لهم على علي بن أبي طالب ، وهو بالضبط ما أراد معاوية للقضاء على ذكر علي حسب زعمه.
- 4 - أخرج أحاديث مكذوبة تمسّ بكرامة أهل البيت عليهم السلام.
- 5 - أخرج أحاديث أخرى تؤيد مذهب الجبر والتجسيم والقضاء والقدر في الخلافة وهو ما أشاعه الأمويون والعباسيون ليتحكّموا بمصير الأمة.
- 6- أخرج أحاديث مكذوبة تُشبه الأساطير والخرافات لتخدير الأمة وإشاعة الفوضى وذلك ما يردّه الحكام في عصر البخاري.





قال الله سبحانه وتعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» (2)

يقول جلال الدين السيوطي في تفسيره للقرآن الكريم والمسّمى بالدر المنثور في التفسير بالماثور ما نصّه:

عن أبي هريرة قال: أتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده المنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك وقرأوا إن شئتم:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»

وعن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟

قال: «يا عائشة أما تقرين: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»

وعن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليّ فقال

ص: 209

---

1- كلّ الحنّول عند آل الرسول.

2- البينة: 7.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية .

وعن أبي سعيد مرفوعاً: عليّ خير البرية .

وعن ابن عباس قال: لما نزلت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : «أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين».(1)

وعلماء السنة الذين أوردوا هذا التفسير عند تفسيرهم للآية الكريمة كثيرون بالإضافة إلى جلال الدين السيوطي نذكر الطبري في تفسيره والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ، والشوكاني في فتح القدير ، والالوسي في روح المعاني ، والمنائوي في كنوز الحقائق ، وغيرهم . وعلى هذا الأساس المتين لا يمكن للباحثين أن يقنعوا بالأقوال التي تفترض ظهور الشيعة إلا بعد مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

## الشيعة في السنة النبوية

### الشيعة في السنة النبوية(2)

لقد تحدّث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الشيعة عدة مرّات، وأثبت في كلّ مرّة بأنّ أتباع علي هم الفائزون لأنّهم ساندوا الحقّ وناصروه، وتركوا الباطل وخذلوه .

كما أثبت أيضاً بأنّ شيعة علي هم شيعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونكتفي في هذا الموجز بالحديث الذي أخرجه ابن حجر في الصواعق المحرقة وغيره من علماء السنة .

ص: 210

1- الدر المنثور 8: 588 - 589، تذكرة الخواص : 18.

2- كل الحلول عند آل الرسول.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي:

«أما ترضى أنّك معي في الجنة والحسن والحسين عليهما السلام وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن إيماننا وشمائلنا».(1)

وكم مرّة توه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعلي وشيعته فقال: «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»(2)

وبهذا يتبين خطأ المستشرقين وبعض الباحثين المسلمين الذين أخذوا عنهم من أنّ التشيع هو ظاهرة سياسية أولدتها الظروف بعد مقتل الحسين عليه السلام.

كما يتبين زيف المغرضين الذين يُلصقون ظاهرة التشيع بالفرس، فهؤلاء كشفوا عن جهلهم وتعصبهم.

وكيف يفسر الباحثون تشيع الصحابة للإمام علي في حياته وقد كانت الكوفة معقلاً للشيعة خلال حرب الجمل وحرب صفين في بداية الاسلام.

وكيف يُفسّر هؤلاء المغرضون وجود دول شيعية في البلاد العربية في شمال أفريقيا المغرب وتونس وفي المشرق كمصر وحلب قبل أن تعرف إيران التشيع بمئات السنين؟ إذ أنّ دولة الأدارسة في المغرب كانت في القرن الثاني للهجرة، ودولة الفاطميين في تونس كانت في نهاية القرن الثالث للهجرة، وحكم الفاطميون مصر في أواسط القرن الثالث للهجرة، وقامت دولة الحمدانيين الشيعية في حلب سوريا وفي العراق في القرن الرابع للهجرة أيضاً.

بينما تأخرت دولة الصفويين و تشيع إيران إلى القرن العاشر الهجري على

ص: 211

1- الصواعق المحرقة لابن حجر : 161.

2- المناقب للخوارزمي الحنفي : 62.



وإن الذين يُحاولون بطريقة أو بأخرى إصاق التشيع بالفرس لن يتمكنوا أبداً من ذلك ودون ذلك خطر القتاد.(1)

اضف إلى ذلك أنّ جلّ علماء أهل السنة وأئمّتهم من الفرس لم يكونوا من الشيعة ، بل كانوا من المتعصّبين ضد الشيعة والتشيع ، ويعترف بعض المؤرخين بأنّ الفرس كانوا يسبون عليّاً على منابرهم حتى بعد نهي عمر بن عبد العزيز عن ذلك.(2)

### الشيعة في نظر «أهل السنة»

الشيعة في نظر «أهل السنة» (3)

إذا استثنينا بعض العلماء المعاصرين الذين أنصفوا في كتاباتهم عن الشيعة بما تفرضه عليهم الأخلاق الإسلامية ، فإنّ الأغلبية الساحقة منهم قديماً وحديثاً لا زالوا يكتبون عن الشيعة بعقلية الأمويين الحاقدين ، فتراهم في كلّ واد يهيمون ويقولون ما لا يفقهون ، ويسبّون ويشتمون ، ويتقولون افتراءً وبهتاناً على شيعة آل البيت ما هم منه براء ، ويكفّرونهم وينبذونهم بالألقاب اقتداءً بسلفهم الصالح معاوية وأضرابه ، الذين استولوا على الخلافة الإسلامية بالقوة والقهر والمكر والدهاء والخيانة والنفاق.

فمرة يكتبون بأنّ الشيعة هي فرقة من تأسيس عبدالله بن سبأ اليهودي ، ومرة يكتبون بأنّهم من أصل المجوس ، وأنّهم روافض قبيحهم الله ، وأنّهم أخطر

ص: 212

1- كل الحلول : 97 - 102.

2- حاضر العالم الاسلامي 1: 191 ، نقلاً عن الخوارزمي .

3- الشيعة هم أهل السنة .

على الاسلام من اليهود والنصارى ، ومرة يكتبون بأنهم منافقون لأنهم يعملون بالتقية ، وأنهم اباحيون يبيحون نكاح المحارم ويحللون المتعة وهي زنا ، والبعض يكتب بأن لهم قرآناً غير قرآنا، وأنهم يعبدون علياً والائمة من بنيه ويغضون محمداً وجبريل وأنهم ..

ولا يمرّ عامٌ إلا ويطلع علينا كتاب أو مجموعة كتب من أولئك العلماء الذين ينتزعمون «أهل السنة والجماعة» بزعمهم وكله تكفير واستهانة بالشيعة .

وليس لهم في ذلك مبرر ولا دافع إلا إرضاء أسيادهم الذين لهم مصلحة في تمزيق الأمة وتفريقها والعمل على إبادتها ، كما ليس لهم فيما يكتبون من حجة ولا دليل سوى التعصب الأعمى والحقد الدفين والجهل المقيت ، و تقليد السلف بدون تمحيص ولا بحث ولا بيّنة ، فهم كالبيغاء يعيدون ما يسمعون ويستسخون.

ما كتبه النواصب من أذئاب الأمويين والذين لا يزالون يعيشون على مدح و تمجيد يزيد بن معاوية.

ولو كان هؤلاء يتبعون السنة النبوية كما يزعمون لتعلموا من أخلاقه العالية صلى الله عليه وآله وسلم احترام الغير ولو خالفهم في العقيدة.

ألم تقل السنة النبوية : «المسلم للمسلم البنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً» و «المسلم للمسلم كالجسد الواحد إذا اشتكى كنه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .

ألم يصرّح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ، فلو كان هؤلاء الكتاب المدعون أنهم من «أهل السنة والجماعة» يعرفون السنة النبوية ، لما سمحت لهم نفوسهم بتكفير من يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ، و يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان، ويحجّ البيت الحرام ، ويأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر

وبما أنّهم أتباع السنّة الأموية والقريشية فهم يتكلّمون ويكتبون بالعقلية الجاهلية والأفكار القبلية والنعرات العنصرية :

فالشيء من مآته لا يستغرب\*\*\* وكلّ إناء بالذي فيه ينضح

## تشيع السنّة على الشيعة.

تشيع السنّة على الشيعة.

من العقائد التي يشنّع بها أهل السنّة على الشيعة ما هو من محض التعصّب المقيت الذي أولده الأمويون والعباسيون في صدر الإسلام ، بما كانوا يحقدون على الإمام عليّ ويبغضونه حتى لعنوه على المنابر أربعين عاماً ، فلا غرابة أن يشتموا كلّ من تشييع له ويرموه بكلّ عار وشنار ، حتى وصل الأمر بهم إلى أن يقال لأحدهم : يهودي أحبّ إليه من أن يقال له شيعي ، ودأب أتباعهم على ذلك في كلّ عصر ومصر ، وأصبح الشيعي مسبّة عند أهل السنّة والجماعة ، لأنّه يخالفهم في معتقداتهم وخارج عن جماعتهم ، فهم يقذفونه بما شاؤوا ويرمونه بكلّ التهم وينيزونه بشتّى الألقاب ، ويخالفونه في كلّ أقواله وأفعاله .

الآ ترى بأنّ بعض علماء أهل السنة المشهورين يقولون : بأنّ لبس الخاتم في اليد اليمنى هو سنّة نبويّة ، ولكن يجب تركها لأنّ الشيعة اتخذوا ذلك شعاراً لهم.(1)

وهذا حجة الاسلام أبو حامد الغزالي يقول : أنّ تسطيح القبور هو

ص: 214

1- ربيع الأبرار للزمخشري 4: 24 ، حيث قال بأنّ أول من تختمّ باليسار خلاف السنة النبوية هو معاوية ابن أبي سفيان.

المشروع في الدين ، لكن لَمَّا جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه إلى التسليم .

وهذا ابن تيمية - الموصوف بالمصلح المجدد - يقول : ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم - أي الشيعة - فإنه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك ، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم ، فلا يتميز السنّي من الرافضي ، ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب! (1) إلى غير ذلك.

أنظر - أخي القاريء - إلى هذا التعصّب الأعمى لهؤلاء العلماء الذين يجيزون مخالفة سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ الشيعة تمسّكت بتلك السنن حتى صارت شعاراً لهم؟! بل نراهم لا يتحرّجون من الاعتراف بذلك صراحةً.

ثمّ أليس هذا اعتراف منهم بأنهم تركوا سنّة النبي والتزموا بسنّة معاوية - مثلاً - الذي قال عنه الزمخشري بأنّه أو من تختمّ باليسار خلاف السنّة النبوية .

بل نراهم - أي أهل السنّة والجماعة - تركوا سنّة النبي في موارد لا علاقة لها بالشيعة ، وذلك عندما اتّبعوا سنّة عمر في بدعته للتراويح خلافاً للسنّة النبوية التي أمرت المسلمين بصلاة النافلة في بيوتهم فرادى لا جماعة ، كما أثبت ذلك البخاري في صحيحه (2) ، وكما اعترف عمر نفسه بأنّها بدعة ابتدعتها ، مع أنّه لم يصلّها لأنّه لا يؤمن بها .

فقد جاء في البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاريء أنّه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضی الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرّقون يصلّي الرجل لنفسه ويصلّي الرجل فيصلّي بصلاته الرهط ، فقال عمر :

ص: 215

1- منهاج السنة لابن تيمية 2: 143 (التشبيه بالروافض) .

2- صحيح البخاري 5: 2266 ح 5762، كتاب الأدب .

إنِّي أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب .

ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلّون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه...[\(1\)](#)

ومن المستغرب عدّها نعمة بعد نهي الرسول عنها وذلك عندما رفعوا أصواتهم وحصبوا بأنّه ليصلّي بهم نافلة رمضان ، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم صلى الله عليه وآله وسلم: «ما زال بكم صنعكم حتى ظننت أنّه سيكتب عليكم ، فعليكم بالصلاة في بيوتكم ، فإنّ خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة».[\(2\)](#)

كما اتّبع أهل السنة و الجماعة سنّة عثمان بن عفّان وهي إتمام صلاة السفر، خلافاً لسنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي صلّاها قصرًا<sup>(3)</sup>، وكذلك تأوّلت عائشة فصلّت أربعاً<sup>(4)</sup>. والمخالفات في ذلك كثيرة جداً.

أفبعد هذا يبقى دليل على قول الجهلة الذين يدعون بأنّ الشيعة اتّبعوا على ابن أبي طالب ، أمّا أهل السنّة فإنّهم اتّبعوا رسول الله؟ أيريد هؤلاء أن يثبتوا بأنّ علياً خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابتدع ديناً جديداً؟

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، فعلي هو محض السنّة النبوية ، وهو مفسّرها والقائم عليها ، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «علي منّي بمنزلة مني من

ص: 216

- 1- صحيح البخاري 2:707 ح 1906 ، كتاب صلاة التراويح .
- 2- صحيح البخاري 2:2265 ح 5762 ، كتاب الأدب .
- 3- صحيح البخاري 1:368 ح 1034 ، كتاب تقصير الصلاة .
- 4- صحيح البخاري 1:369 ح 1040 ، كتاب تقصير الصلاة .

ربي»، (1) أي كما أنّ محمداً هو الوحيد الذي يبلغ عن ربه، فعلي هو الوحيد الذي يبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن ذنب عليّ هو أنّه لم يعترف بخلافة من قبله، وذنّب شيعته أنّهم اتّبعوه في ذلك فرفضوا أن ينضوا تحت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ولذلك سمّوهم «الروافض».. .

ويستطيع الباحث المتتبّع أن يستنتج سببين لهذا الموقف السنّي من عقائد الشيعة:

أولهما: العدا الذي أجمّج ناره حكّام بني أمية بالأكاذيب والدعايات واختلاق الروايات المزورة.

ثانيهما: لأنّ معتقدات الشيعة تتنافى وما ذهبوا إليه من تأييد الخلفاء وتصليح أخطائهم واجتهاداتهم مقابل النصوص، خصوصاً حكّام بني أمية وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان.

ومن هنا نجد أنّ الخلاف بين الشيعة وأهل السنّة نشأ يوم السقيفة، و تفاقم، وكلّ خلاف جاء بعده فهو عيالٌ عليه، وأكبر دليل على ذلك أنّ العقائد التي يُشنع أهل السنّة بها على إخوانهم من الشيعة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع الخلافة وتفرّج منه، كعدد الأئمّة، والنصّ على الإمام، والعصمة، وعلم الأئمّة، والبداء، والتقية، والمهدي المنتظر، وغير ذلك.

ونحن إذا بحثنا في أقوال الطرفين مجرّدين عن العاطفة فسوف لا نجد بُعداً شاسعاً بين معتقداتهم، ولا نجد مبرراً لهذا التهويل وهذا التشنيع، لأنّك عندما تقرأ كتب السنّة التي يشتمون الشيعة فيها، يخيل إليك بأنّ الشيعة ناقضوا الاسلام

ص: 217

وخالفوه في مبادئه و تشريعه ، وابتدعوا ديناً آخر، بينما يجد الباحث المنصف في كل عقائد الشيعة أصلاً ثابتاً في القرآن والسنة وحتى في كتب من يخالفهم في تلك العقائد ويُشنع بها عليهم ، ثم ليس هناك في تلك العقائد ما يخالف العقل أو النقل أو الأخلاق ، وليتبين لك أيها القارئ اللبيب صحة ما أدعيه وأسأعرض معك تلك العقائد.

## عيد الغدير

### عيد الغدير(1)

يحتفل المسلمون قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها بعيدين سُمي الأول عيد الفطر ، والثاني عيد الأضحى ، ولكنهم اختلفوا في العيد الثالث وهو العيد الأكبر والذي يُسمى الغدير ، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأتم فيه نعمته على المسلمين ، والمتبع للتاريخ يكتشف بلا ريب أنّ اختلافهم نشأ من الموقف السياسي الذي وقفه أصحاب السقيفة ، عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأباحوا لأنفسهم شرعية الاجتهاد معارضين بذلك النصوص الصريحة التي جاءت في كتاب الله وسنة نبيه ، ونشأ من ذلك أبعاد أمير المؤمنين المنصوص عليه بالخلافة وإبداله بمن اختارته قريش نزولاً عند رغبتها وتلبية لطموحاتها فكانت أقل نكسة أصابت المسلمين بعد نبئهم مباشرة أذنت ببداية صراع الباطل ضد الحق والجاهلية ضد الاسلام.

ولا- شكّ بأنّ قوله سبحانه و تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ

ص: 218

1- كلّ الحلول عند آل الرسول .

شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (1) له علاقة مباشرة بعيد الغدير ، فقد احتفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعيد الغدير عندما أمره الله سبحانه أن يولي علياً خليفة من بعده ويدلّ الأمة عليه فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما تمت البيعة من الحاضرين ونزل عليه الأمين جبرئيل بقوله : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (2) فقال : «الله أكبر ، الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب بولاية أخي وابن عمي»، وعقد له موكب تهنئة في نفس اليوم فلم يبق أحد ممن حضر ذلك اليوم من النساء والرجال إلا جاء مهنتاً ومباركاً لعلي بتلك الولاية.

ولكن لم يطل العهد فبعد شهرين فقط من ذلك الاحتفال العظيم بالعيد الأكبر تنقلب الأمة و تنتكر للعيد ولبطل العيد وتختار لنفسها غير ما ارتضاه الله سبحانه معللة تارة بصغر سنّه وطوراً بأنّ بني هاشم تشرفتم بمقام النبوة فلا ينبغي لها أن تحظى بمقام الخلافة أيضاً وثالثة أن قريشاً لا تجتمع على من قتل أبطالها وصرع شجعانها وحطم كبرياتها .

وليس لابن أبي طالب في كلّ ذلك ذنب إلا أنّه اشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، وضحّى بكلّ شيء في نصرة الدين الذي جاء به أخوه وابن عمّه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يثنى عزمه من حطام الدنيا شيء .

فعيد الغدير اذن كان هو الفتنة والاختبار لهذه الأمة التي تمزقت و تفرقت واختلفت كاختلاف اليهود والنصارى كما نصّ على ذلك سيد المرسلين وان صلى الله عليه وآله وسلم (3)

ص: 219

- 
- 1- آل عمران : 144.
  - 2- المائدة : 3، انظر : ترجمة الإمام على من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 42: 237 ، مناقب على بن ابي طالب لابن المغازلي الشافعي : 19.
  - 3- صحيح البخاري 4: 205، وج 9: 126.



وكان من نتيجة هذا التمزق والتفرق أنّ الإمامة المقدّسة والتي هي أصل من أصول الدين أضحت منبوذة مقهورة لا يقدر أهلها إلا على الصبر والتسليم ، وعوّضت بإمارة مزيفة كانت فلتة وقي الله شرّها الاسلام والمسلمين حتى طمع فيها بعد ذلك الطلقاء والفاستقين ولم يركب سفينة النجاة التي صنعها محمد إلا بعض المخلصين وجرف تيار الدنيا وحبّ الرئاسة بقية المسلمين ، فتركوا أنمة الهدى ومصايح الدجى ، وآتبّعوا مذاهب ابتدعوها ما لها في كتاب الله ولا في سنّة رسوله حجة يوم يقوم الناس لربّ العالمين .

هذه هي قصة عيد الغدير وبطل الغدير ، والمؤامرة التي ولدت بعد الغدير بكل اختصار فلا فائدة في التفصيل .

## مودعة أهل البيت

### مودعة أهل البيت(1)

اهل البيت هم الأئمة الاثنا عشر من العترة الطاهرة ، وذلك وفق ما اتفق عليه الشيعة والسنة بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش»(2)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم»(3)

وهذا الحديث يفيد بأنّ بني هاشم يأتون في المرتبة الثانية بعد محمد بلا فصل ، وقد اصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كلّ بني هاشم علياً وذريته وجعلهم

ص: 220

1- كلّ الحلول عند آل الرسول . فاسألوا أهل الذكر .

2- تقدّمت تخريجاته.

3- صحيح مسلم 4: 1782 ح 2276.

خلفاءه وأوصيائه بوحي ربّه وأوجب الصلاة عليهم كما يُصَلَّى عليه ، وأنهم المقصودون بآية التطهير ، وآية المودة وآية الولاية وآية الاصطفاء ووراثه الكتاب وآية أهل الذكر، أمّا الأحاديث فكثيرة ، نورد منها :

1- أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الفضائل في باب فضائل علي بن أبي طالب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «أمّا بعد ، ألا أيّها الناس ، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». (1)

2- أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي». (2)

وقال الإمام علي في أهل البيت : «هم موضع سرّه وملجأ أمره ، وعيبة علمه ، وموئل حُكمه ، وكهوف كتبه ، وجبال دينه ، بهم أقام انحناء ظهره ، وأذهب ارتعاد فرائصه». (3)

### آية التطهير

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»

يقول أهل السنّة والجماعة بأنّ هذه الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ص: 221

1- صحيح مسلم : 1873 ح 2408.

2- صحيح مسلم 4: 1873 ح 2404.

3- نهج البلاغة الخطبة 2.

ويستدلّون على ذلك بسياق ما قبلها وما بعدها من الآيات ، وعلى حسب زعمهم فإنّ الله أذهب الرجس عن نساء النبي وطهرهن تطهيراً.

ومنهم من يضيف إلى نساء النبي علي وفاطمة والحسن والحسين ، ولكن الواقع النقلي والعقلي والتاريخي يأبى هذا التفسير ، لأنّ أهل السنّة يروون في صحاحهم بأنّ الآية نزلت في خمسة وهم محمد وعلي وفاطمة والحسين معه تحت الكساء ، وقال: «اللهم هؤلاء أهلي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» .

وقد أخرج ذلك من علماء أهل السنّة جمع غفير أذكر منهم:

1- مسلم في صحيحه في باب فضائل أهل بيت النبي 2: 368.

2- الترمذي في سننه 5: 30.

3- مسند الإمام أحمد بن حنبل 1: 330.

4- مستدرک الحاكم 3: 123.

5- خصائص الإمام النسائي : 49.

6- تلخيص الذهبي 2: 150.

7- معجم الطبراني 1: 65.

8- البخاري في التاريخ الكبير 1: 69.

9- الاصابة لابن حجر العسقلاني 2: 502.

10 - تذكرة الخواص لابن الجوزي : 233.

11 - تفسير الفخر الرازي 2: 700.

12 - السيرة الحلبيّة 3: 212.

13 - السيرة الدحلانية 3: 329.

ص: 222

14 - تفسير الطبري 6:22.

15 - الدر المنثور للسيوطي 5: 198.

16 - تاريخ ابن عساكر 1: 185.

17 - تفسير الكشاف للزمخشري 1: 193.

18 - أحكام القرآن لابن عربي 2: 166.

19 - تفسير القرطبي 14: 182.

20 - الصواعق المحرقة لابن حجر : 85.

21 - الاستيعاب لابن عبد البر 3: 37.

22 - مصابيح السنّة للبغوي 2: 278.

23 - منتخب كنز العمّال 5: 96.

26 - أسباب النزول للواحدي : 203.

وغير هؤلاء من علماء السنّة والجماعة كثيرون .

وإذا كان كلّ هؤلاء يعترفون بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بيّن المقصود من هذه الآية فما قيمة أقوال غيره من الصحابة أو التابعين أو المفسّرين الذين يريدون حمل معناها على غير ما يريد الله ورسوله ابتغاء مرضاة معاوية وطمعاً في ما عنده .

والغريب أنّه حتى نساء النبي عرفن أنّ المقصود من هذه الآية وغيرها - كاية المباهلة - هم الرسول وفاطمة وعلي والحسن والحسين ، ولذلك لم تدّعي واحدة منهن أنّها من أهل البيت وعلى رأسهن أم سلمة وعائشة ، وقد روت كلّ واحدة منهنّ أنّ الآية خاصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين وقد أخرج اعترافهنّ كلّ من مسلم والترمذي والحاكم والطبري والسيوطي والذهبي

ص: 223

وابن الأثير وغيرهم ..

أضف إلى كل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رفع هذا اللبس وهذا الاشكال لأنه علم بأن المسلمين قد يقرؤون القرآن ويحملون أهل البيت على سياق الآيات السابقة واللاحقة والتي تحدّر نساء النبي ، فبادر إلى تعليم الأمة بمقصود آية إذهاب الرجس والتطهير عندما داوم طيلة ستّة أشهر (بعد نزول الآية) على المرور بباب علي وفاطمة والحسين قبل الشروع في إقامة الصلاة فيقول : «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (1)

وقد أخرج هذه المبادرة التي فعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الترمذي في صحيحه (31) :

5) والحاكم في المستدرک (3: 158) وأحمد بن حنبل في مسنده (3: 259) وابن الأثير في أسد الغابة (5: 521) والهيثمى في مجمع الزوائد (9: 168) وغيرهم.

وإذا اضفنا إلى كلّ هؤلاء أئمة أهل البيت وعلماء الشيعة الذين لا يشكّون في اختصاص محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين بهذه الآية الكريمة فلا تبقى بعد ذلك أية قيمة لمن خالفهم من أعداء أهل البيت والمتشيعين لمعاوية وبنى أمية الذين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون .

وقد كشف أولئك الذين يفترون الآية على غير تفسير النبي لها ، بأنهم من المترلّفين إلى الحكّام من الأمويين والعباسيين قديماً وحديثاً بأنهم من النواصب الذين يبغضون عليّاً وإن تستروا بزى العلماء والفقهاء .

على أنّ العقل وحده يحكم بعدم شمول هذه الآية ، أعني (إذهاب الرجس

ص: 224

1- الأحزاب : 33.

والتطهير) لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

1- فإذا ما أخذنا - على سبيل المثال - أم المؤمنين عائشة التي تدعى أنها أحب أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه وأقربهم لديه حتى أن باقي أزواج النبي غرن منها وبعثن للنبي ينشدنَّ العدل في ابنة أبي قحافة - كما سيأتي - لم تتجرأ ولم يتجرأ أحد من أنصارها ومحبيها ، لا من السابقين أو من اللاحقين أن يقول بأنَّ عائشة كانت تحت الكساء يوم نزول الآية ، فما أعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأفعاله وما أعظم حكمته عندما حصر أهل بيته معه تحت الكساء حتى ان أم المؤمنين أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرادت الدخول معهم تحت الكساء وطلبت ذلك من زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنَّه منعها من ذلك وقال لها : «أنتِ إلى خير» .

2- ثم ان الآية بمفهومها الخاص والعام دالٌّ على العصمة ، فإنَّ إذهاب الرجس يشمل كلَّ الذنوب والمعاصي والردائل صغيرها وكبيرها وخصوصاً إذا أضيف إليها تطهير من ربِّ العزَّة والجلالة ، وإذا كان المسلمون يتطهرون بالماء والتراب طهارة جسدية لا تتعدى ظاهر الجسم ، فأهل البيت طهَّروهم الله طهارة روحية غسلت العقل والقلب والفؤاد فلم تترك لوساوس الشيطان ولا لارتكاب المعاصي مكاناً ، فأصبحت قلوبهم صافية نقية خالصة مخلصمة لخالقها وبارئها في كل حركاتها وسكناتها.

3- ولكلِّ ذلك كان هؤلاء المطهَّرون مثلاً للإنسانية جمعاء في الزهد والتقوى والإخلاص والعلم والحلم والشجاعة والمروءة والعفة والنزاهة والعزوف عن الدنيا والقرب منه جلّ وعلا ولم يسجّل التاريخ لواحد منهم معصية أو ذنباً طيلة حياته .

وإذا كان الأمر كذلك ، فلنعد إلى المثال الأول لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي

عائشة التي بلغت من المرتبة السامية والمكانة العالية والشهرة الكبيرة ما لم تبلغه أية زوجة أخرى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل حتى لو جمعنا فضائلهنّ بأجمعهنّ ما بلغن عشر معشار فضائل عائشة بنت أبي بكر، هذا ما يقوله أهل السنّة فيها والذين يعتبرون أنّ نصف الدين يؤخذ عنها وحدها.

وإذا ما تجرّدنا للحقيقة بدون تعصّب ولا انحياز، فهل من المعقول أن يحكم العقل بأنّها مطهّرة من الذنوب والمعاصي؟ أنّ الله سبحانه رفع عنها حصانته المنيعه بعد موت زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلننظر معاً إلى الواقع .

## الأئمة الاثني عشر

### الأئمة الاثني عشر (1)

يقول الشيعة بأنّ عدد الأئمة المعصومين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو اثنا عشر إماماً لا يزيدون ولا ينقصون، وقد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسمائهم وعددهم (2) وهم:

1 - الإمام عليّ بن أبي طالب (أمير المؤمنين عليه السلام).

2 - الإمام الحسن بن علي (المجتبى عليه السلام).

3 - الإمام الحسين بن علي (السبط الشهيد عليه السلام).

4 - الإمام عليّ بن الحسين (زين العابدين عليه السلام).

5 - الإمام محمد بن علي (الباقر عليه السلام).

6 - الإمام جعفر بن محمد (الصادق عليه السلام).

7 - الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام).

8 - الإمام علي بن موسى (الرضا عليه السلام).

ص: 226

1- لاكون مع الصادقين.

2- ينابيع المودة لقندوزي الحنفي 3: 101 الباب 76.

9 - الإمام محمد بن علي (الجواد عليه السلام) .

10 - الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام) .

11 - الإمام الحسن بن علي (العسكري عليه السلام) .

12 - الإمام محمد بن الحسن (المهدي المنتظر عليه السلام) .

فهؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر الذين تقول الشيعة بعصمتهم حتى لا ينطلي المكر على بعض المسلمين .

والشيعة لا يعترفون قديماً وحديثاً بالعصمة إلا لهؤلاء الأئمة الذين سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يولدوا بعد، وقد أخرج بعض علماء السنة أسماءهم كما مرّ علينا ، وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث الأئمة بعددهم وهم اثنا عشر كلّهم من قريش. (1)

وهذه الأحاديث لا تصحّ ولا تستقيم إلا إذا فسّرناها على أن الأئمة أهل البيت الذين تقول بهم الشيعة الإمامية ، وأهل السنة والجماعة هم المُطالبون بحلّ هذا اللغز ، إذ أنّ عدد الأئمة الاثني عشر - الذي أخرجوه في صحاحهم - بقي حتى الآن لغزاً لا يجدون له جواباً .

## علم الأئمة

### علم الأئمة (2)

ومما يشنّع به أهل السنة والجماعة على الشيعة قولهم : بأنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قد خصّهم الله سبحانه بعلم لم يشاركهم فيه أحد من الناس ، وأنّ الإمام يكون أعلم أهل زمانه ، فلا يمكن أن يسأله أحد فيعجز عن الجواب. فهل لهذا

ص: 227

1- صحيح البخاري 6: 2640 ح 6796 كتاب الأحكام ، صحيح مسلم 2: 121 كتاب الامارة .

2- لأكون مع الصادقين.



يقول الله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» (1)

وقال تعالى: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» (2)

وقال تعالى: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (3) وهذه الآية أيضاً نزلت في أهل البيت عليهم السلام. (4)

فهذه الآيات تدلّ على أنّ الله سبحانه اصطفي عباده من الناس وأورثهم علم الكتاب ، وأنّه جلّ شأنه يؤتي الحكمة من يشاء ، وعندما نلاحظ قول الرسول الأكرم بحقّ عترته الطاهرة: «لا تتقدّموهم فتهلكوا ، ولا تقصّروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم» (5) نستطيع أن نستنتج أنّ المراد بالعباد المصطفين هم أئمة أهل البيت عليهم السلام

### العصمة

#### العصمة (6)

يقول الشيعة: ونعتقد أنّ الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمداً وسهواً. كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، لأنّ الأئمة

ص: 228

1- فاطر : 32.

2- البقرة : 269.

3- النحل : 43.

4- تفسير الطبري 8: 109 ، تفسير ابن كثير 2: 570 ، تفسير القرطبي 11: 180 .

5- مجمع الزوائد 9: 164 ، الدر المنثور للسيوطي 2: 60 .

6- لأكون مع الصادقين.

حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي ، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق. (1)

فهل هذا الاعتقاد ينافي القرآن والسنة؟ أو ما يقول العقل باستحالته؟ أو ما يشين الاسلام ويُسيء إليه؟

قال تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (2) فإذا كان إذهاب الرجس - الذي يشمل كلّ الخبائث - والتطهير من كلّ الذنوب لا يفيد العصمة ، فما هو إذا؟

ويقول تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» (3)

فإذا كان المؤمن التقي يعصمه الله من مكائد الشيطان إذا حاول استفزازه وإضلاله، فيتذكر ويصبر الحقّ فيّبعه، فما بالك بمن اصطفاهم الله سبحانه وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً!

ويقول الله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» (4)

والذي يصطفيه الله سبحانه يكون بلا شكّ معصوماً من الخطأ ، وهذه الآية بالذات هي التي احتجّ بها الإمام الرضا من أئمة أهل البيت عليهم السلام على العلماء الذين جمعهم الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد ، واثبت لهم بأنهم - أي أئمة أهل البيت - هم المقصودون بهذه الآية ، وبأنّ الله اصطفاهم وأورثهم علم

ص: 229

1- عقائد الإمامية : 95.

2- الأحزاب : 33.

3- الأعراف : 201.

4- فاطر : 32.

الكتاب ، واعترفوا له بذلك .

وأما في السنة النبوية فقد ورد فيها الكثير من الأحاديث ، إليك بعضاً منها :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي».(1)

وهو صريح بأن الأئمة من أهل البيت معصومون :

أولاً: لأنّ كتاب الله معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو كلام الله ، ومن شكّ فيه كفر .

ثانياً : لأنّ المتمسك بهما - الكتاب والعتره - يأمن من الضلالة ، فدلّ هذا الحديث على أنّ الكتاب والعتره لا يجوز فيهما الخطأ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق».(2)

وهو كما ترى صريح أيضاً في أنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام معصومون عن الخطأ ، ولذلك يأمن وينجو من ركب سفينتهم ، وكلّ من تأخّر عن ركوب سفينتهم غرق في الضلالة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من أحبّ أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويدخل الجنة التي وعدني ربّي وهي جنّة الخلد ، فليتولّ عليّاً وذريته من بعده ، فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدى ، ولم يدخلوكم باب ضلالة»(3)

ص: 230

---

1- صحيح الترمذي 5:621 ح 3786 كتاب المناقب ، مسند أحمد 5: 182 و 189 ، المستدرک للحاكم 3:161 ح 4711 كتاب معرفة الصحابة .

2- المستدرک للحاكم 2: 373 ح 3312 ، كنز العمال 12:98 ح 34169 ، الصواعق المحرقة : 236.

3- المستدرک للحاكم 3: 139 ح 4642 ، كنز العمال 6: 255 ، حلية الأولياء لأبي نعيم :349. المعجم الكبير للطبراني 5: 194 ح 5067 ، تاريخ ابن عساکر 2: 99.

و هو كما ترى صريح أيضاً في أنّ الأئمة من أهل البيت - وهم علي وذريته - معصومون عن الخطأ، لأنّهم لن يدخلوا الناس الذي يتبعونهم في باب ضلالة، ومن البديهي أنّ الذي يجوز عليه الخطأ لا يمكن له هداية الناس.

بعد هذا البيان من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهل يمكن لعاقل أن يرفض عصمة من يصطفيه الله سبحانه للهداية؟ والجواب: كلاً، لا يرفض ذلك، بل بالعكس، العقل يقول بوجوب تلك العصمة، لأنّ من توجّل إليه مهمة القيادة وهداية البشرية لا يمكن أن يكون إنساناً عادياً يعتريه الخطأ والنسيان وتثقل ظهره الذنوب والأوزار، فيكون عرضةً لانتقاص الناس ونقدهم.

بل العقل يفرض أن يكون أعلم الناس في زمانه وأعدلهم وأشجعهم وأتقاهم، وهي صفات ترفع من شأن القائد وتُعظّمه في أعين الناس، وتجلب له احترام الجميع وتقديرهم، وبالتالي طاعتهم له بدون تحفّظ ولا تملّق.

و إذا كان الأمر كذلك، فلماذا كلّ هذا التشنيع والتهويل على من يعتقد بذلك؟

## الغلو

### الغلو (1)

الغلو هو الخروج عن الحقّ واتباع الهوى حتى يصبح المحبوب هو الإله المعبود، وهذا كفر وشرك لا يقرب به أي مسلم يعتقد برسالة الاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وضع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حدوداً لهذا الحبّ عندما قال للإمام علي عليه السلام: «هلك فيك اثنان: محبّ غالٍ ومبغض قالٍ»، وقوله: «يا علي، إنّ

ص: 231

1- لاكون مع الصادقين .

فيك مثلاً من عيسى بن مريم ، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمّه، وأحبّه النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها». (1)

وهو المعنى المرفوض للغلوّ أن يطغى الحبّ حتى يُؤلّه المحبوب وينزله منزلة ليس فيها ، أو أن يطغى البغض حتى يصل درجة البهت والاتهام الباطل .

ومن الأمور التي يشتع بها أهل السنّة على الشيعة حبّهم للإمام عليّ والأئمّة من ولده ، وهم يقولون بأنّ الشيعة يغالون في هذا الحب ! ولكن الشيعة لم يغالوا في حبّهم للأئمّة ، بل أنزلوهم المنزلة المعقولة التي بؤأهم فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي أنّهم أوصياء النبي وخلفاؤه ، ولم يقل أحدٌ بنبوّتهم فضلاً عن ألوهيتهم ، أمّا الاتّهامات الموجهة للشيعة بأنّهم ألّوها عليّاً وجعلوه ربّ ، فهؤلاء - ان صحّ الخبر - لم يكونوا فرقة ولا مذهباً ولا شيعة ولا خوارج.

وما هو ذنب الشيعة إذا كان ربّ العزّة والجلالة يقول : «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (2)، والمودّة - كما هو معلوم - أكبر من الحبّ.

وما ذنب الشيعة إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «يا عليّ أنت سيد في الدنيا وسيّد في الآخرة ، من أحبّك فقد أحبّني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، وحبّيك حبيب الله ، وبغضك بغض الله ، والويل لمن أبغضك». (3)

وقال كذلك : «من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات تائباً،

ص: 232

1- المستدرک للحاکم 3: 133 ح 4622، خصائص النسائي 5: 137 ح 8488، الصواعق المحرقة: 123، ذخائر العقبى : 92.

2- الشورى : 23.

3- المستدرک للحاکم 3: 138 ح 4640 (قال : حديث صحيح على شرط الشيخين).

ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد بَشَره ملك الموت بالجنة...»(1)

وما هو ذنب الشيعة إذا كانوا يحبّون رجلاً قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الأعطينّ الراية غداً إلى رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كزاراً ليس فراراً امتحن الله قلبه للإيمان»(2)

وإذا كان حبّ عليّ وأهل البيت بصفة عامّة هو حبّ الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعليّنا أن نعرف مدى هذا الحبّ المطلوب لدى المسلمين ، حتى نعرف إن كان هناك غلوّ كما يزعمون .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(3) و على هذا الأساس فلا بدّ أن يحبّ المسلم عليّاً وأولاده الأئمّة الطاهرين أكثر من الناس أجمعين بما في ذلك الأهل والأولاد، ولا يتمّ الإيمان إلّا بذلك ، لأنّ رسول الله قال : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه...».

فالشيعة أذن لا يُغالون ، وإنّما يعطون كلّ ذي حقّ حقه ، وقد أمرهم رسول الله أن ينزلوا عليّاً بمنزلة الرأس من الجسد و بمنزلة العينين من الرأس ، فهل هناك من الناس من يتنازل عن عينيه أو عن رأسه !؟

وبالمقابل ، أليس أهل السنّة والجماعة يغالون في حبّهم للصحابة وذلك

ص: 233

1- تفسير الكشاف للزمخشري 3: 467، تفسير الفخر الرازي 27: 166.

2- صحيح البخاري 3: 1357 ح 3499 كتاب فضائل الصحابة ، صحيح مسلم 2: 360 باب فضائل عليّ بن أبي طالب .

3- صحيح البخاري 1: 14 كتاب الإيمان ، باب حب الرسول من الإيمان .

عندما يتعدّون حدود المنطق عندما يقولون بعد التهم أجمعين ، وقد شهد الله ورسوله بأنّ فيهم الفاسقين والمارقين والقاسطين والمنافقين .

أليس من الغلو اتّهام الرسول بالخطأ وإنّ الصحابي يصوّب خطئه هذا؟!

أليس من الغلو القول بأنّ الشيطان يلعب ويمرح بحضرة النبيّ ولكنّه يهرب من عمر؟!

وأليس من الغلو القول : لو أصاب الله المسلمين بمصيبة - بما فيهم رسول الله - لم يكن ينج منها إلا ابن الخطّاب؟!

## التقليد

### التقليد(1)

يرى الشيعة بأنّ فروع الدين - وهي أحكام الشريعة المتعلّقة بالعبادات والمعاملات وغيرها ، يجب فيها أحد الأمور الثلاثة :

1- أن يجتهد الانسان وينظر في أدلّة الأحكام إذا كان أهلاً لذلك .

2- أو أن يحتاط في أعماله إذا كان يسعه الاحتياط .

3- أو أن يقلّد المجتهد الجامع للشرائط ، بأن يكون من يقلّده عاقلاً ، عادلاً ، عالماً ، صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه .

والاجتهاد واجب كفايي على جميع المسلمين ، فإذا نهض به من اجتمعت فيه الشروط سقط عن باقي المسلمين ، فيجوز لهم تقليده والرجوع إليه في فروع دينهم .

قول الشيعة هذا لا يختلف عن قول أهل السنّة والجماعة إلا في شرط حياة

ص: 234

1- لأكون مع الصادقين. الشيعة هم أهل السنّة .

المجتهد ، غير أنّ الخلاف الواضح بينهم هو في العمل بالتقليد ، إذ أنّ الشيعة يعتقدون بأنّ المجتهد - الجامع للشروط المذكورة - هو نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته ، فهو الحاكم والرئيس المطلق ، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس ، والرادّ عليه رادّ على الإمام.

أمّا عند أهل السنّة والجماعة فليس للمجتهد هذه المرتبة ، ولكنهم يرجعون في المسائل الفقهية لأحد الأئمّة الأربعة أصحاب المذاهب ، وهم أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والمعاصرون من أهل السنّة قد لا يلتزمون بتقليد واحد من هؤلاء على سبيل التعيين ، فقد يأخذون بعض المسائل من أحدهم والبعض الآخر من غيره حسب ما تقتضيه حاجتهم ، كما فعل ذلك السيد سابق الذي ألف فقهاً مأخوذاً من الأربعة ، وذلك لاعتقاد أهل السنة والجماعة بأنّ الرحمة في اختلافهم.

فلا بدّ لكلّ مكلف من المسلمين ، إذا لم يكن مجتهداً - بمعنى أنّه قادر على استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة - أن يُقلّد مرجعاً جامعاً للشرائط من العلم والعدل والورع والزهد والتقوى وذلك لقوله تعالى : «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (1)

بالنسبة لمذهب الشيعة الإمامية فهو متواتر عن اثني عشر إماماً من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ينقل الابن عن أبيه ، فيقول أحدهم : «حديثي هو حديث أبي ، وحديث أبي هو حديث جدّي ، وحديث جدّي هو حديث أمير المؤمنين علي وحديث علي هو حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديث رسول الله هو حديث جبريل عليه السلام وهو كلام الله تعالى» .

ص: 235



وبعد مرحلة غيبة الإمام المعصوم الذي أرجع الناس إلى تقليد العالم الفقيه الجامع الشرائط ، بدأت سلسلة الفقهاء المجتهدين منذ ذلك العهد إلى اليوم تتوالى بدون انقطاع ، وفي كلِّ عهد يبرز في الأمة مرجع واحد أو عدّة مراجع للشيعة يقلّدونهم في أعمالهم حسب الرسائل العمليّة التي يستنبطها كلُّ مرجع من الكتاب والسنة ، ولا يجتهد إلا في الأمور المستحدثة التي عرفها هذا القرن بسبب التقدّم العلمي والتكنولوجي ، كعملية زرع القلب أو أي عضو جسدي من شخص لآخر .

ويقلّد الشيعة على مرّ العصور الفقيه الحي الذي يعيش مشاكل الناس ويهتمّ بهمومهم فيسألونه ويحييهم.

وبهذا بقي الشيعة في كلِّ العصور يحافظون على المصدرين الأساسيين للشريعة الاسلامية من الكتاب والسنة والنصوص المنقولة عبر الأئمّة الاثني عشر من العترة الطاهرة جعلت علماء هم يستغنون عن القياس والقول بالرأي.

أمّا مذهب «أهل السنة والجماعة» سواء كان حنفياً أم مالكيّاً أم شافعيّاً أم حنبليّاً ، فهو مبنيٌّ على رأي رجل واحد بعيد عن عصر الرسالة ولا تربطه بالنبويّ أي صلة.

ففي وقت كان الشيعة يقلّدون علي بن أبي طالب الذي لم يفارق النبي طيلة حياته و من بعده يقلّدون سيدي شباب أهل الجنة الإمام الحسن والإمام الحسين سبطي النبي والإمام علي بن الحسين زين العابدين وابنه الإمام الباقر وحفيده الإمام الصادق عليهما السلام ، لم يكن «لأهل السنة والجماعة» وجود في ذلك العصر ولم يحدثنا التاريخ عنهم أين كانوا ومن هو إمامهم الذي يقلّدون ويرجعون إليه في الأحكام الشرعية من الحلال والحرام ، من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ظهور المذاهب الأربعة.

و يظهر بعد ذلك على مسرح الحياة أئمة المذاهب الأربعة واحداً بعد واحد ، وعلى فترات متفاوتة حسب رغبة الحكّام العباسيين ، ثمّ يظهر بعد ذلك تكتّل يجمع المذاهب الأربعة تحت شعار بَرّاق يأخذ بالألباب ويتسمّى ب «أهل السنّة والجماعة» ويلتف حوله كلّ من عادى عليّاً والعترة الطاهرة وكان من أنصار الخلفاء الثلاثة وكلّ الحكام من بني أميّة وبني العباس ، فاعتنق الناس تلك المذاهب طوعاً وكرهاً ، لأنّ الحكّام عملوا على تأييدها بوسائل التغيب والترهيب والناس على دين ملوكهم.

ثمّ نجد «أهل السنّة والجماعة» وبعد موت الأئمة الأربعة يغلقون باب الاجتهاد في وجه علمائهم فلا يسمحون لهم إلا بالتقليد لأولئك الأئمة الميّتين .

وأصبح «أهل السنّة والجماعة» مقيدين لتقليد رجل ميّت لم يشاهدوه ولم يعرفوه حتى يطمئنوا لعدالته وورعه وعلمه ، وإتّما كلّ ما هنالك أنّهم أحسنوا الظنّ بأسلافهم الذين يروي كلّ فريق منهم مناقب خيالية في الإمام الذي يتبعه فجاء أغلبها فضائل مناميّة لا تتعدى أضغاث أحلام أو طيف منام ، أو ظناً أو أوهاماً .

ولو نظر المثقفون من «أهل السنّة والجماعة» اليوم إلى المثالب التي رواها أسلافهم أيضاً وتضارب الأقوال في بعضهم حتى وصل بهم الأمر إلى الحروب والتكفير في ما بينهم ، لراجعوا موقفهم من أولئك الأئمة ولكانوا من المهتمدين .

## البداء

### البداء (1)

وهو أن يبدو له شيء في أمر ما ، يريد فعله ثمّ يتغير رأيه في ذلك الشيء فيفعل غير ما عزم على فعله سابقاً.

ص: 237

وأما قول الشيعة بالبذاء ونسبته إلى الله تعالى والتشنيع عليهم بأنه يستوجب نسبة الجهل والنقص إلى الله سبحانه وتعالى كما يريد أهل السنة والجماعة حمله على هذا المعنى - فهذا تفسير باطل ، ولا تقول به الشيعة أبداً ، ومن ينسب ذلك إليهم فقد افترى عليهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام : «من زعم أنّ الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم».(1)

وقال الشيخ المظفر في عقائد الإمامية : «والبذاء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى ، لأنه من الجهل والنقص ، وذلك محال عليه تعالى ولا تقول به الإمامية».(2)

إذا فالبذاء الذي تقول به الشيعة لا يتعدى حدود القرآن في قوله سبحانه :

«يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»(3)، وهذا القول يقول به أهل السنة والجماعة كما يقول به الشيعة ، فلماذا يشنع على الشيعة ولا يشنع على أهل السنة والجماعة القائلين بأن الله سبحانه يُبدّل الأحكام ويغيّر الآجال والأرزاق؟!

فقد أخرج ابن مردويه وابن عساکر عن علي أنه سأل رسول الله عن هذه الآية: «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الأقرن عينيك بتفسيرها ، ولأقرن عين أمّتي بعدي بتفسيرها ، الصدقة على وجهها وبرّ الوالدين واصطناع المعروف ، يحوّل الشقاء سعادة ، ويزيد في العمر ، ويقي مصارع السوء».

ص: 238

1- بحار الأنوار 4: 111 ح 30.

2- عقائد الإمامية : 69.

3- الرعد : 39.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب أنه قال وهو يطوف بالبيت: «اللهم إن كنت كتبت عليّ شقاوة أو ذنباً فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادة ومغفرة».(1)

أما البخاري فهو يروي في صحيحه قصة عجيبة وغريبة حول معراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: «...ثم فرضت عليّ خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى، فقال: ما صنعت؟ فقلت: فرضت عليّ خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك فسله، فرجعت فسألته فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله، فجعلها عشرين، ثم مثله، فجعلها عشراً، فأتيت موسى فقال مثله، فجعلها خمساً، فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمساً، فقال مثله، قلت: فسلمن، فنودي إليّ قد أمضيتُ فريضتي وخففت عن عبادي وأجري الحسنه عشرًا».(2)

ويقول البخاري في رواية أخرى: «وبعد مراجعة محمد ربه عديد المرّات وبعد فرض الخمس صلوات، طلب موسى عليه السلام من محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يُراجع ربه التخفيف، لأنّ أُمَّته لا تطيق حتى خمس صلوات، ولكن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أجابه: قد استحييت من ربي»(3)

هذه هي عقائد أهل السنّة والجماعة العجيبة، ومع ذلك فهم يشنّعون على الشيعة أتباع أئمة أهل البيت في القول بالبداة!

ص: 239

1- الدر المنثور للسيوطي 4: 66.

2- صحيح البخاري 3: 1174 ح 3150، كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة .

3- صحيح البخاري 3: 1412 ح 3674، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج، صحيح مسلم 1: 082 باب الاسراء برسول الله وفرض الصلوات .

فهم في هذه القصة يعتقدون بأن الله سبحانه فرض على محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمسين صلاة، ثم بدا له بعد مراجعة محمد آياه أن جعلها أربعين، ثم بدا له بعد مراجعة ثانية أن جعلها ثلاثين، ثم بدا له بعد مراجعة ثالثة أن جعلها عشرين، ثم بدا له بعد مراجعة رابعة أن جعلها عشراً، ثم بدا له بعد مراجعة خامسة أن جعلها خمساً.

وبغض النظر عن قبولنا لهذه الرواية وعدمه فإن القول بالبداء عقيدة سليمة تتماشى و مفاهيم الدين الاسلامي وروح القرآن «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (1) ولولا اعتقادنا - سنة وشيعة - بأن الله سبحانه يبذل ويغير، لما كان لصلاتنا ودعائنا من فائدة ولا تعليل ولا تفسير، كما أننا نؤمن جميعاً بأن الله سبحانه يبذل الأحكام، وينسخ الشرائع من نبي لآخر، بل وحتى في شريعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هناك ناسخ و منسوخ، فالقول بالبداء ليس كفراً ولا خروجاً عن الدين، وليس لأهل السنة أن يشنعوا على الشيعة من أجل هذا الاعتقاد، كما أنه ليس للشيعة أن يشنعوا على أهل السنة أيضاً.

والحقيقة أنني أرى رواية المعراج هذه مستوجبة لنسبة الجهل إلى الله عز وجل، وموجبة لانتقاص شخصية أعظم إنسان عرفه تاريخ البشرية وهو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ تقول الرواية بأن موسى قال لمحمد: أنا أعلم بالناس منك، وتجعل هذه الرواية الفضل والمزية لموسى الذي لولاه لما خفف الله عن أمة محمد.

ولست أدري كيف يعلم موسى بأن أمة محمد لا تطيق حتى خمس صلوات، في حين أن الله لا يعلم ذلك ويكلف عباده بما لا يطيقون فيفرض عليهم.

ص: 240

1- الرعد: 11.

خمسين صلاة؟ فإذا كان أهل السنّة والجماعة يشنّعون على الشيعة قولهم بالبداء ، وأنّ الله سبحانه وتعالى يبدو له فيغيّر ويبدّل كيف شاء، فلماذا لا يشنّعون على أنفسهم في قولهم بأنّ الله سبحانه يبدو له فيغيّر ويبدّل الحكم خمس مرّات في فريضة واحدة وفي ليلة واحدة وهي ليلة المعراج؟! ليلة المعراج؟!

وقد يعترض البعض ويقول بأنّ قصة المعراج هذه لا تدلّ على البداء ، وإن كان معناها التغيير والتبديل في الحكم ولكن لا تقطع بأنّه بدا لله فيها .

وتقول له : هاكم الرواية الأخرى التي يرويها البخاري والتي يذكر فيها لفظ البداء صراحة لا لبس فيه .

فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «إنّ ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحبّ إليك؟ فقال : لون حسن وجلد حسن ، قد قدّرتني الناس ، فمسحه فذهب عنه ، فأعطني لونا حسناً وجلداً حسناً ، ثمّ قال له : أيّ المال أحبّ إليك ؟ فقال : الابل ، فأعطني ناقة عشراء .

وأتى الأقرع فقال : أي شيء أحبّ إليك ؟ فقال : شعر حسن ويذهب عنّي هذا ، قد قدّرتني الناس ، فمسحه فذهب عنه ، وأعطني شعراً حسناً ، ثمّ قال له : أيّ المال أحبّ إليك ؟ فقال : البقرة ، فأعطاه بقرة حاملاً .

وأتى الأعمى فقال : أي شيء أحبّ إليك ؟ فقال : يردّ عليّ بصري ، فمسحه فردّ الله إليه بصره ، قال : فأيّ المال أحبّ إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطاه شاة ولوداً ...

ثم رجع الملك، بعد أن تكاثرت عند هؤلاء الإبل والبقر والغنم حتى أصبح يملك كلّ منهم قطيعاً، فأتى الأبرص والأفراع والأعمى كلّ على صورته، وطلب من كلّ واحد منهم أن يعطيه ممّا عنده، فردّه الأفراع والأبرص فارجعهما الله إلى ما كانا عليه، وأعطاه الأعمى فزاده الله وأبقاه مبصراً. (1)

## التقية

### التقية (2)

وهذه أيضاً من الأمور المستنكرة عند أهل السنّة والجماعة، حيث يشنّعون بها على الشيعة ويعتبرونهم منافقين، إذ يظهرون ما لا يبطنون! والأمر العجيب في أهل السنّة والجماعة أنّهم يستنكرون عقائد يقولون بها، وكتبهم وصحاحهم ومسانيدهم مليئة بذلك و تشهد عليهم. فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» (3)، قال: التقية باللسان، من حُمِلَ على أمر يتكلّم به وهو معصية لله، فيتكلّم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالإيمان، فإنّ ذلك لا يضرّه، إنّما التقية باللسان. (4) وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في سننه من طريق عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» قال: التقاة هي التكلّم باللسان والقلب

ص: 242

1- صحيح البخاري 3: 1279 ح 3277 كتاب الأنبياء .

2- لأكون مع الصادقين.

3- آل عمران : 28.

4- الدر المنثور للسيوطي 2: 16 .

مطمئن بالإيمان.(1)

وأخرج ابن عبد الحميد عن الحسن قال : «التقية جائزة إلى يوم القيامة»(2)

وأخرج عبد بن أبي رجاء أنه كان يقرأ : «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقِيَهُ».

وأخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه ، وصححه الحاكم في المستدرک ، والبيهقي في الدلائل ، قال : أخذ المشركون عمّار ابن ياسر، فلم يتركوه حتى سبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر آلهتهم بخير ، ثم تركوه ، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «ما وراءك شيء؟»

قال : شرّ، ما تركتُ حتى نلتُ منك وذكرتُ آلهتهم بخير.

قال : «كيف تجد قلبك؟»

قال : مطمئن بالإيمان .

قال : «إِنْ عَادُوا فَعَدُّ» «أَلَا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»(3)

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين : أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقي عمّاراً وهو يبكي ، فجعل يمسح عن عينيه ويقول : «أخذك الكفار فغطّوك في الماء، فقلت: كذا وكذا، فإن عادوا فقل لهم

ذلك.(4)

وأخرج البخاري في صحيحه في باب المداراة مع الناس ويذكر عن أبي الدرداء قال : «إِنَّا لَنُكْشَرُ فِي وَجْهِهِ أَقْوَامٌ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَلْعَنُهُمْ».(5)

ص: 243

1- المستدرک للحاكم 2: 319 ح 3149 كتاب التفسير.

2- الدر المنثور للسيوطي 2: 16.

3- النحل : 106.

4- الدر المنثور للسيوطي 4: 132.

5- صحيح البخاري 5: 2271.



وأخرج الحلبي في سيرته ، قال: لمّا فتح رسول الله مدينة خيبر ، قال له حجاج بن علاط : يا رسول الله إن لي بمكة مالا ، وإن لي بها أهلاً ، وأنا أريد أن آتيهم ، فأنا في حلّ إن أنا نلتُ منك وقلتُ شيئاً؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول ما شاء». (1)

وقال الإمام الغزالي: «إن عصمة دم المسلم واجبة ، فمهما كان القصد سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب» (2)

هذه الروايات وغيرها (3)، تدلّ على أنّ أهل السنة والجماعة يؤمنون بجواز التقيّة إلى أبعد حدودها من أنّها جائزة إلى يوم القيامة، ومن وجوب الكذب كما قال الغزالي ، وإظهار الكفر ، وجواز الابتسام في الظاهر واللعن في الباطن كما اعترف بذلك البخاري.

فلا مبرر لأهل السنة والجماعة في التشنيع والإنكار على الشيعة من أجل عقيدة يقولون بها هم أنفسهم ويروونها في صحاحهم ومسانيدهم بأنّها جائزة بل واجبة ، ولم يزد الشيعة على ما قاله أهل السنة شيئاً ، سوى أنّهم اشتهروا بالعمل بها أكثر من غيرهم لما لاقوه من الأمويين والعباسيين من ظلم واضطهاد، فكان يكفي في تلك العصور أن يقال : هذا رجلٌ يتشيع لأهل البيت ليلاقي حتفه ويُقتل شرّاً قتلة على يد أعداء أهل البيت النبوي .

فكان لا بدّ لهم من العمل بالتقيّة اقتداءً بما أشار عليهم أنمّة أهل البيت عليهم السلام،

ص: 244

1- السيرة الحلبية 3: 51.

2- إحياء علوم الدين 3: 132.

3- انظر : صحيح البخاري 5: 2271 ح 5780 كتاب الأدب ، الأشباه والنظائر للسيوطي : 173 - 174 ، أحكام القرآن للرازي الجصاص 2: 9 (في تفسير الآية من سورة آل عمران) .

فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال : «التقية ديني ودين آبائي»<sup>(1)</sup>، فقد كانت التقية شعاراً للأئمة أهل البيت عليهم السلام أنفسهم ، دفعاً للضرر عنهم وعن أتباعهم ومحبيهم ، وحقناً لدمائهم.

أمّا أهل السنّة والجماعة فقد كانوا بعيدون عن ذلك البلاء، لأنّهم كانوا في معظم عهودهم على وفاق تامّ مع الحكّام ، فلم يتعرّضوا لا لقتل ولا لنهب ولا للظلم ، فكان من الطبيعي جداً أن ينكروا التقية ويشنّعون على العاملين بها ، وقد لعب الحكام من بني أمية وبني العباس دوراً كبيراً في التشهير بالشيعة من أجل التقيّة .

و بما أنّ الله سبحانه أنزل فيها قرآناً يُتلى وأحكاماً تقضي ، وبما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمل هو نفسه بها كما مرّ عليك في صحيح البخاري ، وأنّه أجاز .

لعمّار بن ياسر أن يسبّه و يكفر إذا عاوده الكفّار بالتعذيب ، وبما أنّ علماء المسلمين أجازوا ذلك اقتداء بكتاب الله وسنّة رسوله ، فأبي تشيع وأي استنكارٍ بعد هذا يصحّ أن يوجّه إلى الشيعة؟!

أمّا الفرق بين النفاق والتقيّة فواضح ، فالنفاق هو إظهار الايمان وكتمان الكفر ، بينما التقيّة هي إظهار الكفر وكتمان الايمان ، وشتان ما بين الموقفين ، هذا الموقف أعني النفاق الذي قال في شأنه سبحانه و تعالى : «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِئَانِ بَيْنِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ»<sup>(2)</sup>

فهذا يعني إيمان ظاهر + كفر باطن = نفاق.

أمّا الموقف الثاني أعني التقيّة التي قال في شأنها سبحانه و تعالى «وَقَالَ

ص: 245

1- الكافي 2:219 ح 11.

2- البقرة : 14.

رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ»(1)

فهذا يعني : كفر ظاهر - إيمان باطن = تقيّة .

فإنّ مؤمن آل فرعون كان يكتُم في الباطن إيمانه ولا يعلم به إلا الله ، ويتظاهر لفرعون وللناس جميعاً أنّه على دين فرعون ، وقد ذكره الله في محكم كتابه تعظيماً له .

وأخيراً لنرى قول الشيعة في التقيّة حتى لا ننخدع بما يقال فيهم كذباً وبهتاناً.

يقول الشيخ محمد رضا المظفر : «و لتقيّة أحكامٌ من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف خوف الضرر ، مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهيّة ، وليست هي بواجبة على كلّ حال ، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال ، كما إذا كان في إظهار الحقّ والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للاسلام وجهاد في سبيله ، فإنّه عند ذلك يستهان بالأموال ولا تعزّ النفوس ، وقد تحرمّ التقيّة في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة ، أو رواجاً للباطل ، أو فساداً في الدين ، أو ضرراً بالغاً على المسلمين ، بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم .

وعلى كلّ حال ليس معنى التقيّة عند الإمامية أنّها تجعل منهم جمعية سرّيّة الغاية الهدم والتخريب ، كما يريد أن يصوّرها بعض أعدائهم غير المتورّعين في إدراك الأمور على وجهها ، ولا يكلّفون أنفسهم فهم الرأي الصحيح عندنا .

كما أنّه ليس معناها أنّها تجعل الدين وأحكامه سرّاً من الأسرار لا يجوز أن .

ص: 246

1- غافر : 28.

يُذاع لمن لا- يدين به ، كيف وكتب الإمامية ومؤلفاتهم فيما يخصّ الفقه والأحكام و مباحث الكلام والمعتقدات قد ملأت الخافقين وتجاوزت الحد الذي ينتظر من أية أمة تدين بدينها»(1)

## المتعة أو الزواج المؤقت

### المتعة أو الزواج المؤقت (2)

وهي كالزواج الدائم لا تصحّ إلا بعقد يشتمل على قبول وإيجاب، كأن تقول المرأة للرجل: زوّجتك نفسي بمهر قدره كذا ولمدة كذا، فيقول الرجل: قبلت .

ولهذا الزواج شروطه المذكورة في كتب الفقه عند الإمامية كوجوب تعيين المهر والمدة، وحرمة التمتع بذات محرم كما في الزواج الدائم، وعلى المرأة المتمتع بها أن تعتدّ بعد انتهاء الأجل بحيضتين، وبأربعة أشهر وعشرة أيام في حالة وفاة زوجها، وليس بين المتمتعين إرثٌ ولا نفقة، فلا ترثه ولا يرثها، والولد من الزواج المؤقت كالولد من الزواج الدائم تماماً في حقوق الميراث والنفقة وكلّ الحقوق الأدبية والمادية ويُلحق بأبيه .

فهي إذاً كالزواج الدائم إلا في مسألة تعيين المدة، والارث بين الزوجين .

وقد قال أهل السنّة بهذا التشريع كالشيعة تماماً، التزاماً بقوله تعالى: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا»(3)

ص: 247

1- عقائد الإمامية : 114.

2- لأكون مع الصادقين.

3- النساء : 24.

كما أنّهم متّفقون على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذن بها واستمتع الصحابة على عهده . إلا أنّهم يختلفون في نسخها أو عدم نسخها ، فأهل السنّة والجماعة يقولون بنسخها وأنّها حرمت بعد أن كانت حلالاً ، وأنّ النسخ وقع بالسنّة لا بالقرآن ، والشيعّة يقولون بعدم النسخ وأنّها حلال إلى يوم القيامة.

إذن فالبحث يتعلّق فقط في نسخها أو عدمه ، والنظر في أقوال الفريقين حتى يتبيّن للقارئ جلية الأمر وأين يوجد الحقّ فيتّبعه بدون تعصب ولا عاطفة.

حجّة الشيعة القائلين بعدم النسخ هي : لم يثبت عندنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها ، وأنّمنا من العترة الطاهرة يقولون بحليتها ، ولو كان هناك نسخٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلمه الأئمة من أهل البيت وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام ، فأهل البيت أدري بما فيه ، ولكن الثابت عندنا أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو الذي نهى عنها وحرّمها اجتهاداً منه كما يشهد بذلك علماء السنّة أنفسهم ، ونحن لا نترك أحكام الله ورسوله لرأي واجتهاد عمر بن الخطاب!

أمّا أهل السنّة والجماعة فيقولون بأنّ المتعة كانت حلالاً ، ونزل فيها القرآن، ورخص فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفعالها الصحابة، ثمّ بعد ذلك نُسخت ، ويختلفون في النسخ لها ، فمنهم من يقول بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها قبل موته ، ومنهم من يقول بأنّ عمر بن الخطاب هو الذي حرّمها ، وقوله حجة عندنا القول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين بعدي ، عصّوا عليها بالنواجذ»<sup>(1)</sup>

أمّا القائلون بتحريمها لأنّ عمر بن الخطاب حرّمها وأنّ فعله سنّة ملزمة،

ص: 248

فهؤلاء لا كلام لنا معهم ولا بحث، لأنه محض التعصّب والتكلف، وإلا فكيف يترك المسلم قول الله وقول الرسول ويخالفهما ويتبع قول بشر مجتهد يُخطيء ويصيب؟! هذا إذا كان اجتهاده في مسألة ليس فيها نصّ من الكتاب والسنة، أمّا إذا كان هناك نصّ «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»(1)، فالأمر واضح، ومن لا يتفق معي على هذه القاعدة فعليه بمراجعة معلوماته في مفاهيم التشريع الإسلامي ودراسة القرآن الكريم والسنة النبوية، فالقرآن دلّ بذاته في الآية المذكورة أعلاه - ومثلها في القرآن كثير - على كفر وضلال من لا يتمسك بالقرآن والسنة النبوية .

أمّا الدليل من السنة النبوية الشريفة فكثير أيضاً، ولكن نكتفي بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة»(2)، فليس من حقّ أحد أن يحلّل أو يحرمّ في مسألة ثبت فيها نصّ وحكم من الله أو من رسوله.(3)

أمّا الفريق القائل بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي حرّمها ونسخ القرآن بالحديث.

فهؤلاء مضطربون في أقوالهم، وحبّتهم واهية لا تقوم على أساس متين، ولو روى النهي عنه مسلم في صحيحه، لأنه لو كان هناك نهى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما غاب عن الصحابة الذين تمتّعوا في عهد أبي بكر وشطر من عهد عمر نفسه كما

ص: 249

1- الأحزاب : 36

2- الكافي 2: 17 ح 2 كتاب الايمان والكفر .

3- صلى الله عليه وآله وسلم.

روى ذلك مسلم في صحيحه.(1)

قال عطاء: قدم جابر بن عبدالله معتمراً فجنّاه في منزله ، فسأله القوم عن أشياء ثمّ ذكروا المتعة ، فقال : نعم ، استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر ما ادا وعمر .

فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن المتعة لما جاز للصحابة أن يتمتعوا على عهد أبي بكر وعمر كما سمعت .

فالواقع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينه عنها ولا حرّمها ، وإثما وقع النهي عنها من عمر بن الخطاب كما جاء ذلك في صحيح البخاري .

عن مسدّد حدّثنا يحيى بن عمران ، عن أبي بكر ، حدّثنا أبو رجاء ، عن عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله ، ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم ينزل قرآن يحرمه ، ولم ينه عنها حتى مات ، قال رجل برأيه ما شاء ، قال محمد: يقال: إنّه عمر.(2)

فأنت ترى - أيّها القاريء - أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينه عنها حتى مات كما صرّح به هذا الصحابي ، وتراه ينسبُ التحريم إلى عمر صراحةً وبدون غموض ، ويُضيف أنّه قال برأيه ما شاء .

وهذا هو جابر بن عبدالله الأنصاري يقول صراحة : كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق لأيّام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر ، حتى نهى عمر في شأن عمرو بن حريث.(3)

ص: 250

1- صحيح مسلم 1: 586 باب نكاح المتعة .

2- صحيح البخاري 4: 1642 ح 4246 ، كتاب التفسير .

3- صحيح مسلم 1: 586 باب نكاح المتعة .

ولهذا قال الإمام علي عليه السلام عن هذا النهي : «لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زني إلا شقي»(1)

على أنّ عمر بن الخطاب نفسه لم ينسب التحريم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل قال قولته المشهورة بكلّ صراحة : «متعتان كانتا على عهد رسول الله ، وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما ، متعة الحجّ ومتعة النساء»(2)

وهذا مسند الإمام أحمد بن حنبل خير شاهد على أنّ أهل السنّة والجماعة مختلفون في هذه المسألة اختلافاً كبيراً ، فمنهم من يتّبع قول الرسول فيحلّها ، ومنهم من يتّبع قول عمر بن الخطاب فيحرّمها.

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس قال : تمتّع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عروة بن الزبير : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة.

فقال ابن عباس : ما يقول عروة - تصغير لعروة - ؟

قال : يقول : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة.

فقال ابن عباس : أراهم سيهلكون ، أقول : قال النبيّ ويقولون : نهى أبو بكر وعمر.(3)

و جاء في صحيح الترمذي أنّ عبد الله بن عمر سئل عن متعة الحجّ، قال :

هي حلال ، فقال له السائل: إنّ أباك قد نهى عنها ، فقال : رأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ، أمر أبي أتبع أم أمر رسول الله ؟ فقال الرجل: بل أمر

ص: 251

1- جامع البيان للطبري مجلد 4 : ج 5 ص 13.

2- التفسير الكبير للفخر الرازي 50:10 .

3- مسند أحمد 1: 337.



والغريب أن أهل السنة والجماعة أطاعوا عمر في متعة النساء وخالفوه في متعة الحج ، مع أن النهي عنهما وقع منه في موقف واحد!

## الجمع بين الصلاتين

### الجمع بين الصلاتين (2)

يتفق أهل السنة والجماعة على جواز الجمع بين الصلاتين بعرفة بين الظهر والعصر ويُسمّى جمع تقديم ، وجواز الجمع بالمزدلفة وقت العشاء بينها وبين فريضة المغرب ويُسمّى جمع تأخير ، وهذا ما يتفق عليه كل المسلمين شيعة وسنة ، بل كل الفرق الاسلامية بدون استثناء.

والخلاف بين الشيعة والسنة هو في جواز الجمع بين الفريضتين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في كل أيام السنة بدون عذر السفر.

أمّا الحنفية فيقولون بعدم الجواز حتى في السفر ، وأمّا المالكية والشافعية والحنبلية فيقولون بجواز الجمع بين الفريضتين في السفر ، ويختلفون بينهم في جوازه لعذر الخوف والمرض والمطر.

أمّا الشيعة الإمامية فمتفقون على جوازه مُطلقاً في غير سفر ولا مطر ولا مرض ولا خوف ، وذلك حسب الروايات التي يروونها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

والواقع أنّ روايات الجمع بين الصلاتين بدون عذر السفر أو المرض موجودة في كتب السنة وصحاحهم كما هي موجودة عند الشيعة.

ص: 252

1- صحيح الترمذي 3: 185 ح 824 كتاب الحج .

2- لأكون مع الصادقين .

فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده(1) عن ابن عباس، قال : صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و في المدينة مقيماً غير مسافر سبعاً وثمانياً .

وأخرج الإمام مالك في الموطأ(2) عن ابن عباس، قال : صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر .

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه(3)، قال : عن ابن عباس قال : صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر .

وأخرج كذلك عن ابن عباس قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر .

قال: قلتُ لابن عباس: لِمَ فعل ذلك ؟

قال: كي لا يخرج أُمَّته.(4)

وأخرج مسلم كذلك قال : خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم ، وجعل الناس يقولون : الصلاة الصلاة ، قال : فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني الصلاة الصلاة ، فقال ابن عباس : أتعلّمني بالسنة لا أمّ لك ، ثمّ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء .

وفي رواية أخرى : قال ابن عباس للرجل : لا أمّ لك ، أتعلّمننا بالصلاة وكنا

ص: 253

1- مسند أحمد 221 .

2- موطأ مالك (شرح الحوالمك) 1: 144، كتاب قصر الصلاة في السفر.

3- صحيح مسلم 1: 284 باب الجمع بين الصلاتين في الحضر .

4- صحيح مسلم 1: 285 باب الجمع بين الصلاتين في الحضر.

نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (1)

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه (2) في باب وقت المغرب قال : حدّثنا آدم قال : حدّثنا شعبة قال : حدّثنا عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن زيد عن ابن عباس قال: صلّى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سبعاً جميعاً وثمانياً.

كما أخرج البخاري في صحيحه (3)، في باب العصر قال: سمعت أبا أمامة يقول : صلّينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ، ثمّ خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلّي العصر، فقلت : يا عمّ ما هذه الصلاة التي صلّيت ؟ قال :

العصر ، وهذه صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي كنّا نصلّي معه.

ومع وضوح هذه الأحاديث فإنّك لا تزال تجد من يشّنع بذلك على الشيعة .

### السجود على التربة

#### السجود على التربة (4)

أجمع الشيعة على القول بأفضلية السجود على الأرض ، لما يروونه عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام قول جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل السجود على الأرض» . .

ويشّنع علماء السنّة على الشيعة اتخاذهم طينة من التراب للسجود عليها ، ولكن عندما نرجع إلى كتبهم نجد أنّهم يروون بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت له خُمرة مصنوعة من سَعَف يسجد عليها .

ص: 254

1- صحيح مسلم 1: 285 باب الجمع بين الصلاتين في الحضر .

2- صحيح البخاري 1: 206 ح 537 كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت المغرب .

3- صحيح البخاري 1: 202 ح 524 كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت العصر .

4- لأكون مع الصادقين .

فقد أخرج مسلم في صحيحه عن يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن ثابت بن عبيد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ناوليني الخُمرة من المسجد»، قالت: فقلت: إني حائض، فقال: «إنَّ حيضتك ليست في يدك». (1)

يقول مسلم: والخُمرة هي السجادة الصغيرة مقدار ما يسجد عليها.

ومما يدلنا على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحبَّ السجود على الأرض، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عاماً حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين - وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه - قال: «من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الآخر، وقد أريْتُ هذه الليلة ثمَّ أنسيْتُها، وقد رأيتني أسجدُ في ماء وطين من صبيحتها، فالتمسوها في العشر الآخر والتمسوها في كلِّ وترٍ»، فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد، فبصَّرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين. (2)

وأخرج الإمام النسائي في سننه قال: أخبرنا قتيبة قال: حدَّثنا عبَّاد، عن محمد بن عمرو، عن سعيد بن الحرث، عن جابر بن عبد الله قال: كنَّا نصلِّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر، فاخذ قبضةً من حصى في كفي أبرده ثمَّ أحوله في كفي الآخر، فإذا سجدت وضعته لجبهتي. (3)

ص: 255

- 
- 1- صحيح مسلم 1: 138 باب جواز غسل الحائض رأس زوجها، سنن أبي داود 1: 68 باب الحائض تناول من المسجد.
  - 2- صحيح البخاري 2: 713 - 714 ح 1923 كتاب الاعتكاف.
  - 3- سنن الإمام النسائي 1: 227 باب تبريد الحصى للسجود عليه.

اضف إلى كل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «جُعِلت لي الأرض مسجداً و طهوراً»(1)، وقال أيضاً : «جُعِلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تُربتها لنا طهوراً». (2)

فكيف يتعصب المسلمون ضد الشيعة لأنهم يسجدون على الأرض بدلاً من السجود على الزرابي؟! وكيف يصل بهم الأمر إلى تكفيرهم والتشيع عليهم وقذفهم زوراً وبهتاناً بأنهم عباد الأنام؟!

## الرجعة

### الرجعة (3)

تعني الرجعة عند الشيعة - طبقاً لرواياتهم عن أهل البيت عليهم السلام - أن الله تعالى يعيد قومًا من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّ فريقاً ويذلّ فريقاً آخر، ويديل المحقّين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد، ولا يرجع إلا من علت درجته في الأيمان أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون من بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقّونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمّني هؤلاء المرتجعين - الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله - أن يخرجوا ثالثاً لعلهم يصلحون: «قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا إِثْنَيْنِ وَأَْحْيَيْتَنَا إِثْنَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ»(4)

هذا رأي الشيعة بالرجعة، وكما هو واضح فأنه لا يتعارض مع القرآن

ص: 256

1- صحيح البخاري 1: 128 ح 328 كتاب التيمم .

2- صحيح مسلم 1: 312 كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

3- لأكون مع الصادقين .

4- غافر : 11 ، انظر : عقائد الإمامية للمظفر : 109 .

قال تعالى: «وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا» (1)، وقال جلَّ شأنه: «أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ» (2)

وقال: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ» (3)

وقال في أصحاب الكهف الذين لبثوا في كهفهم موتى أكثر من ثلاثمائة عام: «ثُمَّ بَعَثْنَاَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا» (4)

فإذا كان أهل السنة لا يؤمنون بالرجعة فلهم كامل الحق، ولكن ليس من حقهم أن يشنعوا على من يقول بها، لعدم تعارضها مع نصوص القرآن كما أسلفنا .

أما قول بعض المتطرفين من أهل السنة والجماعة بأن القول بالرجعة هو القول بالتناسخ الذي يقول به بعض الملحدين، فهو قول ظاهر الفساد والبطلان، ولا يقصد من ورائه إلا التشنيع على الشيعة، إذ أن القائلين بالتناسخ لا يقولون بأن الإنسان يرجع إلى الدنيا بجسمه وروحه وصورته وكنهه، إنما يقولون بأن الروح تنتقل من إنسان مات إلى جسد إنسان آخر يولد من جديد أو حتى إلى حيوان .

وهذا كما نعلم بعيد كل البعد عن عقيدة المسلمين القائلين بأن الله يبعث من في القبور بأجسامهم وأرواحهم، فليست الرجعة من التناسخ في شيء، وهو قول

ص: 257

1- النمل : 83.

2- البقرة : 259.

3- البقرة : 243.

4- الكهف : 12.

الجهلة الذين لا يفقهون ، أو المغرضين غير الورعين .

## المهدي المنتظر عليه السلام

المهدي المنتظر عليه السلام(1)

وهو من المواضيع التي يشتع بها أهل السنة والجماعة على الشيعة ، بل ذهب البعض منهم إلى حدّ السخرية والاستهزاء ، إذ أنّهم يستبعدون أو قلّ يعتقدون استحالة أن يبقى بشرٌ طيلة اثني عشر قرناً حيّاً ومخفياً عن أنظار الناس .

ولكن ما هي حقيقة المهدي المنتظر في العقائد الاسلامية؟

يمكن تقسيم البحث إلى قسمين :

القسم الأول : يتعلّق بالبحث عن المهدي من خلال الكتاب والسنة .

القسم الثاني : يتعلّق بالبحث عن حياته وغيبته وظهوره .

أمّا في البحث الأول : فالشيعة والسنة متفقون على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمو بشّر به ، وأعلم أصحابه بأنّه سيظهره الله سبحانه وتعالى في آخر الزمان ، وقد أخرج أحاديث المهدي عليه السلام كلّ من الشيعة والسنة في صحاحهم ومسانيدهم .

وأنا بدوري وكالعادة - حسبما تعهدت به في كلّ أبحاث الكتاب لا أستدلّ إلاّ بما هو ثابت وصحيح عند أهل السنة والجماعة .

فقد جاء في سنن أبي داود(2) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي واطىء اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً

ص: 258

1- لأكون مع الصادقين .

2- سنن أبي داود 2: 207 ، أول كتاب المهدي .

وقال ابن ماجة في سننه(1): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي من أهل البيت، المهدي من ولد فاطمة» . .

وجاء في صحيح الترمذي(2): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي».

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه(3) قال: حدّثنا ابن بكير، حدّثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أنّ أبا هريرة رضی الل عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟»

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة.(4)

أمّا بخصوص البحث الثاني والذي يتعلّق بولادة المهدي وحياته وغيبته وعدم وفاته عليه السلام \_ فهذا القسم أيضاً لم ينكره بعض علماء أهل السنة الذين لا يستهان بهم، والذين يعتقدون بأنّ المهدي هو محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت، وُلِدَ، وأنّه لا يزال حيّاً، وسيظهر في آخر الزمان فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً ويمصر الله به دينه، وهم بذلك يوافقون أقوال الشيعة

ص: 259

1- سنن ابن ماجة 2: 1367 - 1368 ح 4085 و 4086.

2- سنن الترمذي 4: 438 ح 2230 و 2231.

3- صحيح البخاري 3: 1272 ح 3265 كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم .

4- الصواعق المحرقة : 267.



- 1- محيي الدين بن العربي في فتوحاته المكيّة .
- 2- سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص .
- 3- عبد الوهاب الشعراني في كتابه عقائد الأكابر .
- 4- ابن الخشاب في كتابه تواريخ مواليد الأئمّة ووفياتهم .
- 5- محمد البخاري الحنفي في كتابه فصل الخطاب .
- 6- أحمد بن إبراهيم البلاذري في كتابه الحديث المتسلسل .
- 7- ابن الصبّاغ المالكي في كتابه الفصول المهمّة .
- 8- العارف عبد الرحمن في كتابه مرآة الأسرار .
- 9- كمال الدين بن طلحة في كتابه مطالب السؤل في مناقب آل الرسول .
- 10- القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودّة.

ولو تتبّع الباحث لوجد في علماء السنّة والجماعة أضعاف من ذكرنا يقولون بولادة المهدي وبقائه حيّاً حتى يظهره الله تعالى.

والقرآن لا- ينفي هذا الافتراض - بقاءه حيّاً-، وكم ضرب الله من مثل على ذلك لأهل العقول الجامدة، لكي يتحرّروا ويطلقوا العنان لأفكارهم وعقولهم حتى تستيقن وتُسلم بأنّ الله سبحانه قادر على كلّ شيء.

لذا فإنّ المسلم الذي ملأ الايمان قلبه لا يستغرب أن يميت الله عزيزاً مائة عام، ثمّ يبعثه فينظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنّه، وإلى حماره كيف ينشز الله عظامه ويكسوها لحمًا، فيرجع كما كان بعد أن كانت عظامه رميماً، فلما تبين له قال: أعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير . سبحانه الله ما أسرع تحوّلّه، بينما قبل الحادثة استغرب واستبعد عند مروره على قرية خاوية على عروشها، قال: انّي

يحيي الله هذه بعد موتها؟!

والمسلم الذي يصدّق القرآن الكريم لا يستغرب أن يقطع سيّدنا إبراهيم الطير ويبعث أجزائه وأشلاءه على الجبال ثمّ يدعوهم فيأتيه سعيّاً.

والمسلم لا يستغرب بأنّ سيّدنا عيسى عليه السلام ولد من غير نطفة الذكر ، أي من غير أب ، وأنّه حيّ لم يمّت وسيعود إلى الأرض.

ولا يستغرب بأنّ الله أمات أصحاب الكهف ثلاثة قرون وازدادوا تسعاً ، ثمّ بعثهم فكان حفيد الحفيد أكبر سنّاً من جدّ الجدّ.

ولا يستغرب بأنّ سيّدنا الخضر عليه السلام حيّ لم يمّت، وقد التقى مع سيّدنا موسى عليه السلام.

ولا يستغرب بأنّ إبليس (لعنه الله) حيّ لم يمّت وهو مخلوق قبل آدم عليه السلام، وما زال يواكب مسيرة البشر من أوّل خلقته إلى يوم فناءه ، ومع ذلك فهو مخفيّ لم ولن يراه أحد رغم أعماله الشنيعة وأفعاله الذميمة ، وهو يرى كلّ الناس .

إنّ المسلم يؤمن بكلّ هذا ولا يستغرب وقوعه، أفيستغرب وجود المهدي مخفياً لفترة من الزمان لحكمة يريدّها الله سبحانه؟!

ص: 261







### الوهابية

#### الوهابية(1)

ينسب مذهب الوهابية إلى محمد بن عبد الوهاب ، الذي ولد سنة (1111 هـ) وتوفي سنة (1207 هـ) وأخذ في أول عمره عن كثير من علماء مكة والمدينة ، وكانوا يفرسون فيه الضلال والاضلال ، وكان والده يذمه ويحذر الناس منه ، وكذا أخوه (سليمان بن عبد الوهاب أنكر عليه ما أحدثه وألف كتاباً في الرد عليه ، وكان أول أمره مولعة بمطالعة أخبار مدعي النبوة كمسيلمة وسجاح والأسود العنسي وطلحة الأسيدي وأمثالهم ، فنشأ منحرفاً مشككاً بل وحاقدًا.

ومن الطبيعي أن دعوته الضالة لم تستهو إلا الأعراب المتخلفين كما هو مسيلمة الكذاب ورهطه في مقابل دعوة الحق لرسول الله وأهل بيته وأتباعه .

### الوهابية تكفر المسلمين

إن منشأ شبهة الوهابية في حكمهم بشرك جميع المسلمين ، واستحلال

ص: 265

---

1- كلّ الحلول عند آل الرسول .

دمائهم وأموالهم كما فعلوا في مكة والمدينة والعراق وغيرها من البلاد الاسلامية ، بسبب زعمهم أنهم يعبدون القبور بتعظيمهم لها بالتقبيل والطواف والتمسك وبناء القباب والأسراج وغير ذلك !

مع العلم أن هناك أحاديث كثيرة عند الشيعة والسنة في جواز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره في دار الدنيا لأُمور الدنيا والآخرة ، فعن عبدالله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه».(1)

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «ما من ميت يموت يصلي عليه أمة من الناس يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفّعوا فيه».(2)

وهذا على رأي الوهابية شرك ، لأنه كما يدعون مخالف لقوله تعالى: «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»(3) نعوذ بالله من هذا البهتان العظيم على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم!

و هناك الكثير من الأحاديث التي تخص الشفاعة أوردها بعض العلماء كالحديث الآتي والذي ذكره السمهودي الشافعي، عالم المدينة في كتابه الوفا بأخبار المصطفى ، والحاكم في المستدرک، وصحح اسناده عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما اقترب آدم الخطيئة قال: يا رب أسالك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلق، قال: يا رب ، لأنك لما خلقتني بيدك و نفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله ... قال الله تعالى:

ص: 266

1- صحيح مسلم 2: 655 ح 948.

2- صحيح مسلم 2: 654 ح 947.

3- الجن : 18.

صدقت يا آدم ، انه لأحب الخلق إليّ إذ سألتني بحقّه ، فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك».(1)

## الجدور التاريخية للوهابية

إذا رجعنا إلى تاريخنا و تصفّحنا أحداثه الأليمة لاستوقفتنا بعض الأحداث التوحي لنا من طرف خفيّ بأنّ للوهابية التي عرفناها في هذا القرن جذور قديمة يقدم الاسلام بقيت تظهر حيناً وتختفي أحياناً ، تظهر مرّة بجرأة وتختفي أخرى برهبة وتقيّة ، حتى انتكس الاسلام وفجع في أركانه وأكبر رموزه، وجاء الاستعمار ليغذّي هذا الفكر الجديد ويقوّيه.

والهدف من وراء ذلك هو تحطيم تلك الهالة والتقديس لصاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم، والمسلمون حسب مفهوم الاستعمال يقدّسون شيئين إثنيين وهما القرآن والسنة ، وهما المصدران الأساسيان للشريعة الاسلامية المستهدفة من قبلهم.

وقد عرفوا بأنّ كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنّ الله سبحانه تكفّل بحفظه، أمّا السنة النبوية فهي عرضة للطعن والدسّ والوضع وإتّما وقع الاختلاف فيها من أول يوم غادر فيه رسول الله هذه الدنيا .

لكنهم أدركوا بأنّ العلماء من الأمّة تداركوا تلك السنة فجمعوا منها ما ثبت صحته ووضعوا لذلك قوانين و ضوابط تمنعها من الزيادة والنقصان.

فتفطّنوا إلى حيلة شيطانية خبيثة تمكّنهم من القضاء على المسائل الروحية التي تمثّل العامل الحركي النشيط في حياة المسلمين ، ومتى ترك المسلمون

ص: 267

---

1- الوفا بأخبار المصطفى 4 : 1371 - 1372 ، المستدرك للحاكم 2: 615.



الروحانيات ، فإنهم سيقتربون من المادية الملحده شيئاً فشيئاً ويصبحون غثاء كغثاء السيل .

وفتشوا عن شخص مسلم له من الطموح الغير محدود واكتشفوا محمد بن عبد الوهاب الذي تنتسب إليه الوهابية ، ونفخوا فيه من روحهم وأقنعوه بأنه عالم عصره وأنه عنده من العبقرية والذكاء ما لم يكن عند الخلفاء الراشدين أنفسهم .

وأطلعوه على إجتهادات الخلفاء في معارضة النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، وبالخصوص معارضة عمر بن الخطاب للنبي في حياته ، وأقنعوه بأنّ محمداً بشر غير معصوم وقد أخطأ في عديد المرّات وأصلحه بعض الناس ، فهذا دليل على ضعف شخصيته .

ثمّ أطمعوه في الحكم والاستيلاء على الجزيرة العربية أولاً، ثمّ العالم العربي والاسلامي ثانياً .

وقامت الوهابية على هذه المفاهيم وهي تحاول جهدها انتقاص شخصية الرسول والتقليل من أهميته حتى أصبح علماءهم يقولون : صراحة : الرّجال مات ، ويقول كبيرهم : إنّ محمداً رمةً بالية لا تضرّ ولا تنفع وعصاي أفضل منه لأنّها تضرّ وتنفع .

وقد قيلت عبارات شبيهة بهذه المعاني في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قال : «تبا لهم إنهم يطوفون برمة بالية ولو طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لكان خيراً لهم» ..

وفي الحقيقة ما جرّأ الحجاج والفسّاق من بني أمية على التناول والانتقاص من شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا جرأة عمر بن الخطاب الذي قال

بحضرة النبي : «إن الرجل ليهجر وحسبكم كتاب الله». (1)

وفي هذه المقولة بالذات كل المعاني التي تحاول الوهابية جهدها تكريسها وترسيخها في عقول الناس فهم يقولون أن محمداً انتهى دوره ولم يعد إلا تاريخاً ومن توّسل به فكأنه عبده وأشركه في الربوبية.

وهذه أيضاً ليست فكرة جديدة ، بل لها أيضاً جذور تاريخية وقد صرّح بها أبو بكر عندما خرج على الناس ليقول لهم : «أيها الناس من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت». (2)

فما هو الداعي لهذه الكلمة وهو يعلم علم اليقين أنه ليس هناك أحد من المسلمين يعبد محمداً أم أن أبا بكر كان يعتقد أن بعض المسلمين يعبد محمداً حقاً وحقيقة ، فكيف يسكت محمد على ذلك ولا يردعهم ولا يجرهم ، بل كيف لا يقتلهم ؟

ولكنني شخصياً اقتنعت أنّهم كانوا يحملون نفس الفكر الذي ظهر الآن عند الوهابية ، بمعنى أنّهم كانوا لا يطبقون تقديس الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أفصح عن مكنون صدورهم زعيم قريش معاوية بن أبي سفيان عندما قال له المغيرة : «يا أمير المؤمنين لو وصلت رحمك من بني عمومتك بني هاشم فوالله ما بقي عندهم شيء تخافه ولعل ذلك يحدث لك ذكراً؟

فقال معاوية : ملك أخوتيم فما إن هلك حتى هلك اسمه إلا أن يقول قائل أبو بكر ، وملك أخو عدي فشمر عشر سنين فما إن هلك حتى هلك اسمه إلا أن

ص: 269

1- صحيح مسلم 3: 1259 ح 21 - 22.

2- صحيح البخاري 6: 17.

يقول قائل عمر ، وملك عثمان ففعل ما فعل ، وفعل به فما إن هلك حتى هلك اسمه ، ولم يبق إلا ابن أبي كبشة ينادي باسمه خمس مرّات في كلّ يوم : أشهد أنّ محمداً رسول الله ! فأبي ذكر يبقى بعد هذا لا أمّ لك ، والله إلا دفناً دفناً. (1)

إنّها الوهابية في أجلى مظاهرها وأفصح تعبيرها خطّطت بالأمس وهي تحاول تنفيذ ذلك المخطّط اليوم وفي المستقبل، ويريدون ليظفّنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرونه .

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يردون على الوهابية

لا شكّ بأنّ القرآن الكريم أقرّ الوساطة والوسيلة بين الله وبين عباده ولم يحرم ذلك ولا منع منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل ندب إليه وجعله مباحاً.

وبما أنّ القرآن جعل من أفعال الرسول وأقواله وإقراره أسوة لنا نهتدي بها في سائر حياتنا اليومية ، فقال الله عزّ وجلّ : «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (2)

وعلى هذا ال أساس فإننا سوف نستدلّ بأفعاله وأقواله صلى الله عليه وآله وسلم ولا نستدلّ بما أخرجه الشيعة في كتبهم ، ولا بما أخرجه السنّة في كتبهم، فذلك سوف يفوق الإحصاء ، ولكننا نكتفي بما أخرجه البخاري وحده في صحيحه ليكون الردّ على الوهابية ب (الضربة القاضية) فلا يتكلمون بعدها إن كانوا منصفين ، وإلا فإنّ عنادهم وتعصّبهم الأعمى سوف يفضحهم عند كلّ المسلمين .

ص: 270

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 5: 130، النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية: 123 - 124، نقلاً عن الطبري وابن الأثير.

2- الأحزاب: 21.

إنه من نافلة القول أن نقول بأن فعل الصحابة هو حجة على الوهابية لأنهم يؤمنون بعدالة الصحابة أجمعين ، بل ويزعمون أنهم على آثارهم مقتدون ، ويقولون على أنفسهم بأنهم سلفيون بمعنى أنهم يتبعون السلف الصالح والصحابة كلهم صالحين .

1- أخرج البخاري في صحيحه عن مالك بن إسماعيل قال: حدثنا إسرائيل عن عاصم ، عن ابن سيرين قال : قلت لعبيدة : عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصبناه من قبل أنسٍ أو من قبل أهل أنس .

فقال : «لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها»<sup>(1)</sup>

2 - أخرج البخاري عن محمد بن عبد الرحيم قال : أخبرنا سعيد بن سليمان قال : حدثنا عباد ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ شعره.<sup>(2)</sup>

فإذا كان أنس بن مالك الصحابي المشهور يحتفظ بشعر الرسول فيخص به بعض أهله وبعض أصحابه ، وإذا كان الصحابي يقول: «لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها» .

فهذا لعمرى أقوى دليل على أنهم كانوا رضي الله عنهم يتبركون بأثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا لعمرى رد على الوهابية الذي يضربون الحجاج من أجل التبرك بأثار

ص: 271

1- صحيح البخارى 1:54 ، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الانسان .

2- المصدر السابق .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكلّ شيء يمّت إليه .

3- أخرج البخاري في صحيحه في باب ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك ممّا لم يذكر قسمته ومن شعره ونعله وآنيته ممّا تبرّك أصحابه وغيرهم بعد وفاته. (1)

4 - أخرج البخاري في صحيحه عن الزبير قال : لقيت يوم بدرٍ عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه وهو يكتى أبو ذات الكرش ، فقال : أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات.

قال هشام : فأخبرت أنّ الزبير قال : لقد وضعت رجلي عليه ثمّ تمطّأت فكان الجهد أن نزعته وقد انثنى طرفها ، قال عروة : فسأله إيّاها رسول الله فأعطاه إيّاها ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها ثمّ طلبها أبو بكر فأعطاه إيّاها ، فلما قبض أبو بكر سألتها إياه عمر فأعطاه إيّاها ، فلما قبض عمر أخذها ثمّ طلبها عثمان منه فأعطاه إيّاها ، فلما قُتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قُتل. (2)

ونلاحظ من خلال هذه الرواية بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبرّك هو نفسه بهذه العصا التي كان يملكها الزبير ويلقى بها الأبطال في الحروب ، فقد بارز عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج ، يعني أنّه لبس لباس الحديد الذي يقيه طعن السيوف والرماح ، فلا يرى منه إلا عيناه ، وإذا بالزبير يطعنه في عينه بهذه العصا فيموت ، ثمّ يجهد نفسه حتى ينتزعها من عينه.

فلا نستغرب إذن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد طلب من الزبير أن يعطيه

ص: 272

1- صحيح البخاري 4: 100، باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاسلام والنبوة .

2- صحيح البخاري 5: 104، كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدرًا.

تلك العنزة ليتبرك بها أو ليعلم الناس بأن التبرك جائز في شريعته وهذا الاحتمال قوي جداً خصوصاً إذا عرفنا بأن الخلفاء من بعده كلهم طلبوها.

والجدير ذكره هنا أننا نجد في القرآن الكريم إشارات عديدة للتبرك بالأشياء التي لها علاقة بالأنبياء والمرسلين ، فقد جاء في الذكر الحكيم :«قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ» (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) (1)

ولعل السامري الذي بصّر بما لم يبصر به بقية الصحابة عندما قبض قبضة من أثر الرسول حَقَّقَ بها بعض المعجزات فظنَّ أن موسى ساحر عليهم ، وأن الآيات التي أظهرها أمام الناس ما هي إلا سحر يقدر عليه من يمتلك أسبابه ، لذلك نبذ قبضة التراب من أثر الرسول وسولت له نفسه أن يعود ببني إسرائيل إلى عبادة العجل والقصة تؤيد ما ذهبنا إليه من إظهاره بعض الكرامات والمعجزات لبني إسرائيل حتى أتبعوه واغترّوا به .

كما نجد في القرآن الكريم إشارات أخرى للتبرك والاستشفاء بآثار الأنبياء ، قال تعالى في سورة يوسف : «اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ» (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنَّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُقِنْدُونِ «قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ» (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (2)

فالذي يفهم من هذه الآيات أن نبي الله يعقوب كان أعمى قد كفّ بصره وأن ابنه يوسف بعث بقميصه وطلب من البشير أن يمسح به وجهه أبيه كي يُشفى من

ص: 273

1- طه : 95-96.

2- يوسف : 93 - 96.

العمى ويرجع إليه بصره ، وذلك ما وقع بالفعل .

ومع ايماننا الراسخ بأنّ الله سبحانه قادر على ردّ بصر يعقوب بدون قميص يوسف ، وقادر على تفجير الماء من الحجر وخلق البحر بدون عصا موسى ، وقادر على إحياء المقتول بدون ضربه بعض أجزاء البقرة.(1)

إلاّ أنّه عزّ وجلّ جعل وسيلة وواسطة لذلك، لكي يفهم الناس بأنّ الوسيلة والوساطة هي من سنّة الله في خلقه ، وليست شركاً بالله كما يدّعي ذلك الوهابية مه وأتباعهم.

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرّ التبرّك ويعلمه لأصحابه

لا- يغترنّ أحد بقول بعض المنكرين بأنّ التبرّك إنّما هو بدعة أحدثها بعض الصحابة أو بعض التابعين ، وذلك لجهلهم بحقائق الأمور أو لتعصبهم للمذهب الوهابي ، فالمذهب الوهابي نفسه بدعة، ويا لها من بدعة ، تلك التي تتهم المسلمين بالشرك لمجرّد شبهة باطلة اختلقتها الوهابية .

فقد أقرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبرّك أصحابه في العديد من المرّات ووافقهم عليه ، بل وندبهم إليه فأصبح الصحابة بعد ذلك يتنافسون إليه.

1- أخرج البخاري في صحيحه عن آدم قال : حدّثنا شعبة ، قال : حدّثنا الحكم ، قال : سمعتُ أبا جحيفة يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهاجرة فأُتي بوضوء فتوضّأ فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به .

فصلّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظهر ركعتين والعصر ركعتين و بين يديه عنزةً ، وقال أبو

ص: 274

1- إشارة إلى قوله تعالى: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فآذَارْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» (فَقُلْنَا اصْرَبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)«(البقرة : 72-73)» .

موسى: دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقدرح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه ، ثم قال لهما : «اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما».(1)

2- قال البخاري : عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعرابي ، فقال الأعرابي : ألا تنجزلي ما وعدتني ؟ فقال له : «أبشر» .

فقال : قد أكثرت عليّ من أبشر .

فأقبل النبي على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال : «ردّ البشري فأقبلا أنتما» ، قالوا : قبلنا ، ثم دعا بقدرح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه ثم قال : «اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا» .

فأخذ القدرح ففعلا فنادت أم سلمة من وراء الستر : أن افضلا لأممكما ، فأفضلا لها منه طائفةً.(2)

هذه الروايات الصحيحة في التبرّك لا تُثبت إقرار النبي فحسب ، بل تثبت بأنّه هو الذي أمر به أصحابه بعدما غسل فيه يديه ووجهه ومجّ فيه (أي تمضمض ثم أفرغ الماء من فيه ) ثم قال لها : اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا ، بشّ رهما بأنهما سيلقيان كلّ الخبر ببركة هذا الماء الذي غسل فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجهه ويديه وفمه ، حتى طلبت أم سلمة وهي زوج النبي أن يفضلا لها بعضه التبرّك به ، فأين الوهابية من هذه الحقائق الدامغة أم على قلوب أفعالها .

ص: 275

- 
- 1- صحيح البخاري 1: 59 كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس .
  - 2- صحيح البخاري 5: 199 كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف في شوال .



من البدع التي شاعت في زماننا الحاضر هو القول بتحريم زيارة القبور على النساء.

والمرأة المسلمة عندما تحجّ إلى بيت الله الحرام فلا يسمحوا لها بزيارة البقيع ولا بزيارة مقبرة أحد ولا غيرها من المقابر .

والوهابية هي التي حرمت ذلك ولا زالت تحرمه وليس لها دليل إلا التعصب .

وإليك الأمثلة :

1- أخرج مسلم في صحيحه في باب الجنائز بأنّ عائشة سألت رسول الله :

ماذا تقول إذا جاءت إلى المقابر ، فقال لها : «قولي السلام عليكم دار قوم آمنين أنتم من السابقين ونحن إن شاء الله بكم من اللاحقين ويغفر الله للمتقدمين والمتأخرين»<sup>(1)</sup>

2- أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بامرأةٍ تبكي عند قبر فقال : «أتقي الله واصبري».

قالت : إليك عني ، فإنّك لم تُصب بمصيبتي ، ولم تعرفه ؛ فقيل لها إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأنت باب النبي فلم تجد عنده بوابين فقالت : لم أعرفك .

فقال : «إنّما الصبر عند الصدمة الأولى»<sup>(2)</sup>.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ملأت كتب الصحاح عند أهل السنّة وعند الشيعة .

ص: 276

1- صحيح مسلم 2: 699-671 ح 103.

2- صحيح البخاري 2: 99 - 100 باب زيارة القبور باب الجنائز .

## الشيعة وأهل السنة يردون على الوهابية

أمّا بخصوص التشنيع والتهويل والتكفير الذي تُثبته الوهابية ضد أتباع أهل البيت من أجل التوسّل بالنبي وأهل بيته الأئمة الأطهار والتمسّح بأثارهم للتبرّك بها وشدّ الرحال لزيارة مراقدهم ، فهو أمر جديد ما كان يعرفه الشيعة ولا يعرفه أهل السنة والجماعة ، وقد دأب المسلمون من أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يومنا هذا على التبرّك والتوسّل والاحتفال في كلّ بقاع الدنيا وفي كلّ بلاد المسلمين قاطبة ولم ينكر ذلك إلا الوهابية الذين ظهروا بمذهبهم الجديد في القرن الرابع عشر للهجرة.

وكان من الطبيعي جدّاً أن يخالف الوهابية كلّ المسلمين في هذه العقيدة ليظهروا بمظهر التجديد ودعاة التوحيد أولاً وثانياً ليبرّروا كره المسلمين ومعارضتهم لبدعهم.

والحق يقال أنّه لم يُبتلى المسلمون بمثل ابتلائهم بالوهابية في هذا القرن العدة أسباب منها :

أولاً: أن دعوتهم دعوة باطلة ولكنهم ألبسوها لباس الحق، فتراهم يُحرمون التوسّل ويُعاقبون عليه بدعوى أنّه شرك بالله ، والله سبحانه يقول: «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»<sup>(1)</sup> هي بالضبط دعوة الخوارج الذين كفّروا الإمام علي بن أبي طالب وقالوا له : «ليس الحكم لك يا علي إنّما الحكم لله»<sup>(2)</sup> فقال سلام الله عليه: «إنّها كلمة حق يراد بها باطلاً».

فدعوة الوهابية لدعوة الخوارج دعوة حقّ ولكنهم ما أرادوا بها إلا الباطل

ص: 277

1- الجن : 18.

2- تاريخ الاسلام للذهبي 2: 587 - 591.

ليمّوهوا على بسطاء العقول الذين لا يعرفون مقاصد الشريعة بأنّهم وحدهم الموحّدون وغيرهم مشركون لأنّهم يدعون مع الله غيره من العباد.

هي دعوة حقّ عندما يقولون : قال الله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا»<sup>(1)</sup>، ولكنّهم يريدون الباطل عندما يحرمون التوسّل إليه سبحانه برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو بالأئمّة الأطهار من عترته ويموّهون على الناس بأنّ ذلك شرك بالله .

و واضح بأنّ هناك فرق بين الذين يعتقدون بأنّ الله أنداداً ينفعون ويضرّون فيجعلون لكلّ شيء آلهة فهذا إله الخير وذاك إله الشرّ وهذا إله السلم وذاك إله الحرب وإله الحب وإله الخمر... الخ.

وبين الذين يعتقدون بأنّ الله واحد لا شريك له ، لا رادّ لحكمه ولا معقب له وأنّ الله سبحانه هو الذي أعطاهم حقّ التوسّل إليه بأنبيائه وأوليائه .

هذا هو الفرق بين العقيدتين ، الشرك والتوسّل ، وهذا هو وجه الاتفاق بين الفريقين الخوارج والوهابية .

قال الخوارج : لا حكم إلاّ لله ، وقالت الوهابية : لا توسّل إلاّ بالله .

قال الخوارج : لا حكم لك يا علي .

وقالت الوهابية : لا وسيلة لك يا محمد .

وفي القولين باطلٌ مستور بلباس الحقّ فكما أنّ الحكم هو لله وحده ولكنّ الله سبحانه شرّعه لعباده ليحكموا فيما بينهم بالحقّ والعدل.

ص: 278

1- الجن : 20.

كذلك فإن الوسيلة هي لله وحده ولكن الله سبحانه شرّعها لعباده ليتّخذوا ورسوله وأوليائه وسيلةً إليه ، وهذا واضح في الشريعة الإسلامية وفي كلّ الشرائع السابقة أيضاً باعتبار أنّها كلّها من مصدر واحد وأنّ الدين عند الله الإسلام.

ثانياً : احتلال الوهابية للأماكن المقدّسة عند كلّ المسلمين على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وجنسياتهم.

ثالثاً : الثراء الكبير من العائدات النفطية وكثرة آبار البترول ومناجم الذهب وغيرها كلّ ذلك ساعد الوهابية على الانتشار في أرجاء العالم ، فقد خصّصوا مبالغ طائلة إلى أنمّة المساجد الذين استمالوا وتألّفوا قلوبهم بالمال في كل بقاع الدنيا وعملوا على نشر المذهب الجديد بشتى الوسائل والطرق.

رابعاً : العلاقات الدولية التي امتازت بها الوهابية من خلال ارتباطها الوثيق بالولايات المتحدة، فأصبحت الوهابية العين اليمنى لأمريكا ، كما أنّ إسرائيل هي عينها اليسرى ، ولكنّ أمريكا تأخذ من الوهابية كلّ شيء وتعطي لإسرائيل كلّ شيء .

ص: 279



#### شبهات وردود (1)

1- إذا كان الرسول يعلم ما سيؤول إليه أمر الأمة من النزاع والاختلاف بسبب الخلافة ، فلماذا لم يعين الخليفة له ؟

ج - لقد عين صلى الله عليه وآله وسلم خليفة له بعد حجة الوداع وهو علي بن أبي طالب ، وأشهد على ذلك صحابته الذين حجوا معه ، وكان يعلم بأن الأمة ستعذر به وتنقلب على أعقابها .

2 - كيف لم يسأل الرسول أحد من أصحابه عن هذا الأمر وقد كانوا يسألونه عن كل شيء؟

ج - لقد سأله وأجاب : قال تعالى: «يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ»(2)، وسأله وقال : «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»(3) وسأله فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّ وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي»(4)

ص: 283

1- فاسألوا أهل الذكر .

2- آل عمران : 154 .

3- المائدة : 56 .

4- تاريخ الطبري 2: 319-321، تاريخ ابن الأثير 2: 62-63 .

3 - لماذا عارض بعض الصحابة رسول الله حين أراد أن يكتب لهم كتاباً يعصمهم من الضلالة بعده ، وقالوا بأنه يهجر؟

ج - لقد عارض بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين أراد أن يكتب لهم ما يمنعهم من الضلالة واتهموه بالهجر ، لمّا عرفوا بأنه يريد تعيين علي بن أبي طالب كتابياً ، لأنه سبق أن قال لهم في حجة الوداع بأنّ المتمسك بالكتاب والعترة لن يضلّ بعده أبداً ، ففهموا بأنّ مضمون الكتاب سيكون بنفس الألفاظ ، لأنّ عليّاً هو سيد العترة وإتّما اتّهموه بالهجر ليعدل عن الكتابة نهائياً ولأنّ النزاع والخلاف قام حول الكتاب قبل كتابته ، وإذا كان النبي يهجر (حسب اعتقادهم) فإنّ كتابه سيكون هدياناً فالحكمة تقتضي عدم الكتابة .

4- لماذا لم يصرّ على كتابة الكتاب خصوصاً وأنّه يعصم الامة الاسلامية من الضلالة ؟

ج - لم يكن في وسع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: أن يصرّ على الكتابة ، لأنّ العصمة من الضلالة قد انتفت لموافقة الكثير من الصحابة على أنّه يهجر ، فأصبح الكتاب هو مصدر ضلالة بدلاً أن يكون عاصماً منها ، ولو أصرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على كتابته لقامت بعده دعاوى باطلة قد تُشكّك حتى في كتاب الله ونصوص القرآن.

هـ- لقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته بثلاث وصايا شفوية فلماذا وصلت إلينا وصيتان وضاعت الوصية الثالثة ؟

ج - الأمر واضح في أنّ الوصية الأولى هي التي ضاعت لأنها تخصّ استخلاف علي ، ولأنّ الخلافة التي قامت منعت الحديث عنها ، وإلا كيف يصدق عاقل أن يوصى النبي فتُسى كما ذكره البخاري.

ص: 284

6- هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم بموعد موته؟

ج - لا شك بأنه كان يعلم مسبقاً بموعد وفاته في الوقت المعلوم وقد علم بذلك قبل خروجه لحجّة الوداع ، ومن أجل ذلك سمّاها حجّة الوداع وبذلك علم أكثر الصحابة دنوّ أجله .

7- لماذا جهّز النبي جيشاً عبّأ فيه وجوه المهاجرين والأنصار من كبار الصحابة وأمرهم بالمسير إلى مؤتة بفلسطين قبل وفاته بيومين؟

ج - عندما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمؤامرة التي دبرتها قريش وأنهم تعاقدوا على نبذ العهد بعده وإبعاد علي عن الخلافة ، عمد إلى تعبئة هؤلاء ليعدهم عن المدينة وقت وفاته فلا يرجعون إلّا وقد استتب الأمر لخليفته ، فلا يقدرّون بعدها على تنفيذ مخططهم وليس هناك تفسيراً مقبولاً غير هذا لسرية أسامة ، لأنّه ليس من الحكمة أن يُخلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاصمة الخلافة من الجيش والقوة قبل وفاته بيومين فقط .

8- لماذا لم يُعيّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً في جيش أسامة؟

ج - لأنّه لا ينبغي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب إلّا ويترك خليفة ليدبّر الأمور بعده ، وبما أنّه لم يُعَيِّء عليّاً ضمن ذلك الجيش الذي عبّأ فيه وجوه المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف ، فدلّ هذا التصرف الحكيم بأنّ عليّاً هو الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة ، ولأنّ الذين لم يُعبّؤهم رسول الله في الجيش ليس فيهم من يطمع في الخلافة ولا من يبغض عليّاً ويريد الغدر به .

9- لماذا أمر عليهم شاباً صغيرة لا نبات بعارضيه؟

ص: 285



لَمَّا كَانَ الْحَاسِدُونَ وَالْغَادِرُونَ لِعَلِيٍّ يَتَذَرَعُونَ بِصِغَرِ سَنَةِ وَأَنَّ عِظَمَاءَ قُرَيْشٍ الَّذِينَ بَلَغُوا السَّبْتَيْنِ لَا يَتَقَادُونَ لِعَلِيٍّ وَعَمْرُهُ لَمْ يُجَاوِزِ الثَّلَاثِينَ إِلَّا قَلِيلًا - فَأَمَرَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أُسَامَةَ وَعَمْرَةَ سَبْعَةَ عَشَرَ - لَا نَبَاتَ بَعَارِضِيهِ وَهُوَ مِنَ الْمَوَالِي لِيَأْ لَأَعْنَاقَهُمْ وَإِرْغَامًا لِأَنُوفَهُمْ ، كَي يُبَيِّنَ لَهُمْ أَوْلَىٰ وَلِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ ثَانِيًا بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ الصَّادِقَ فِي إِيمَانِهِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ وَيُطِيعَ وَلَوْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا مِمَّا قَضَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيَسَلِّمَ تَسْلِيمًا - وَأَيْنَ أُسَامَةَ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدِ الْوَصِيِّينَ ، بَابِ عِلْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسَدِ اللَّهِ الْغَالِبِ ، وَهَارُونَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَلِذَلِكَ تَفَطَّنُوا إِلَى تَدْيِيرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي تَأْمِيرِهِ أُسَامَةَ عَلَيْهِمْ فَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ وَرَفَضُوا الْخُرُوجَ مَعَهُ وَالتَّخَلُّفَ عَنْهُ ، وَلَا نَنْسَى أَنَّ فِيهِمْ الدَّهَاءَ الَّذِينَ قَالَ فِي حَقِّهِمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: «وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ» (1)

10 - لماذا اشتد غضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المتخلفين منهم حتى لعنهم؟

ج - لقد اشتد غضبه صلى الله عليه وآله وسلم عليهم لما علم أنهم طعنوا في تأميره ، فالطعن موجه إليه لا إلى أسامة وتحقق بذلك عنده عدم إيمانهم وإخلاصهم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنهم عازمون على تنفيذ مخططهم كلّفهم ذلك ما كلّفهم عند ذلك أطلق لعنته الأخيرة على المتخلفين ليفهمهم وأتباعهم والمسلمين كافة بأن الأمر قد بلغ منتهاه ليهلك من هلك على بينة .

11 - هل يجوز لعن المسلم خصوصاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

ج - إذا كان الإسلام هو التلّفظ بالشهادتين بأن يقول الإنسان : اشهد أن لا

ص: 286

1- إبراهيم : 46.

إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم لا يمتثل إلى أوامرهما ولا يسمع ولا يطيع الله ولرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيجوز لعنه ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى : «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» (1)

وإن كان الله يلعن من كتم الحقّ فما بالك بمن عاند الحق وعمل على إبطاله؟

12 - هل عيّن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر ليصلي بالناس؟ ج - من خلال الروايات المتناقضة نفهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعين أبا بكر ليصلي بالناس ، اللهم إلا إذا اعتقدنا ما قاله عمر بن الخطاب في هجرانه ، ومن اعتقد بذلك فقد كفر ، وإلا كيف يصدق عاقل بأنّه أمره ليصلي بالناس في حين أنّه عبّأه في جيش أسامة وجعل هذا الأخير أميراً عليه وإماماً له؟ وكيف يُعيّنه الإمامة الصلاة في المدينة وهي خالية منه؟ والتاريخ يشهد بأنّه لم يكن حاضراً في المدينة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والثابت كما ذكر بعض المؤرخين الذين روى عنهم ابن أبي الحديد ، بأنّ عليّاً عليه السلام اتّهم عائشة بأنّها هي التي أرسلت إلى أبيها ليصلي بالناس ولمّا علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك غضب وقال لها: «إنك صواحب يوسف» و خرج إلى المسجد فأزاح أبا بكر وصلى بهم صلاة المضطرين لئلا يترك لهم حجّة بعد ذلك.

13 - لماذا أقسم عمر بن الخطاب بأن رسول الله لم يمت ، وتهدّد كلّ من يقول بموته بالقتل ، ولم يهدأ إلا بوصول أبي بكر؟

ج - لقد هدّد عمر بالقتل كلّ من حاول أن يقول بموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ص: 287

ليشككهم ويتركهم في حيص بيص حتى لا تتم بيعة لعلي ، وحتى يصل إلى المدينة أبطال المعارضة الذين تعاقبوا على الأخذ بزمام الأمور والذين لم يصدلوا بعد فوجد نفسه قد سبقهم فلعب دور المصاب بالذهول وسل سيفه فخوف الناس ، ولا شك بأنه منع الناس الدخول إلى الحجرة النبوية ليتثبتوا الأمر ، وإلا لماذا لم يجرؤ أحد على الدخول إلا أبو بكر عندما وصل دخل وكشف عن وجهه وخرج ليقول لهم «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» . .

ولا بد لنا هنا من تعليقة صغيرة على هذا القول. فهل كان أبو بكر يعتقد بأن في المسلمين من يعبد محمداً؟ كلاً وإنما هو تعبير مجازي على شتم وانتقاص بني هاشم عامة وعلي بن أبي طالب خاصة الذين كانوا يفخرون على سائر العرب بأن محمداً رسول الله منهم وهم أهله وعشيرته وأحق الناس به.

وهو أيضاً تعبير عما أفصح به عمر بن الخطاب يوم رزية الخميس عندما قال : «حسبنا كتاب الله يكفيننا» ولسان حاله يقول : لا حاجة لنا بمحمد فقد انتهى أمره وولّى عهده ، وهذا بالضبط ما أكده أبو بكر بقوله : من كان يعبد محمداً فإنه قد مات.

ويعني بذلك : يا من تفتخروا علينا بمحمد تأخروا اليوم فإنه انتهى أمره وحسبنا كتاب الله فإنه حي لا يموت ، ومن الملاحظ أن علياً وبني هاشم كانوا يعرفون أكثر من غيرهم حقيقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانوا يبالغون في احترامه وتقديسه وتنفيذاً أوامره ، وأتبعهم على ذلك الموالي من الصحابة والذين كانوا غرباء عن قريش ، وكانوا إذا بصق رسول الله بصقة تسارعوا إليها ليمسحوا بها وجوههم ، ويتخاصمون على فضل وضوئه أو على شعره ، وكل هؤلاء المساكين

والمستضعفين كانوا شيعة لعلي من زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي سمّاهم بهذا الاسم.(1)

أما عمر بن الخطاب وبعض الصّحابة من سرّاة قريش فكانوا ما يُعارضوا أحكام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويُناقشوه ويعصوه، بل ويُتزهون أنفسهم عن أفعاله.(2)

وقد قطع عمر بن الخطاب شجرة بيعة الرضوان لأنّ بعض الصّحابة كانوا يتبرّكون بها - كما فعل الوهابيون في هذا القرن فإنّهم محوا آثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الوجود، وحتى البيت الذي وُلد فيه لم يتركوه، وهم يحاولون الآن بكل جهودهم وأموالهم أن يمنعوا المسلمين من الاحتفال بذكرى مولده الشريف. ومن التبرّك به وبالصّلاة عليه حتى أفشوا لدى المغفّلين بأنّ الصّلاة الكاملة هي شركٌ .

14 - لماذا اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة سراً؟

ج - لَمَّا عَلِمَ الأنصار بالمؤامرة التي دبّرتها قريش لإبعاد علي عن الخلافة، اجتمعوا عند وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأرادوا إبرام الأمر فيما بينهم على أن يكون الخليفة منهم، فإذا كان زعماء قريش وهم المهاجرون من قرابة الرّسول وعشيرته يريدون نقض البيعة لعلي، فالأنصار أولى بالخلافة من غيرهم الاعتقادهم بأنّ الإسلام قام بحدّ سيوفهم وأنّ المهاجرون عيالٌ عليهم ولولا أنّهم فتحوا بلادهم ومنازلهم وكل ما يملكون لما كان للمهاجرين ذكر ولا فضل، ولولا وجود الخلاف بين الأوس والخزرج الذين كانوا يتنافسون على الرّعاية وكلّ منهما يريد لها لقبيلته، لما وَجَدَ أبو بكر وعمر فرصة لأخذ الخلافة منهم ولاضطرّاً لمتابعتهم.

ص: 289

1- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدّين السيوطي في سورة البيّنة .

2- صحيح البخاري ج 3 ص 114 كتاب المظالم باب الاشتراك في الهدى .

15 - لماذا أسرع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى السقيفة وفاجأوا الأنصار؟

ج - لما كان للمهاجرين - أعني زعماء قريش - أعين تراقب تحركات الأنصار وما يدور من تدبيرهم ، فقد أسرع أحدهم وهو سالم مولى أبي حذيفة وأعلم أبو بكر وعمر وأبا عبيدة بالاجتماع السري فأسرعوا إلى السقيفة ليفسدوا على الأنصار تخطيطهم وما أبرموه وليفاجئوهم بأنهم على علم بكلّ يحدث في غيابهم.

16 - لماذا كان عمر بن الخطّاب طوال الطريق يُهَيء مقالة لإفناع الأنصار؟ ج - لا- شكّ بأنّ عمر بن الخطاب كان يخشى ردّة فعل الأنصار ، كما يخشى أن لا يوافق الأنصار على إبعاد علي بن أبي طالب ، فيُسبّب ذلك هدم كلّ ما خَطَطوه ودبّروه و تذهب جهودهم أدراج الرّياح بعدما تجرّؤوا على النبي نفسه وأفسدوا كلّ تدبيره من أجل الخلافة ولذلك كان عمر بن الخطاب في طريقه للسّقيفة يزور ماذا سيقوله لهم حتى يكسب تأييدهم وموافقتهم على المخطّط .

17 - لماذا انتصر المهاجرون على الأنصار وسلّموا الأمر لأبي بكر؟

ج - هناك عدة عوامل لعبت دورها في هزيمة الأنصار وفوز المهاجرين فقد كان الأنصار قبيلتين متنافستين على الرّعامة منذ عهد الجاهلية وسكنت فورتهم بوجود الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم بينهم ، أمّا والرّسول صلى الله عليه وآله وسلم قال قد مات وقومُه يريدون اغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي ، فثار الأوس يُرشحون لها زعيمهم سعد ابن عبادة ، ولكن بشير بن سعد وهو زعيم الخزرج حسد ابن عمّه وأيقن أنّه لا يصلّ إلى الخلافة وسعد بن عبادة موجود ، فنقض أمر الأنصار وانضمّ إلى صفّ.

ص: 290

المهاجرين ومثل دور الناصح الأمين .

كما أن أبا بكر أثار فيهم التّعرة الجاهلية وضرب على الوتر الحساس بقوله :

لو سلّمنا هذا الأمر للأوس فلن ترض الخزرج وإذا سلمناه للخزرج فلن ترض الأوس - ثم إنّه أطمعهم بأن يقاسمهم الحكومة بقوله : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ولا نستبد عليكم بالرأي أبداً.

ثم أنّه بذكاء لعب دور الناصح الأمين للأمة إذ أخرج نفسه وأظهر زهده في الخلافة وإنّه لا يرغبُ فيها بقوله : اختاروا من شئتُم من هذين الرجلين يعني عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة عامر بن الجراح .

وكانت الخطة محكمة والمسرحية ناجحة ، فقال عمر وأبو عبيدة : لا ينبغي لنا أن نتقدّم عليك وأنت أولنا إسلاماً وأنت في الغار فابسط يدك نبايعك ، فبسط أبو بكر يده لهذه الكلمات ، فسبق إلى بيعته بشير بن سعد سيد الخزرج وتتابع الباقيون إلا سعد بن عباد .

18 - لماذا امتنع سعد بن عباد عن البيعة وهده عمر بالقتل؟

ج - عندما بايع الأنصار وتسابقوا إلى أبي بكر لينالوا بذلك الجاه والقُربى من الخليفة ، امتنع سعد بن عباد عن البيعة وحاول جهده منع قومه عنها ولكنّه عجز عن ذلك لشدة مرضه إذ كان طريح الفراش ولا يُسمع صوته ، عند ذلك قال عمر : اقتلوه إنّه صاحب فتنة ليقلع بذلك دابر الخلاف ولئلا يتخلّف عن البيعة أحد ، لأنّه سيشتق عصا المسلمين ويتسبب في انقسام الأمة وخلق الفتنة .

19 - لماذا هددوا بيت فاطمة الزهراء بالحرق؟

ج - لقد تخلف عدد كبير من الصحابة الذين لم يبايعوا أبا بكر في بيت

ص: 291

علي بن أبي طالب ، ولو لم يُسارع عمر بن الخطاب وطوق الدار بالحطب وهددهم بالحرق، لاستفحل الأمر وانشقت الأمة إلى حزين علوي وبكري ، ولكن عمر ومن أجل فرض الأمر الواقع ذهب شوطاً بعيداً عندما قال : اتخرجن للبيعة أو لأحرقن الدار بمن فيها ، ويقصد علياً وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبهذا القول لا يبقى في الناس أحد تسول له نفسه شق عصا الطاعة وعدم الدخول في البيعة ، فأى حرمة له أكبر من حرمة سيدة نساء العالمين وزوجها سيّد الوصيّين؟

20 - لماذا سكت أبو سفيان بعدما هددهم وتوعدهم؟

ج - لمّا رجع أبو سفيان للمدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أرسله لجمع الصدقات ، فوجيء بخلافة أبي بكر وأسرع إلى دار علي بن أبي طالب وحرّضه على الثورة وعلى حرب الجماعة واعداء إياه بالمال والرّجال ، ولكنّ علياً طرده العلمه بنواياه ، ولمّا علم أبو بكر وعمر بذلك ذهبوا إليه واستمالاه ووعدها بإعطائه كل ما جمعه من الصدقات وياشراكه في الأمر بتعيين ابنه والياً على الشام - فرضي أبو سفيان بذلك وسكت عنهم فعينوا يزيد بن أبي سفيان والياً على الشام ، ولمّا مات عيّنوا أخاه معاوية بن أبي سفيان مكانه ومكّنوه من الوصول إلى فيها الخلافة.

21 - هل رضي الإمام علي صلى الله عليه وآله وسلم بالأمر الواقع وبايع الجماعة؟

ج - لا أبداً لم يرض الإمام علي بالأمر ولم يسكت ، بل احتجّ عليهم بكل شيء ولم يقبل أن يبايعهم رغم التهديد والوعيد ، وذكر ابن قتيبة في تاريخه بأنّ قال لهم : «والله لا-أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي»، وحمل زوجته فاطمة الزهراء يطوف بها على مجالس الأنصار فكانوا يعتذرون بأنّ أبا بكر سبق إليهم .

ص: 292

وقد ذكر البخاري بأنه لن يُباع مدّة حياة فاطمة ، فلما توفيت واستنكر وجوه النَّاس اضطرَّ لمصالحة أبي بكر ، وقد عاشت فاطمة ستّة أشهر بعد أبيها ، فهل ماتت فاطمة وليس في عنقها بيعة وأبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «من مات ليست في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة»؟

وهل كان علي يعلم بأنه سيعيش إلى ما بعد أبي بكر فيتأخر عن بيعته تلك الشهور الستّة؟ فعلى لم يسكت وبقي طيلة حياته كلّما وجد فرصة إلا وأثار مظلمته واعتصام حقه ويكفي دليلاً ذلك ما قاله في خطبته المعروفة بالشقشقيّة .

22 - لماذا أثاروا فاطمة وأغضبوها بينما هم في حاجة إلى المصالحة؟

ج - لقد تعمّدوا إثارة فاطمة بانتزاع أرضها وممتلكاتها ومنها ميراث أبيها وتكذيبها في كلّ دعوها حتّى يُسقطوا بذلك هيبتها وعظمتها من نفوس النَّاس وحتّى لا يُصدّقوها إذا ما أثارث نصوص الخلافة ، ولذلك اعتذر الأنصار إليها بأنّ بيعتهم سبقت لأبي بكر ولو سبق إليهم زوجها لما تخلّفوا عنه .

ولذلك اشتدّ غضبها على أبي بكر وعمر حتّى صارت تدعو عليهما في كلّ صلاة تصلّيها ، وأوصت زوجها بأن لا يحضر جنازتها منهما أحد وأن يجنّبها الوجوه التي تكرهها .

وقد تعمّدوا إيذاءها ليشعروا عليّاً بأنه أهون عليهم من ابنة النبي التي هي سيدة نساء العالمين والتي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها ، فما عليه إلا السكوت والرّضا .

23 - لماذا تخلّف عن سرّيّه أسامة عظماء القوم؟

ج - لمّا استتبّ الأمر لأبي بكر وأصبح خليفة المسلمين بجهود عمر رغم

ص: 293



أنوف المعارضين ، طلب من أسامة أن يترك له عمر بن الخطاب ليستعين به على أمر الخلافة ، لأنه لا يقدر على إتمام المخطط بمفرده ولا بدله من العناصر الفعالة الذين لهم من القوة والجرأة ما عارضوا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يباليوا بغضب الله ولا بلعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن تخلف عن بعث أسامة عبأهم بنفسه ولا شك بأن المخططين لهذا الأمر تخلفوا عن السرية ليبرموا أمرهم ويتعاونوا على تركيز قواعدهم.

26 - لماذا أبعد الإمام علي عن كل مسؤولية ولم يشركه في شيء؟

ج - بالرغم من أنهم قربوا عدداً كبيراً من الطلقاء وأعطوهم المناصب في حومتهم وأشركوهم في أمرهم ، وعينوا منهم أمراء وولاة في كل الجزيرة العربية وفي كل الأقطار الإسلامية ومن هؤلاء الوليد بن عقبة ومروان بن الحكم ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان وعمر وبن العاص والمغيرة بن شعبة وأبو هريرة وكثيرون من الذين كانوا يجرعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغصص إلا أنهم أبعدهوا علي بن أبي طالب فنبذوه وتركوه حبيس داره ولم يشركوه في شيء من أمرهم طيلة ربع قرن ليذلوهم ويحرقوه ويبعدون الناس عنه لأن الناس عبيد الدنيا يميلون مع صاحب السلطة والجاه والمال وما دام علي لا يجد قوت يومه إلا بكسب يمينه وعرق جبينه فسيتفرق الناس عنه ولا يميلون إليه.

وفعلاً فقد بقي عليّ سلام الله عليه على تلك الحالة مدة خلافة أبي بكر و خلافة عمر وخلافة عثمان رهين البيت يعمل الجميع على تحقيره وإطفاء نوره وإخفاء فضائله ومناقبه ، وليس له من حطام الدنيا ما يرغب الناس فيه .

20 - لماذا حاربوا مانعي الزكاة رغم تحريم النبي وصلى الله عليه وآله وسلم لذلك؟

ج - لأن الصحابة الذين حضروا بيعة الإمام علي عليه السلام في غدير خم وهم

راجعون من حجة الوداع بصحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم امتنعوا عن أداء الزكاة لأبي بكر، لأنهم لم يحضروا وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا الأحداث التي أعقبها في شأن تسبيل الخلافة من علي لأبي بكر، لأنهم لا يسكنون المدينة، ولا شك بأن بعض الأخبار وصلت إليهم بأن فاطمة تخاصمت معهم وغضبت عليهم وبأن علياً امتنع عن بيعتهم - لكل ذلك رفضوا إعطاء الزكاة حتى يتبينوا الأمر.

ومن هنا قرّر أبو بكر وعمر وجهاز الحكم أن يبعثوا إليهم جيشاً بقيادة خالد بن الوليد الذي كان سيفهم المسلول، فأخذ ثورتهم وأسكت حثهم وقتل رجالهم وسي نساءهم وذارارهم، ليكونوا عبرة لمن تحدّثه نفسه بعدم الطاعة أو بمس هيبة الدولة .

29 - لماذا منعوا تدوين ونقل الأحاديث النبوية ؟

ج - عملوا من الأيام الأولى على منع الأحاديث النبوية جملة وتفصيلاً، ليس فقط لأنها تتضمن نصوص الخلافة وفضائل الإمام علي بل لأن الكثير منها يتعارض مع أقوالهم التي يديرون بها شؤون الحياة ويركزون على أسسها معالم الدولة الجديدة التي ابتدعوها وفق اجتهاداتهم.

27 - هل كان أبو بكر قادراً على تحمّل أعباء الخلافة ؟

ج - لم يكن أبو بكر قادراً على تحمّل أعباء الخلافة لولا عمر بن الخطاب وبعض الدعاة من رؤوس بني أمية . ولقد سجّل التاريخ بأن أبا بكر كان دائماً يخضع إلى أحكام وآراء عمر بن الخطاب الحاكم الفعلي ودليل ذلك قصة المؤلّفة قلوبهم الذين جاؤوا لأبي بكر في بداية خلافته وكتب لهم كتاباً وبعثهم إلى عمر الذي كان بيده أمر بيت المال فمزق عمر الكتاب وطردهم ، فرجعوا إلى أبي بكر يسألونه : أعنت الخليفة أم هو ؟ فأجابهم : هو إن شاء الله!

ص: 295

وكذلك عندما أقطع أبو بكر قطعة أرض علي بن حصن والأقرع بن حابس ، فرفض عمر عندما قرأ كتاب أبي بكر وتقل فيه ومجاه ، فرجعا إلى أبي بكر يتذمران مما فعله عمر وقال- لأبي بكر : والله ما ندرى أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بل عمر هو الخليفة ، ولما أقبل عمر مغضباً وناقش أبا بكر على إعطائه الأرض بكلام غليظ ، قال له أبو بكر : ألم أقل لك إنك أقوى مني على هذا الأمر لكنك غلبتني. (1)

وقد أخرج البخاري في صحيحه بأن عمر كان يحث الناس على بيعه أبي بكر فيقول لهم: إن أبا بكر صاحب رسول الله ثاني اثنين وإنه أولى المسلمين بأمرهم فقوموا فبايعوه.

قال أنس بن مالك : سمعتُ عمر يقول لأبي بكر يومئذ : أصعد المنبر ، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة.

28 - لماذا عقد أبو بكر الخلافة وعهد بها إلى عمر قبل وفاته؟

ج - بما أن عمر بن الخطاب هو الذي لعب الدور البطولي في إقصاء علي عن الخلافة بمعارضته العنيفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً وبحمل الأنصار على بيعه أبي بكر وفرضها على الناس بكل حزم وشدة حتى وصل به الأمر إلى تهديد بيت فاطمة بالحرق.

وبما أنه كان هو الخليفة الفعلي كما قدمنا فكانت له الكلمة الأولى والأخيرة ولا شك بأنه كان من ذهاة العرب فعلم بأن المسلمين وخصوصاً الأنصار لا يُوافقون على بيعته لطبعه الغليظ وسرعة غضبه ، فعمل على تقديم أبي بكر لهم

ص: 296

---

1- العسقلاني في كتابه الإصابة في معرفة الصحابة «ترجمة عيينة» وابن أبي الحديد في شرح النهج ج 12 ص 108.

لأنّ في طبعه ليناً ورقةً وهو أسبقهم للإسلام وابنته عائشة هي المرأة الجريئة القادرة على ركوب الصّعب و تغيير الأمور ، وهو يعلم علم اليقين بأنّ أبا بكر طوع يديه ورهن إشارته في كل ما يصبو إليه.

ولم يكن عهد أبي بكر بالخلافة لعمر يخفى على كثير من الصّحابة من قبل كتابته ، فقد قال له الإمام على منذ اليوم الأول: أحلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم ليردّه عليك غداً.

كما قال آخر لعمر عندما خرج بالكتاب الذي عهد فيه أبو بكر قال له : أنا أعرف ما فيه إنك أمرته عام أول وأمرك هذا العام.

فعهد أبي بكر لعمر بالخلافة أمرٌ معلوم لدى عامّة الناس وإذا كان في حياته يعترف له أمام الجميع بأنّه أقوى منه على هذا الأمر فلا غرابة أن يسلم له مقاليد الخلافة عند الموت.

وبهذا يتبين لنا مرّة أخرى بأنّ ما يقوله أهل السنة بأنّ الخلافة لا تكون إلا بالشورى أمرٌ ليس له وجود ، وليس له في خيال أبي بكر وعمر أي اعتبار ، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: توفي و ترك الأمر شورى بين الناس كما يزعمون ، فإنّ أبا بكر هو أوّل من هدم هذا المبدأ ، وخالف سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعهد له لعمر بن الخطاب من بعده .

وأهل السنّة دائماً تراهم يتبجحون بكل فخر واعتزاز على أنهم يؤمنون بالشورى ولا تصلح الخلافة إلّا بها ، ويسخرون من قول الشيعة الذين يعتقدون بأنها لا تكون إلا بالنص من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، و تسمع أغلبهم ينتقد هذا الاعتقاد أنّه دخيل على الإسلام من قبل الفرس الذين يقولون بوراثة السّلطة الإلهية .

وكثيراً ما يستدلّ أهل السنّة بأية «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» على أنّها نازلة بخصوص الخلافة . وعلى هذا فيحقّق لنا بأن نقول : إنّ أبا بكر وعمر خالفا الكتاب والسنّة معاً ولم يُقيما لهما وزناً في شأن الخلافة.

29 - لماذا اشترط عبدالرحمن بن عوف على علي بن أبي طالب أن يحكم بسنّة الخليفين؟ ج - من هوان الدنيا على الله أن يصبح عبد الرحمن بن عوف هو الذي يتحكّم بمصير الأمة بعد عمر فيختار لهم من يشاء ويُقضي من يشاء كل ذلك من تدبير عمر الذي رجّح كفته على بقية الصّحابة ، وعبدالرحمن بن عوف هو الآخر من دهاة العرب ، ولا شكّ بأنّه من أعضاء الحزب المخطّط للخلافة وصرفها عن صاحبها الشرعي ، وإذا كان البخاري يعترف بأن عبد الرحمن بن عوف كان يخشى من عليّ شيئاً<sup>(1)</sup>، فمن الطبيعي أن يعمل هو الآخر على إبعاده عنها ما استطاع لذلك سبيلاً.

وعبد الرحمن بن عوف يعرف كغيره من الصّحابة بأنّ علي لم يكن يُوافق على اجتهادات أبي بكر وعمر وما غيّراه من أحكام الكتاب والسنّة ، وكان يحاول جهده معارضتهما والإنكار عليهما.

ولذلك اشترط عبد الرحمن على علي أن يحكم بسنّة أبي بكر وعمر وهو يعلم مسبقاً أكثر من غيره بأنّ علياً لا يداهن ولا يكذب ولا يقبل بذلك الشرط أبداً ، كما كان يعلم بأنّ صهره عثمان هو الذي تراتح إليه قريش وكل أعضاء المخطّط .

ص: 298

---

1- صحيح البخاري ج 8 ص 123 باب كيف يبايع النّاس الإمام من كتاب الأحكام .

ج - أخرج البخاري ومسلم وكل المحدثين من أهل السنة حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»<sup>(1)</sup> وبقي هذا الحديث من الألفاظ العويصة التي لا جواب لها عند أهل السنة والجماعة ولم يجرؤ أحد من علمائهم أن يعدّ الخلفاء الراشدين الأربعة سوى عمر بن عبد العزيز وهؤلاء خمسة ويبقى العدد سبعة لا وجود لهم.

فإنما أن يقولوا بإمامة علي وبنيه الذين تقول بهم الإمامية ويصبحوا شيعة أهل بيت النبي - وإما أن يكذبوا الحديث و تصبح صحاحهم مجردة من الحق وليس فيها إلا الأكاذيب.

أضف إلى ذلك بأن هذا الحديث الذي يخصّص الخلافة في قريش وحدها يتنافى مع مبدأ الشورى الذي يقولون به ، لأن الاختيار والديمقراطية تشمل كل أفراد الأمة ولا تختص بقبيلة معينة دون سائر القبائل الأخرى . بل يتعدى القبائل العربية إلى غيرها من القبائل الإسلامية الغير عربية .

هذه أجوبة سريعة و مختصرة لنوضح للقارئ بعض المسائل التي قد تُخامر ذهنه على أنه قد يجد إجابة مفصلة في كتب التاريخ.

فعلى الباحث أن يرجع إلى المصادر الموثوقة وأن يتجرّد للحقيقة فيمحصّ الروايات والأحداث التاريخية ليكشف من خلالها الحقائق المكسوة بثياب الباطل فيجردها وينظر إليها في ثوبها الأصلي .

ص: 299



## رسالة مفتوحة إلى أبي الحسن الندوي

رسالة مفتوحة إلى أبي الحسن الندوي (1)

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد :

أنا محمد التيجاني السماوي التونسي الذي منّ الله عليه بالهداية والتوفيق ، فاعتنق مذهب أهل البيت النبوي ، بعد بحث طويل ، وبعدما كنت مالكياً ، ومن أتباع الطريقة الصوفية المشهورة في شمال أفريقية ، وهي التيجانية ، وعرفت الحقّ من خلال رحلة موفّقة إلى علماء الشيعة ، وكتبت في ذلك كتاباً أسميته «ثمّ اهتديت» تمّ طبعه عندكم في الهند من طرف المجمع العلمي الاسلامي بعدة لغات ، وبالمناسبة دُعيت لزيارة الهند .

سيدي العزيز ، قدمتُ إلى الهند في زيارة قصيرة ، وكان أمني أن التقي بحضرتكم لما أسمعته عنكم ، ولما أعلمه بأنكم المشار إليه بين أهل السنّة والجماعة عندكم ، ولكن عاقتني عن ذلك بعد المسافة ، وضيق الوقت ، واكتفيت بزيارة «بومباي» و «بونة» و «جبل بور» وبعض المدن الأخرى في (كوجراتي) ، وتألّمت كثيراً لما شاهدته في الهند من عداوة وبغضاء بين أهل السنّة والجماعة وإخوانهم المسلمين من الشيعة.

ص: 301

---

1- من كبار علماء السنّة في الهند ، وله مؤسسة ثقافية كبيرة مشهورة ب «دار الندوة» في (لكهنؤ) .



وقد كنتُ أسمع بأنَّهم يتحاربون ويتقاتلون أحياناً، وتُسفك دماء بريئة من الطرفين باسم الإسلام.

ولم أكنُ أُصدِّقُ ، معتقداً بأنَّه مبالغه في التشويه ولكنَّ ما شاهدته وما سمعته خلال زيارتي ، يبعث حقاً على الحيرة والاستغراب ، وأيقنتُ بأنَّ هناك نوايا خسيصة ، ومؤمرات خطيرة ، تُحاك ضد الإسلام والمسلمين للقضاء عليهم جميعاً ، سنَّة وشيعة ، وممَّا زاد يقيني وضوحاً وعلمي رسوخاً ، تلك المقابلة التي دارت بيني وبين مجموعة من علماء أهل السنَّة ، يتقدّمهم الشيخ عزيز الرحمن ، مفتي الجماعة الإسلامية ، وكان اللقاء في مسجدهم ب «بومباي» ، وبدعوة منهم .

وما ان حللت بينهم ، حتى بدأ الازدراء والتهكّم ، والسبّ واللعن ، لشيعة آل البيت ، وقد أرادوا بذلك استفزازي وإثارتي ، لعلمهم مسبقاً بأنِّي قد ألّفت كتاباً يدعو للتمسك بمذهب أهل البيت سلام الله عليهم ، ولكنِّي فهمت قصدهم ، وتمالكت أعصابي ، وابتسمت لهم قائلاً: أنا ضيف عندكم ، وأنت الذين دعوتهم فجتتكم مسدراً مُلبياً ، فهل دعوتهموني لتسبوني وتشتموني ، وهل هذه هي الأخلاق التي علّمكم إيّاها الإسلام ؟

فأجابوني بكل صلابة بأنِّي لم أكن يوماً في حياتي مسلماً ، لأنني شيعياً ، والشيعه ليسوا من الإسلام في شيء ، وأقسموا على ذلك .

قلت : اتّقوا الله يا إخوتي ، فربّنا واحد ، ونبيّنا واحد ، وكتابتنا واحد ، وقبلتنا واحدة ، والشيعه يوحدون الله ، ويعملون بالإسلام اقتداءً بالنبي وأهل بيته ، وهم يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويحجّون بيت الله الحرام ، فكيف يجوز لكم تكفيرهم .

أجابوني : أنتم لا تؤمنون بالقرآن ، أنتم منافقون تعملون بالتقية وإمامكم

قال : التقية ديني و دين آبائي ، وأنتم فرقة يهودية أسسها عبد الله بن سبأ اليهودي .

قلت لهم مبتسماً : دعونا من الشيعة ، وتكلموا معي أنا شخصياً ، فقد كنت مالكياً مثلكم ، واقتنعت بعد بحث طويل بأن أهل البيت هم أحق وأولى بالاتباع، فهل عندكم حجة تجادلوني بها ، أو تسألوني ما هو دليلي و حجتي ، عسى أن نفهم بعضنا بعضاً؟

قالوا : أهل البيت هم نساء النبي ، وأنت لا تعرف من القرآن شيئاً !

قلت : فإن صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، يُفيدان غير ما ذكرتم !

قالوا : كل ما في البخاري ومسلم ، وكتب السنة الأخرى من حجج تحتجون بها ، هي من وضع الشيعة ، دسوها في كتبنا.

أجبتهم ضاحكاً : إذا كان الشيعة وصلوا للقدس في كتبكم ، وفي صحاحكم، فلا عبرة ولا قيمة لها ، ولا لمذهبكم القائم عليها !! فسكتوا وأفحموا ، ولكن أحدهم عمد إلى التهريج والاثارة من جديد فقال : من لا يؤمن بخلافة الخلفاء الراشدين : سيدنا أبي بكر ، وسيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، وسيدنا علي ، وسيدنا معاوية ، وسيدنا يزيد - رضي الله عنه وأرضاه - فليس بمسلم !

ودهشت لهذا الكلام الذي ما سمعتُ مثله في حياتي ، وهو تكفير من لا يعتقد بخلافة معاوية وابنه يزيد ، وقلت في نفسي : معقول أن يترصدى المسلمون على أبي بكر وعمر وعثمان ، فهذا أمرٌ طبيعي ، أما على يزيد فلم أسمع ذلك إلا في الهند ، والتفتُ إليهم جميعاً أسألهم : أتوافقون هذا على رأيه ! فأجابوا كلهم : نعم .

وعند ذلك عرفت بأن لا فائدة في مواصلة الكلام ، وفهمت بأنهم إنما يريدون إثارتي حتى ينتقموا مني ، وربما يقتلونني بدعوى سب الصحابة فمن

يدري؟

ورأيت في أعينهم شراً، وطلبت من مرافقي الذي جاء بي إليهم أن يُخرجني فوراً، فأخرجني ، وهو يتحسّر ويعتذر إليّ على ما وقع ، وهذا الشخص البريء الذي كان يرمي من وراء هذا اللقاء أن يتعرف على الحقيقة ، هو الشاب المهذب شرف الدين ، صاحب المكتبة والمطبعة الاسلامية في «بومباي»، فهو شاهد على كل ما دار بيننا من هذه المحاوراة المذكورة ، ولم يُخفِ استياءه من هؤلاء الذين كان يعتقد بأنهم من أكبر العلماء.

وغادرتهم وأنا ساخط متأسف على ما وصلت إليه حالة المسلمين ، وخصوصاً الذين يتزعمون مراكز الصدارة ، ويتسمون بالعلماء ، وقلت في نفسي :

إذا كان العلماء بهذه الدرجة من التعصب الأعمى ، فكيف يكون عامة الناس وجهّالهم؟ وعرفت عندئذ كيف كانت تقوم المعارك والحروب التي تسفك فيها الدماء المحرمة ، وتُهتِك فيها الأعراض والمحرمات ، باسم الدفاع عن الاسلام، وبكيت على مصير هذه الأمة التعيسة المنكوبة التي حمّلها الله سبحانه مسؤولية الهداية ، وحمّلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً مسؤولية إيصال النور إلى القلوب المظلمة، فإذا بها تصبح بحاجة إلى بصيص من النور ، وفي وقتٍ يكون فيه في الهند وحدها سبعمائة مليون نسمة ، يعبدون غير الله تعالى ، ويقدمون البقر والأصنام والأوثان ، وبدلاً من أن تتوحد جهود المسلمين لهدايتهم ، وإرشادهم ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، حتى يُسلموا لرب العالمين ، نرى أنّ المسلمين اليوم وخصوصاً في الهند ، هم بحاجة إلى الهداية والتصحيح.

لهذا سيدي أرفع كتابي إليكم، داعياً إياكم باسم الله الرحمن الرحيم ، وباسم رسوله الكريم ، وباسم الاسلام العظيم ، ولقوله تعالى :  
«وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ

ص: 304

جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» أدعوكم أن تقفوا وقفة المسلم الشجاع الذي لا يخشى في الله لومة لائم، ولا تأخذه العصبية، ولا الطائفية إلى حيث يحب الشيطان وأولياؤه .

أدعوكم لوقفة مخلصه وصريحة، فأنتم من الذين حملهم الله المسؤولية ما دتم تتكلمون باسم الاسلام في تلك الربوع، فلا يرضى الله منكم أن تقفوا وقفة المتفرج الراضي بما يقع هنا وهناك من مأس، يدفع ثمنها الأبرياء من المسلمين، سنة وشيعة، والله سانلكم يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة، ومحاسبكم عن كل شاردة وواردة، لأنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وتأتي على قدر الكرام المكارم.

وما دتم تترعمون علماء الهند، فمسئوليتكم عظمى لا شك فيها، وكلمة منكم قد يكون فيها صلاح الأمة في الهند، كما قد يكون فيها هلاك الحرث والنسل، فاتقوا الله يا أولي الألباب !

وبما أن الله سبحانه أعطى للعلماء المرتبة الأولى بعد الملائكة، فقال عز من قائل: «سَيَهْدِ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ» (1)

وإذا كان سبحانه يأمرنا جميعاً بقوله: «وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ» (2) وإذا كان المفسرون يذهبون إلى ضرورة إقامة العدل في الموازين المادية ذات القيمة المحدودة، فما بالكم بإقامة العدل في القضايا العقائدية التي تتأرجح بين الحق والباطل، وتتوقف عليها هداية البشرية، ونجاة الانسانية بأسرها؟

ص: 305

1- آل عمران : 18.

2- الرحمن : 9.

قال الله تعالى: «إِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» (1)، وقال أيضاً: «يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ»

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قل الحق ولو على نفسك ، قل الحق ولو كان مرّاً».

سيدي العزيز:

إلى كتاب الله أدعوكم ، وإلى سنة رسوله أدعوكم ، فقولوها صريحة مدوية ، ولو كانت مرّة تكون لكم شهادة عند الله ، برّك هل الشيعة عندكم غير مسلمين؟

هل تعتقدون حقّاً أنّهم كفّار؟ هل أتباع أهل البيت النبوي الذين يوحدون الله ويعظّمونه أكثر من كلّ الفرق - لقولهم بتنزيهه عن المشابهة والمشاكلة ، والتجسيم ، ويؤمنون برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويعظّمونه أكثر من كلّ الفرق - لقولهم بعصمته المطلقة حتى قبل البعثة ، هل هؤلاء تحكّمون بكفرهم؟

هل الذين يتولّون الله ورسوله والذين آمنوا ، ويهوون هوى عترة النبي ويوالونهم ، كما عرّفهم ابن منظور في (لسان العرب) في مادة شيعة ، فهل تقولون أنّهم غير مسلمين؟؟

هل هؤلاء الشيعة الذين يقيمون الصلاة كأفضل قيام ، ويؤتون الزكاة ، ويزيدون عليه خمس أموالهم ، طاعة لله ولرسوله ، ويصومون شهر رمضان وغيره من الأيام ، ويحبّون البيت ، ويعظّمون شعائر الله ، ويحترمون أولياء الله

ص: 306

ويتبرؤون من أعداء الله وأعداء الاسلام ، هل هؤلاء عندكم مشركون؟

هل الذين يقولون بإمامة اثني عشر إماماً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وقد نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أخرج ذلك البخاري ومسلم وغيرهما من صحاح أهل السنّة ، هل هؤلاء عندكم مارقين عن الإسلام؟ وهل كان المسلمون يوماً يجهلون الإمامة ، ولا- يقرّون بها ، سواء كان ذلك في حياة الرسول ، أو بعد وفاته ، حتى نلصق نظرية الامامة ومبادئها بالفرس والمجوس؟

وهل تقولون فعلاً بكفر من لا يعترف بإمامة يزيد بن معاوية الذي عرف فسقه الخاص والعام من المسلمين ، ويكفي يزيد خسة وسقوطاً ، ما أجمع عليه المسلمون من إباحته المدينة المنورة لجيشه و جنده ، يفعلون فيها ما يشاؤون، لأخذ البيعة له بالقهر على أتهم له عبيد ، فقتلوا عشرة آلاف من خيرة الصحابة والتابعين وهتكوا فيها أعراض المحصنات من النساء والفتيات المسلمات ، حتى ولدن من سفاح ما لا يُحصى عدده إلا الله ، ويكفيه عاراً وشناراً وخزياً مدى الدهر ، قتله سيّد شباب أهل الجنة ، وسببه بنات الرسول ، وضربه ثنايا الحسين بقضيبه ، وتمثله بالأبيات المعروفة :

«ليت أشياخي ببدر شهد وا» إلى قوله :

«لعبت هاشم بالملك فلا\*\*\*خبر جاء ولا وحي نزل»(1)

وهو صريح بأنّه لا يؤمن بنبوة محمد ، ولا بالقرآن الكريم ، فهل حقّاً

ص: 307

1- مقتل الخوارجي 2: 59.

توافقون على تكفير من تبرأ من يزيد وأبيه معاوية الذي كان يلعن علياً ، ويأمر بلعنه ، بل ويقتل كل من امتنع عن ذلك من خيرة الصحابة ، كما فعل مع حجر بن عدي الكندي وأصحابه ، وسنّها سنّة متّبعة دامت سبعين عاماً ، وهو يعلم قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من سبّ علياً فقد سبّني ، ومن سبّني فقد سبّ الله»(1)، كما أخرج ذلك صحاح أهل السنّة ، إضافة إلى ما قام به من أعمال تتنافى مع الاسلام ، وقتله الأبرياء والصلحاء من أجل أخذ البيعة لابنه يزيد بالقهر والقوة، وقتله الحسن بن علي عن طريق جعدة بنت الأشعث ، إلى جرائم أخرى كثيرة يذكرها له التاريخ عند أهل السنة ، كما يشهد له بها شيعة علي.

فما أظنكم سيدي توافقون على كلّ ذلك ، وإلا فعلى الاسلام السلام، وعلى الدنيا العفا، وعندها لا يبقى بعد ذلك مقاييس ، ولا عقل ، ولا شرع ، ولا منطق ، ولا دليل.

والله سبحانه وتعالى يقول :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»(2)

ولقد صدق والله عالم الباكستان المغفور له أبو الأعلى المودودي رضى الله عنه ، عندما ذكر في كتابه المسمّى ب «الخلافة والملك» في صفحة (106) نقلاً عن الحسن البصري قوله :

أربع خصال كنّ في معاوية ، لو لم تكن له إلا واحدة لكانت موبقة له:

1- أخذه الأمر من غير مشورة المسلمين ، وفيهم بقايا الصحابة ، ونور

ص: 308

---

1- مستدرک الحاکم 3:121 ، كنز العمال 11:602 .

2- التوبة : 119.

2- استخلافه بعده ابنه السكير الخمير الذي يلبس الحرير ، ويضرب الطنابير .

3- إدّعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الولد للفراش ، وللعاهر الحجر».

4 - قتله حجراً وأصحاب حجر ، فيا ويلاً من حجر ، وأصحاب حجر (أعادها ثلاثاً).

فرحم الله أبا الأعلى المودودي الذي صدع بالحق ، ولو شاء لزاد فوق هذه الخصال الأربع أربعين ، ولكنّه رضى الله عنه رأى أنّ في ذلك كفاية ، لتكون موبقة لمعاوية ، والمعروف أنّ كلمة موبقة معناها (توبق في النار).

ولعلّ المودودي كان يراعي عواطف الناس الذي تعلّموا من أسلافهم تقديس معاوية واحترامه ، والترصّي عليه ، بل وحتى على ابنه يزيد أيضاً ، كما سمعت ذلك بنفسى من علمائكم في الهند ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

ولكلّ ذلك راعيت أنا أيضاً عواطف أولئك الذين دعوني ليستقرّوني ، فلم أذكر لهم شيئاً من ذلك خوفاً على نفسى .

فأنا أهيب بكم سيدي ، أن تقفوا وقفة صريحة ، تبغون بها وجه الله تعالى ، فإنّ الله لا يستحي من الحقّ ، ولا أطلب منكم الاعتراف بمساوية هؤلاء ، ولا بنشر فضائحهم ، فالتاريخ كفانا وإياكم مؤونة ذلك.

ولكن المطلوب منكم أن تعترفوا ، وتعلّموا أتباعكم بأنّ الذين لا يعترفون بإمامة هؤلاء ، ولا يوالونهم ، هم مسلمون حقيقيون ، جديرون بالإحترام ، وليس



في ذلك شك .

أن تقولوا بأن الشيعة مظلومون على مر التاريخ، لأنهم لم يتبعوا، ولم يعترفوا بإمامة الشجرة الملعونة التي ضربها الله مثلاً في القرآن .

فما هو ذنب الشيعة برّبكم ، إذا كان رسول الله يأمر المسلمين باتباع أهل بيته من بعده ، حتى جعلهم كسفينة نوح، ينجو من يركب فيها ، ويهلك من يتخلف عنها؟

وما ذنب الشيعة إذا امتثلوا لأمر الرسول بقوله : «تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً» كما تشهد بذلك ص حاح السنّة ، فضلاً عن كتب الشيعة .

وبدلاً من شكرهم ، وتقديمهم ، وتفضيلهم على غيرهم ، لامثالهم أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، نشتمهم ، ونكفّرهم ، ونتبرأ منهم ، فما هذا بإنصاف ولا هو معقول .

دعونا - سيّدي - من أقوال التحريف والتزييف التي لم تعد تقوم على دليل وبرهان ، ولم تعد تنطلي على المثقفين من أبناء أمّتنا ، من أن الشيعة لهم قرآن خاص بهم ، أو أنهم يقولون بأنّ صاحب الرسالة هو علي ، أو أنّ عبد الله بن سبأ اليهودي هو مؤسس التشيع ، إلى غير ذلك من الأقوال السخيفة المغرضة التي يشهد الله أنّها من خيال أعداء الاسلام ، وأعداء أهل البيت وشيعتهم ، والتي ما أوجدها إلا التعصّب الأعمى ، والجهل المقيت .

وأنا أسأل سيّدي العزيز : أين علماء الهند من علماء الأزهر الشريف الذين أفتوا بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية منذ ثلاثين عاماً ، و من علماء الأزهر الأعلام من يرى بأنّ الفقه الجعفري الذي تعمل به الشيعة ، هو أشمل وأثرى ،

ص: 310

وأقرب إلى روح الاسلام من المذاهب الاسلامية الأخرى التي هي عيالٌ عليه .

وعلى رأس هؤلاء فضيلة الشيخ محمود شلتوت رضى الله عنه ، الذي ترأس الأزهر في حياته ، فهل أمثال هؤلاء العلماء لا يعرفون الاسلام والمسلمين؟ أم أنّ علماء الهند أعلم منهم وأعرف؟ فما أظنكم تقولون بذلك!...

سيدي الكريم؟

أملى فيكم وطيد ، وقلبي إليكم مفتوح بالمحبة والشفقة والحنان، وقد كنتُ في ما مضى مثلكم محجوباً عن الحقيقة ، وعن أهل البيت وشيعتهم ، فهداني الله سبحانه إلى الحق الذي ليس بعده إلا الضلال ، وتحررت من قيود التعصب ، والتقليد الأعمى ، وعرفت بأن أغلب المسلمين لا زالت تحجبهم الإشاعات والأباطيل ، وتصدهم الدعايات عن الوصول إلى الحقيقة ، ليركبوا جميعاً في سفينة النجاة ، ويعتصموا بحبل الله المتين ، فليس هناك كما تعلمون بين السنة والشيعية فرق إلا فيما اختلفوا فيه بعد الرسول من أجل الخلافة ، وأساس الفرقة هو اعتقادهم في الصحابة رضى الله عنهم ، اختلفوا فيما بينهم حتى لعنوا بعضهم ، بل و تحاربوا وقتل بعضهم بعضاً.

فإن يكن الاختلاف فيهم خروجاً عن الاسلام ، فالصحابه هم أولى بهذه التهمة ، والعياذ بالله ، ولا أعتقد بأنكم ترضون بذلك ، والإنصاف يدعوكم أن لا ترضوا بإخراج الشيعة عن الاسلام ، وكما دأب الشيعة على تقديس أهل البيت واحترامهم ، كذلك دأب السنة على احترام الصحابة وتقديسهم أجمعين ، وشتان بين الموقفين ، فإذا كان الشيعة في ذلك مُخطئين ، فأهل السنة أولى بالخطأ ، لأنّ الصحابة بأجمعهم يُقدّمون على أنفسهم أهل البيت ، ويصلّون عليهم كصلاتهم على النبي ، ولم نعرف أحداً من الصحابة - رضوان الله عليهم - قدّم نفسه ، أو فضّلها

ص: 311

على أهل بيت المصطفى ، في علم ، أو في عمل .

فالوقت قد حان لرفع المظلمة التاريخية عن شيعة أهل البيت ، والتقارب معهم ، والتآخي والتعاون على البر والتقوى ، ويكفي هذه الأمة إراقة الدماء، وإثارة الفتن .

فعسى الله سبحانه يجمع بكم الكلمة، ويلم بكم الشتات ، ويرتق بكم الفتق ، ويُداوي هذه الجراح ، ويُخمد بكم نار الفتنة ، ويُجزّي بكم الشيطان وحزبه ، فتكونون عند الله من الفائزين ، خصوصاً وأنكم من سلالة العترة الطاهرة على ما أسمع ، فاعملوا على أن تُحشروا معهم «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»(1)، «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»(2)

وفّقكم الله وإيانا لما فيه خير البلاد والعباد وجعلكم الله وإيانا من العاملين المخلصين لوجهه الكريم.

أبعث لسيادتكم وبصحبة هذه الرسالة نسخة من كتابي «ثمّ اهتديت» الذي ألفته بخصوص هذا الموضوع ، هدية منّي إليكم، عسى أن يجد لديكم القبول .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته(3)

المخلص

محمد التيجاني السماوي التونسي

ص: 312

1- الأنبياء : 92.

2- التوبة : 105.

3- فاسألوا أهل الذكر : 11 - 30.

## المحتويات

مقدمة الناشر ... 5

المقدمة... 7

تنبيهات لا بدّ منها ... 17

الفصل الأوّل

لمحة وجيزة عن حياتي

الحج إلى بيت الله الحرام... 22

الرحلة الموقّعة... 23

زيارة العراق لأول مرّة... 26

الشكّ والتساؤل... 29

السفر إلى النجف... 30

لقاء مع السيّد الخوئي... 32

لقاء مع السيّد محمد باقر الصدر... 33

الشكّ والحيرة... 35

السفر إلى كربلاء... 35

السفر إلى الحجاز... 37

العودة إلى الوطن... 40

بداية التحوّل... 41

أسباب الاستبصار... 43

ص: 313

1 - النصّ على الخلافة... 43

2- خلاف فاطمة مع أبي بكر... 46

3- علي أولى بالاتباع... 47

4 - الأحاديث الواردة في علي توجب اتّباعه... 48

الفصل الثاني

العقائد الإسلامية

فيما يتعلّق بالخالق جلّ جلاله... 55

رؤية الله و تجسيمه... 55

العدل الإلهي... 57

القضاء والقدر... 59

فيما يتعلّق بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم... 65

النبوة... 65

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يَخْتَلُ... 73

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يعاقب عقاباً شنيعة ويمثّل بالمسلمين... 74

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يحبّ الجماع... 75

الرسول صلى الله عليه و آله و سلم يسمع الغناء ويتفرّج على الرقص... 77

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يشرب النبيذ... 77

النبي صلى الله عليه و آله و سلم والابتذال... 78

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يستحي... 78

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يكشف عورته... 81

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يُسقط بعض آيات من القرآن ... 81

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتهاون في صلاته من أجل عقد عائشة...82

ص: 314

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كسائر البشر يخطىء ويصيب...84

القرآن الكريم...87

تحريف القرآن...88

الإمامة والخلافة...94

1- الإمامة في القرآن الكريم...94

2- الإمامة في السنّة النبويّة...96

شواهد على ولاية علي...100

الفصل الثالث

مصادر التشريع عند الفريقين

السنّة النبويّة...105

الثقلين...106

أهل السنّة لا يعرفون السنّة النبوية...111

من الذي أطلق مصطلح أهل السنّة والجماعة؟...114

«أهل السنّة» ومحقّ السنّة...115

مصادر التشريع عند الشيعة...120

مصادر التشريع عند «أهل السنّة والجماعة»...122

أولاً: سنّة الخلفاء الراشدين...123

ثانياً: سنّة الصحابة عموماً...124

ثالثاً: سنّة التابعين «علماء الأثر»...125

رابعاً: سنّة الحكّام...126

خامساً: بقية مصادر التشريع عند «أهل السنّة»...127





الرسالة الأولى : كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية...131

ردّ معاوية على محمد بن أبي بكر...13

الرسالة الثانية : كتاب عبدالله بن عمر إلى يزيد بن معاوية...134

ردّ يزيد على كتاب ابن عمر...134

مخالفة أهل السنّة والجماعة للسنن النبوية...135

1 - نظام الحكم في الاسلام...135

2 - القول بعدالة الصحابة يخالف صريح السنّة...136

3- «أهل السنة والجماعة» ومودّة أهل البيت عليهم السلام...137

## الفصل الرابع

الصحابة عند الشيعة والسنّة

الصحابة عند الشيعة...141

الصحابة عند أهل السنّة والجماعة...143

رأي القرآن في الصحابة...145

1- محمد رسول الله...145

2- آية الانقلاب...146

3- آية الجهاد...146

4 - آية الخشوع...146

رأي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الصحابة...147

1- حديث الحوض...147

2 - حديث اتباع اليهود والنصارى...147

- حديث البطانتين...148



الصحابة يشهدون على أنفسهم... 150

أمثلة من تصرفات الصحابة... 152

1 - الصحابة في صلح الحديبية... 152

2 - الصحابة ورزية يوم الخميس... 153

3 - الصحابة في سرية أسامة... 153

أئمة «أهل السنة والجماعة» وأقطابهم... 155

1- أبو بكر «الصديق»... 155

2- عمر بن الخطاب «الفاروق»... 158

3 - عثمان بن عفان «ذي النورين»... 160

4 - طلحة بن عبيد الله... 162

5 - الزبير بن العوام... 165

6 - سعد بن أبي وقاص... 166

7- عبد الرحمن بن عوف... 168

8- عائشة بنت أبي بكر «أم المؤمنين»... 172

أ. عائشة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم... 172

وايه تحذير النبي من عائشة وفتنتها... 177

ب - عائشة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم... 178

9 - خالد بن الوليد... 180

10 - أبو هريرة الدوسي... 184

11 - عبدالله بن عمر... 187

من روايات البخاري ومسلم (فضائل يبطلها العقل والواقع)... 193

البخاري ومسلم يذكران أي شيء لتفضيل أبي بكر وعمر... 194

ص: 317

الفصل الخامس

دفاع عن عقائد الشيعة

الشيعة في القرآن... 209

الشيعة في السنّة النبوية... 210

الشيعة في نظر «أهل السنّة»... 212

تشجيع السنّة على الشيعة... 214

عيد الغدير... 218

مودّة أهل البيت... 220

آية التطهير... 221

الأئمّة الاثني عشر... 226

علم الأئمّة... 227

العصمة... 228

الغلو... 231

التقليد... 234

البداء... 237

التقية... 242

المتعة أو الزواج المؤقت... 247

الجمع بين الصلاتين... 252

السجود على التربة... 254

الرجعة... 256



## الفصل السادس

### الوهابية والجذور التاريخية

الوهابية... 265

الوهابية تكفّر المسلمين... 265

الجذور التاريخية للوهابية... 267

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يردّون على الوهابية... 270

الصحابة يتبرّكون بآثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم... 271

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرّ التبرّك ويعلمه لأصحابه... 274

الوهابية تحرمّ زيارة القبور... 276

الشيعة وأهل السنّة يردون على الوهابية... 277

## الفصل السابع

### شبهات وردود

1- الرسول يعلم ما سيؤول إليه أمر الأمة من النزاع... 283

2- كيف لم يسأل الرسول أحد من أصحابه عن هذا الأمر... 283

3- لماذا عارض بعض الصحابة رسول الله حين أراد أن يكتب كتابه... 284

4- لماذا لم يصرّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على كتابة الكتاب... 284

5- ما هي الوصية الثالثة التي أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته... 284

6- هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بموعد موته؟... 285

7- لماذا جهّز النبي صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً عبّأ فيه وجوه الصحابة؟... 285

8- لماذا أمر يُعين النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً في جيش أسامة؟... 285

9- لماذا أمر عليهم شاباً صغيراً لا نبات بعارضيه؟... 285

10 - لماذا اشتدَّ غضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المتخلفين منهم حتى لعنهم؟...286

ص: 319



- 11 - هل يجوز لعن المسلم خصوصاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم...؟ 286
- 12 - هل عيّن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أبابكر ليُصَلِّي بالناس؟... 287
- 13 - لماذا أقسم عمر بن الخطاب بأن رسول الله لم يمت؟... 287
- 14 - لماذا اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة سراً؟... 285
- 15 - لماذا أسرع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى السقيفة؟... 290
- 16 - ما هو دور عمر في السقيفة... 290
- 17 - لماذا انتصر المهاجرون على الأنصار وسلموا الأمر لأبي بكر؟... 290
- 18 - لماذا امتنع سعد بن عباد عن البيعة وهذّده عمر بالقتل؟... 291
- 19 - لماذا هذّدوا فاطمة الزهراء عليها السلام بحرق دارها؟... 291
- 20 - لماذا سكّت أبو سفيان بعدما هذّدهم وتوعدهم؟... 292
- 21 - هل رضي الإمام علي عليه السلام بالأمر الواقع وبإيع الجماعة؟... 292
- 22 - لماذا أثاروا فاطمة وأغضبوها بينما هم في حاجة إلى المصالحة؟... 293
- 23 - لماذا تخلّف عن سرّيّة أسامة عظماء القوم؟... 293
- 24 - لماذا أبعد الإمام علي عن كلّ مسؤولية ولم يشركوه في شيء؟... 294
- 25 - لماذا حاربوا مانعي الزكاة رغم تحريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك؟... 294
- 26 - لماذا منعوا تدوين ونقل الأحاديث النبوية؟... 295
- 27 - هل كان أبو بكر قادرة على تحمل أعباء الخلافة؟... 295
- 28 - لماذا عقد أبو بكر الخلافة وعهد بها إلى عمر قبل وفاته؟... 296
- 29 - ماذا اشترط عبدالرحمن بن عوف على علي عليه السلام من أجل مبايعته؟... 298
- 30 - حديث الأئمة الاثني عشر، هل له وجود عند أهل السنّة؟... 299

رسالة مفتوحة إلى أبي الحسن الندوي...301

ص: 320

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟  
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟  
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

